أقطاب العلمانية

في العالم العربي والإسلامي

(الجزء الثاني)

د. سيد القمني
المستشار. محمد سعيد العشماوي
د. أحمد عثمان
د. أحمد سوسة
موسى مطلق إبراهيم
شفيق مقار

تأليف

طارق عبدالباقي منينة
(ابن الشاطىء)

دار الدعوة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

النادي الشبابي

رقم الإيداع القانوني
٩٣٦٢ / ٢٠٠٣م

الترقيم الدولي : 3-310-253-977

دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع
٢ شارع منشا - محرم بك - الاسكندرية
تليفاكس : ٠٢/٣٩٠١٩١٤ - ٠٢/٣٩٠٧٩٩٨

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

إن مما يُثير الغثيان ويُشعر المرء بالقرف أن نرى رجالاً المفترض فيهم أن يقوموا بحماية معتقدات هذه الأمة المسلمة التي كرمّها الله بالإسلام، أن نراهم يقومون بخلخلة معتقداتنا وتدمير ثوابتها، ومسخ هويتها فيما هم يسيطرون على دفة إدارات الثقافة في أغلب البلاد العربية والإسلامية ويديرون المنتديات والحوارات الثقافية في عالمنا الإسلامي! من هؤلاء الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة في مصر، فهو يدافع بقوة عن إخوانه العلمانيين الذين يقومون بمحاولات خطيرة للعبث بالوحي القرآني وقلب حقائقه ومبادئه وتحطيم دلالاته ومفاهيمه وتحويل رموزه وشخوصه.

لقد دافع الدكتور جابر عصفور عن الدكتور سيد القمني والدكتور نصر حامد أبو زيد والمستشار محمد سعيد العشماوي وغيرهم ممن يقفون معه في خندق واحد بغية القضاء على هذا الدين وإرساء معالم علمانية بغيضة تقوم على أسس الفكر المادي القاصر في نظرته إلى الكون والحياة والإنسان والتاريخ.

وهو يدّعي كما يدّعون أننا نحكم على نياتهم ولا نقرأ لهم! كما يدّعي ويدّعون أنهم أحرص منا على ثوابت هذه الأمة وهويتها ودينها وأن غرضهم هو التنوير وإرجاع الأمة إلى عقل رشيد!! لذلك كان هدفي الأساسي والرئيسي والأول هو كشف هؤلاء العلمانيين وإبرازهم كما هم ،مع فحص أفكارهم ونقدها نقداً علمياً وموضوعياً يكشف بالأدلة والبراهين تلفيقاتهم وتلوّنهم وخداعهم ونفاقهم وخلل أفكارهم وتقليدهم للغرب في نظرته ونظرياته، ونقلهم الأعمى للغث والحقير من الفكر الأوربي الذي لا يرقى إلى مستوى العلوم الفكرية والعقلية الإسلامية التي لاتفصل السماء عن الأرض، ولا الكون عن الإنسان، ولا الروح عن الجسد، ولا العقل عن الوجدان، ولا العالم عن الفطرة، ولا الجزء عن

الكل، ولا الإنسان عن المهمة الإستخلافية التي أُعطى قوانينها وآلياتها، ومنح أدواتها ووسائلها، وحدد له غاياتها ومقاصدها.

في هذا الجزء من كتاب أقطاب العلمانية، وهو الجزء الثاني كشفت الاعيب أكابر العلمانيين ومحاولاتهم الخبيثة في قلب التاريخ وتغيير معالمه، وبينت أن هذه المحاولات إنما هي تداعيات لظروف شائهة مرت بها أوربا في قرونها الاخيرة معاً أدى إلى إقصاء الدين، والعبث بالوحي، وحجب الكلي، ونسف الشمولي، وتحويل الإلهي، وتزوير التاريخي، ومسخ الإنساني.

لقد قسمت الكتاب إلى بابين في تسعة فصول، يحتوى الباب الأول على فصلين هامين يعتبران تمهيداً ضرورياً، وبياناً للمصدر الذي يستقى منه أصحاب النظريات التاريخية من العلمانيين العرب أفكارهم وخيالهم الملفّق المتصنّع، وهو باب لو قُرِء بعناية لأُفيد منه أعظم الفائدة، ففي الفصل الأول أبرزت الحقيقة الإلهية الشاملة عن الإنسان والعمران الشامل والنبوة والرسالة، ثم قمت بعرض تفصيلي لأزمة الوعي الأوربي في «وحدات» و«نماذج» معينة بحيث ينكشف للقارئ مواضع الخلل في تطور هذا الوعي في كل مناحيه الفكرية والفلسفية والاجتماعية، ومن ثمّ ينكشف له خلل المصدر الذي يعتمد عليه العلماني اعتماداً كلياً في مواجهة المرجعية الإسلامية الأصيلة والشاملة.

لقد جزأت المرجعية الفلسفية الغربية الحقيقة، وعزلت الأدلة الرئيسية عن نظرتها الأحادية إلى الحياة والغيب والنبوة والتاريخ، اكتفاءً بالأدلة الثانوية الغامضة، والأجزاء المشوّهة المعزولة، والبعض الضعيف القاصر، فكانت النتيجة رؤية للعالم والتاريخ دمّرت الكليات، ورفضت الغيبيات وعبثت بالأصول والمقاصد العامة، فحقّرت الإنسان وحبست روحه داخل قمقم المادية والحسية الكثيف ابتعاداً به عن أصوله الأولى وغايته المهيّئ لها والمعان عليها والمكلف بها.

إن تخريب الإنسان وإعلان موته الأخير دليل على زيف الوعي الذى زعم أنه

قادرٌ على كل شيء، وقادر على استعادة كمال الإنسان.

في الفصل الثاني أبرزت «النموذج الأصل» لمنظم «الأساطير العلمانية» الجديدة التي أطلقتها «الذهنية المادية» وهي تسعى لتخريب التاريخ البشري كله وقلب رواياته ووقائعه.

أما الباب الثاني[1] فقد قسَّمته إلى سبعة فصول، عرضت في كل فصل «أسطورة علمانية» عن النبوة والأنبياء وشخص «النبي الرسول» موسى عليه السلام كنموذج ضربه العلمانيون لنا كدلالة على زيف النبوات وأنها لا أصل لها، ولا صلة لها بالوحي الإلهي، وإنما الواقع الأرضي أو الاقتباس والسرقة ونزع الأصول من واقع تاريخي طبيعي إلى واقع مقتبس خيالي وزائف.

إن هذا الكتاب يحتاجه من استوى عوده، وانتصبت قامته، وارتفعت هامته، وتعمق علمه، وتجذرت عقيدته، وزاد يقينه، وقال يوما: صُمّت آذن الدنيا إن لم تسمع لنا! إنني كتبته لإخوان إتسعت مداركهم ووسعت عقولهم الدنيا ولم يقفوا عند السن الصغرى فاغرين أفواههم مستغرقين فيها غائبين عن السن الكبرى محقرين وعازلين لها فيما الآخر يُدمِّر الكبير الذي إذا هوى لحقه الصغير والقليل!

لقد كان ابن تيمية رحمه الله دليلاً سلفياً لنا لدراسة العالم كله وفحصه ونقده وإبراز سنن الحق فيه وسنن الباطل وكتابه «نقض المنطق» أكبر شاهد على ذلك.

ولقد قرأت مجموع فتاوى ابن تيمية أكثر من مرة، وقرأت معظم مؤلفاته الاخرى. فلم أجد الرجل يعتزل الحياة مكتفياً بأنه مسلم، عقيدته سليمة وسته قويمة، بل كان «شيخ الإسلام» حقاً، نازل الفلاسفة، وصارع المتفلسفة، وخاض معركته الفاصلة مع التصوف المنحرف، ولم يلغ حقاً لأجل باطل غالب!، ونقد عقائد أهل الكتاب، كما نقد جمود المتفقهة من أهل السنة، اقرأ له في هذه النقطة

---

(١) يمكن للقارئ الكريم أن يبدأ من هذا الباب، اختصاراً واقتصاراً على ذكر أقطاب العلمانية العرب، لكني أنصح القارئ المتحرس الخير أن يقرأ الكتاب من أوله. المؤلف.

على سبيل المثال الصفحات الأولى من كتابه القيم «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم».

لذلك أقول للإخوان الكرام تعلموا القراءة كما تتعلموا العقيدة! وادرسوا العلوم كما تدرسوا الفقه!، ولقد قطعتم شوطا طويلا عجيباً في الفهم الواسع فكنتم خير منازلين للباطل متجاورين عن أخطاء العلماء وبعض اجتهاداتهم الضعيفة التي يؤجرون عليها إن شاء الله!، فيما وقف غيركم يصارع العلماء ويغتال فضلهم ويحجز علمهم ويمسخ علوم الخير التي قدموها للأمة يوم كان الكل مغتربا فارجعُوا للأمة ثوابت دينها التي كادت أن تتلاشى نتيجة الهجمات العلمانية بعد سقوط الخلافة واضمحلال العلم والفهم المتكامل.

إنني بكتابي هذا أُذَكِّر الأمة بأن الفكر هو سلاح خطير وفعّال، ومعركتنا اليوم ليست برفع السلاح أو بإعادة السنن الصغرى دون السنن الكبرى أو بوضع السنن الصغرى عثرة في طريق إحياء السنن الكبرى من هذا الدين العظيم. وليتذكر المسلم الواعي أنه إذا تعارضت مصلحتان فإنه يتجاوز الصغرى لجلب الكبرى، وإذا كان لابد من حصول مفسدة بتدافع مفسدتين فإن ارتكاب الصغرى دفعاً للكبرى من فقه هذا الدين وأصوله التي قننها السلف الكريم.

تحية إلى الإخوان الكرام، وإلى القارىء الذي يُعلِّم أولاده القراءة من الصغر - الجريدة، والمجلة الصغيرة، والكتيب الصغير؛ فإن ذلك داعية إلى دراسة العلوم وحماية العقيدة، والتعامل مع الأفكار بيقين واقتدار.

هذا الكتاب هدية للصحوة المباركة، فاقرأه بتمهل وأنت تقرأ الآيات الكريمة من سورة الذاريات في الرد على الكفار والمنافقين ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾[الذاريات: ١١:٥]

طارق عبدالباقي

لاهاي / هولندا ٢٠٠٢/٥/٦

الباب الأول

الفصل الأول

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[الأنبياء: ١٠٧-١٠٨]

« لو أردت سرد جميع الآيات التي تدعو إلى النظر في آيات الكون، لأتيت بأكثر من ثلث القرآن، بل نصفه »

[محمد عبده .. الإسلام دين العلم والمدنية]

« كان العلماء المسلمون هم الذين أدخلوا على المنهجية العلمية أسلوب الملاحظة » للظاهرة الطبيعية في أدق تفاصيلها، وكذلك أيضاً الأسلوب التجريبي، هذان الأسلوبان كانا غريبين على منهجية المفكرين اليونانيين القدامى. وفي الحقيقة، فإن القوة المحركة للانفجار العلمي في كل المجالات في العالم الإسلامي، من القرن التاسع إلى القرن الثامن عشر، كانت هي الحض القرآني على أن يستخدم الإنسان عقله، وأن يُقرب الطبيعة، وأن يعتنق النتائج التجريبية»

مراد هوفمان من كتابه « خواء الذات والادمغة المستعمرة »

الإسلام والنظرة العلمانية الثانية
أو الحضارة الكونية والحضارة الغربية

إن مما يلفت النظر عند قراءة الكلمات الأولى التي أُوحي بها إلى رسول الله محمد ﷺ في أول إتصال للوحي الإلهي به، معلناً إياه رسولاً، هو أن هذه الكلمات ركّزت على الإنسان وقررت حقائق ثمينة عن طبيعته وتميزه في الخلق، والعلم، والإدراك. وبينت أن الله هو الذي منحه وسائل تناوله لسنن الأرض والسماء.

إنها الكلمات الأولى من سورة العلق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١-٥].

فأول اتصال للوحي بالإنسان كان تقريراً للحقائق الأولى (حقائق الألوهية) (حقائق الانسانية) لتكون قاعدة ثابتة في نظرة الإنسان إلى نفسه وتعرفه على إمكاناته وقدراته، وكيف أنه مميز عن المخلوقات الأخرى في وسائل إدراكه وطبيعة عمرانه فهو خطاب لطيف رقيق في تعريف الإنسان بنفسه، وبإمكاناته، كما أنه خطاب جليل في تعريف الإنسان بربه الكريم الذي منحه مميزاته الإنسانية والبشرية ووسائل منظومته العمرانية والاجتماعية، فهو الرحمن خالق الإنسان، مانح القلم والبيان ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤] إن مفردة «الإنسان» تتكرر في القرآن بصورة لافتة للنظر والهدف كريم! ذلك أن الله خلق الإنسان وجعله المخلوق الأسمى بين المخلوقات الأرضية، وأمدّه بوسائل تعمير الأرض(*) وقد جعله خليفة وسيّداً وسخر له ما في السموات وما في الأرض وأعطاه سلطاناً على الأشياء وحمّله أمانة ومسئولية في تناوله لحقائق

---

(١) «فذكر التعليم بالقلم يتناول علم العبارة والنطق وعبارة المعاني والعلوم» «فعلّمه العلوم بقلبه والتعبير عنها بلسانه» النبوات لابن تيمية ص٢٨٧ «يهدي الانسان الذي كان علقة ومضغة إلى أنواع العلوم بأنواع من الطرق إتماماً عليه، وفي ذلك من بيان قدرته وحكمته ورحمته ما فيه» المرجع السابق ص٢٦٩.

(*) عمارة الأرض من قوله تعالى «... واستعمركم فيها ...» هود: ٦١.

الوجود، وميزه بنعمة العقل التي ارتبطت بها نعمة الاختيار والارادة الحرة. فهو «الانسان/ الخليفة»(*) ومن هذا شأنه لابد أن يكون فريداً في طبيعته وطبيعة مسئوليته على الأرض وغاية وجوده الانساني ليسير أغوار الزمان ويفحص آفاق المكان ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾[الاسراء:٧٠] إن بني آدم هم البشر الخليفة هم الانسان ككل. ﴿... إني جاعل في الأرض خليفة﴾[البقرة:٣٠] خليفة بشري إنساني فريد، والخليفة مع أنه يحمل تفرداً ذاتياً وشخصية(**) إلا أنه خُلق للتفاعل الاجتماعي، والترابط البشري ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم(***) شعوباً وقبائل لتعارفوا(****) إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾[الحجرات:١٣].

وهو لم يخلق للعلو في الأرض والفساد فيها، ولم يُخلق بلا غاية ولا هدف(*****) ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً...؟﴾[المؤمنون:١١٥].

﴿... إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ...﴾[ص:٢٦] ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة...﴾[الاعراف:٦٩] ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض...﴾[الاعراف:٧٤]. فالإنسان، ذكراً وانثى فريد في حقيقته وطبيعته، وهو «خليفة» في الأرض، والأمم يستخلفها الله فهم

(*) وليس (الانسان/الإله) أو (الإله/الانسان) أو (الإنسان/الحيوان) أو (الإنسانية/الإله) كما في الفلسفات الغربية وسيأتي بيان ذلك بعد قليل.

(**) زعم جمال البنا في جريدة القاهرة أن القول بعبودية الانسان لله وحده تعارض مع تكريم القرآن للانسان!!!! «والمطلوب احلال انسان الايمان بالله محل انسان العبودية لله» وهذه لخبطة فكرية لكثير من لخبطات الأستاذ. راجع مقالته في القاهرة العدد ١٠٥ الثلاثاء ١٦ ابريل ٢٠٠٢.

(***) خلق الله الناس «من نفس واحدة ..» [النساء: ١].

(****) «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين» [الروم: ٢٢].

(*****) يرى الوجودي أن الحياة البشرية بلا غاية أو معنى» سترميد في الفلسفة الوجودية وأعلامها وأشكالها ص٤٠٧.

صفة، وخلائف، ومستخلفين، والغرض هو تحقيق إنسانية كريمة قائمة على أسس وسنن لاتتعارض مع أسس الكون وسننه في إقامة عالم حي متناسق، كريم ومتآلف وطيب وفريد وآمن. ولقد منح الله الإنسان كل مقومات الخلافة، وصفات خليفة، من «الاختيار» و«الإرادة» و«القدرة» و«الحرية» و«الفعل» و«الحركة» و«العلم» و«المسئولية» و«العقل» و«القلب» و«الوجدان» و«الشعور» و«الخيال» و«الحافظة» و«الفكر» و«العلم» و«البيان» و«التفاعل الواعي» و«الحب الخلاق» وغير ذلك من مقومات حياته الفردية والجماعية، العمرانية[٥] والحضارية. فالإنسان في الإسلام مريد مختار فاعل مسئول عن أعماله، سيد في أرضه وسلطانه، له قدرات مميزة كإنسان مميز، وكلها منح تكريمية إلهية يعرفها الانسان من نفسه وفطرته، ويعرفها من دينه وشريعته، وليس في الاسلام نفي لمقومات الإنسان أو إلغاء لصفاته. فكيف يلغيها وهي منح ربانية وآيات إنسانية وشروط عمرانية منهجية! ولذلك فإن إرادة الله لاتلغي إرادة الإنسان فقد خلقه مريداً ومختاراً ومسئولاً! وكما أن وجود الله لاينفي وجود الإنسان، فكمال الله لايلغي كمال الإنسان «وهل - كمال المخلوق مستفاد إلا من كمال خالقه؟»[١] وكذلك فعل الله لايبطل فعل الانسان، وصفات الله لاتحجب صفات الإنسان وإنما تمنحها وجوداً وحضوراً ونشاطاً وفاعلية! وحكم الله لايلغي حكم الإنسان إنما يضع له مباديء وسنن وقواعد ربانية لينطلق منها في بنيان عمرانه الاجتماعي وإجتماعه البشري وبيته

---

(٥) ويلفظ ابن خلدون فإن «الإجتماع الإنساني هو عمران العالم ... وان ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ... وهو العمران البشري والاجتماعي الانساني ... فإذن، هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني، والا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من استعمار العالم بهم واستخلافه إياهم، وهذا هو معنى العمران» مقدمة ابن خلدون ص٢٧، ٣٠، ٣٤ طبعة القاهرة ١٣٢٢ نقلا عن الإسلام والأمن الاجتماعي لمحمد عمارة ص١٢.

(١) البيان في أقسام القرآن لابن القيم ص٢٥ وهو الذي كمّل خلقك في أحسن تقويم ص٣٣

الأرضي! وهكذا فليس في الإسلام صراع بين الله والإنسان ولا بين الإلهية والإنسانية كما حدث في الفكر الفلسفي الغربي وسبَّب له أزماته الخطيره وأمراضه المزمنة وتناقضاته العجيبة فبالمقومات الإنسانية يستطيع الإنسان أن يقيم خلافة كريمة على الأرض وعمراناً بشرياً أصيلاً. يتعارف فيه الناس وتتكامل فيه المجتمعات، وتتمايز فيه القدرات، وتتفرد فيه الذوات والشخصيات بلا علو أو طغيان أو تألّه أو استغلال أو استعلاء أو استبداد من أحد على أحد ،والبشر(*) سواء، الكل سواسية لا فضل لأحد على أحد، لا لعربي على شرقي أو غربي ولا لأبيض على أسود، فالكل من آدم، والكل أبناء جنس بشري واحد وأبناء نوع فريد خاص له خصائصه المميزة في الوجود. وأي خلل في تفاعل هذه المقومات والقدرات يؤدي إلى تدمير خصائص الإنسان وتغيير وجهة حياته إلى حيوات رديئة ليست فيها حياة إنسانية أصيلة متكاملة وأمن اجتماعي مادي وروحي (**)

هذه هي المنهجية الإلهية وشروطها في إقامة حياة إنسانية صحيحة قائمة على عبودية الله وحده ونفي عبادة العباد للعباد!

وهي منهجية تقيم قواعد الدين القيم الأصيل، وتعيد صياغة الإنسان بعد أن مسخته الوثنيات والفلسفات القديمة (والحديثة)، وهي منهجية ترسخ مبادىء العدل الإلهي، وترد للإنسان نفسه التي افتقدها بضلاله في عالم الوثنيات

(*) وفي الآية (٧١) من سورة ص «إني خالق بشراً من طين» والبشر في اللغة هو ظهور الشيء مع حسن وجمال، وفي المعجم الكبير البشر الإنسان، للذكر والأنثى، وللواحد والمثنى والجمع.

(**) يقول الدكتور محمد عمارة «ففي الاجتماع المعاصر مستجدات في مصادر الخوف والقلق الإنساني، تستدعي استنباط سبل للأمن الاجتماعي من ذات الفلسفة الاسلامية المتميزة في هذا الميدان» فالرؤية الإسلامية «جامعة للمقومات الأمن الاجتماعي للعمران البشري جميعاً، الديني منها والفكري والمادي والإنساني، العوامل المستقلة، والمتساندة، والمتفاعلة لتحقيق ضرورات العمران الآمن للإنسان» «كتاب «الإسلام والأمن الاجتماعي» ص٢٥.

والفلسفات والمدنيات المستبدة(*)، إنها منهجية كريمة ترد له طبيعته الإنسانية وقيمته البشرية ومقوماته الأرضية وكرامته التي نُزعت منه وأُعطيت للأوثان والآلهة المزيفة. كما أنها ترد له سلطته التي أُقيل عنها وأُعطيت للطواغيت والكهنة وأرباب الاستبداد والاستغلال السياسي والمادي والديني والفلسفي(**).

إنها منهجية تسترد الصلة الضائعة والحلقة المفقودة، فتصل المخلوق بالخالق، والأرض بالسماء، والدنيا بالآخرة، والإنسان بذاته المفتقده، وبمجتمعه الإنساني العام.

وفوق ذلك فهي منهجية فريدة تقيم علاقة حميمة بين الإنسان والكون لتحقيق الفاعلية الشاملة للإنسان في الكون والتاريخ والمجتمع. وقد منحه الله وسائل العمران، وأدوات التسخير، وصور البيان والفرقان... منحه القلم الفعال وهو آية من آيات الله عز وجل ميز به الإنسان عن الحيوان وكثير من المخلوقات العلوية والسفلية.

يقول ابن القيم «فآياته سبحانه في تعليم البيان كآياته في خلق الإنسان»(1)

فبالمعرفة والبيان والحركة الفاعلة يكتب الإنسان الخبرة ويستكمل الدراية والدُربة فيحقق شروط خلافته على الأرض ويُتم أمانته التي حملها الله إياه لتعمير الأرض بإتقان وحكمه وبذلك يتمتع بحياة طيبة في الدنيا قبل الآخرة!

(*) كما ترد له كلمات الحق ومعانيها كما حرّرت عن ذلك الأستاذة الكبيرة زينب الغزالي بقولها إن سلطات الجاهلية سيطرت على ذرية آدم «لما خاضت من حياتهم معاني الكلمات، ووضعت عليهم جاهلية ووثنية بهتت بها كلمات الحق في جدلياتهم، وضاعت من بين أيديهم معانيها، وعاشوا وقد ماتت من شغافهم الكلمات.. كلمات الحق» من كتابها نحو بعث جديد ص١٧ وهو كتاب لم ار مثله لامرأة قبلها اللهم إلا كتابات حميدة قطب الأخيرة.

(**) ليس في الإسلام كما تعلم أخي الكريم أي صورة لأي وساطة بين الله والإنسان كالكهنوت والألهة الدنيا أو العليا المزعومة والتي نجدها في الوثنيات والأديان المنحرفة!

(1) البيان في القرآن ص١٢٧

فاعلية نظام الأفهام

إن «القلم» أداة لتسجيل التفاعلات الحية في النفس والمجتمع والتاريخ والكون المادي والآفاق ،وقد أقسم الله به في القرآن ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾(القلم:١).

وكما قال ابن القيم فإن «القلم» إحدى آيات الله، والأقلام نظام الأفهام» (٥) و«البيان» صورة توضيح وتبيين ، وفرقان، وتوصيف ، وفصل ضد الإجمال، وتمييز بين صور الأشياء ومعانيها وأسمائها وحقائقها وصفاتها، فهو أداة للتمييز، في تناول الأشياء وعرضها على حقيقتها بعد تصورها على ما هي عليه ومنحها أسماءها الاصلية وصفاتها الاولية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾(البقرة:٣١) ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(العلق:٥)..

ولقد جاء الإسلام تبياناً لكل شيء ورد الأشياء إلى أصولها ولتعديل الموازين المختلة، التي مسخت صور الكائنات وحقائق الموجودات وأسماء المخلوقات وبديهيات العقول وصفات الممكنات. ففي طريقه لبناء المنهج المعرفي في تناول السنن الكونية والشرعية، وفي سيره الحثيث لتغيير معالم الجاهلية التي كانت تَمْنح الإلهية للكواكب والنجوم كالشمس والقمر والزهرة، وعطارد وغير ذلك مما لا حقيقة لالوهية فيه (فما هي إلا أسماء لا أصل لها منحوها لهذه الآيات الكونية تأليها لها ورهبة منها وتقديساً). في هذا السير الحثيث استعرض القرآن صور الآيات الكونية الباهرة مُرْجِعا لها أسماءها وصفاتها وصورها الحقيقية، ونزع عنها الأسماء التي مُنحت لها من جاهليات الحضارات الوثنية العريقة، والمدنيات الكبرى كالحضارة اليونانية والمصرية واليمنية والهندية وغيرها من الحضارات والمدنيات التي ألهت الأشياء وتصورتها على غير صورها الحقيقية وصفاتها

---

(٥) قسم ابن قيم الجوزية القلم إلى أنواع من الأقلام، منها قلم الوحي، قلم طب الأبدان، قلم الحساب، قلم التحرير، قلم تواريخ العالم ووقائعه، قلم الرد على المضلين، وغير ذلك .انظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص١٢٦-١٣٣.

الأصلية ما جعل المسلم يعتدل في تصوراته وحركته نحو العالم! تقول الأستاذة «زيغريد هونكه» إن اليونان كأساتذتهم البابليين، قد أطلقوا على أبراج النجوم أسماء آلهتهم ومنحوها أشكال حيوانات في ميثولوجيتهم «أما العرب فإنهم لم يتخيلوا «صور النجوم» بل سموا الكواكب الثابتة بأسمائها، فكان لهم أسماء للنجوم أكثر مما كان لليونان.. الأمر الذي جعل لمعظم أسماء الكواكب الثابتة، فيما بعد، أسماء ذات مصدر عربي»[1]

«وقد لعبت أسبانيا الإسلامية دوراً عظيماً في الأبحاث الرياضية والفلكية، وعن طريقها تمكن العلماء الأوربيون من الاطلاع على مثل هذه العلوم الحية.

ويقول مونتجومري وات في كتابه فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص٢٥

لقد كان للآيات القرآنية الموحي بها من الله الدافع الرئيسي في حركة المسلمين نحو الكون الخارجي[٥] مع أن أول جماعة سمعت هذه الآيات كانت في بقعة صغيرة من الأرض لكنها بقعة مركزية ومهمة في الانطلاقة الأولى للدعوة وهي «مكة المكرمة» وهذه هي بعض الآيات: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر:١٣].

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ [لقمان:٢٠].

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا...﴾ [الجاثية:١٣].

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص١١٧، ١١٨.

(٥) يقول روجيه جارودي: ولقد أنجبت الحضارة العربية - الإسلامية، طيلة ألف عام، الماضي وهيأت المستقبل. ونقلت أوروبا عبر أسبانيا وصقلية ثقافة تكلفت بأعبائها ألف عام...» وعود الإسلام ص٩٩

وتقول زيغريد هونكه «وكان ثمة عبقريتهم الفذة الخلاقة الاختراعية التي طورت الآلات الموروثة، وابتكرت آلات جديدة أخرى، فأرسى بذلك حجر الأساس في صرح طريقتهم العلمية الصادقة في مراقبة الطبيعة من مراصدهم العديدة المختلفة فوصلوا إلى نتائج مذهلة فاقت نتائج القدامى أضف إلى ذلك مناهج بحوثهم العلمية المختلفة» شمس العرب ص١٢٦.

﴿وفي الأرض آياتٌ للموقنين (٢٠) وفي أنفسكم أفلا تبصرون (٢١) وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات: ٢٠-٢٢].

﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون (٣٦) وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون (٣٧) والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم (٣٨) والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم (٣٩) لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون﴾ [يس: ٣٦-٤٠].

ففتح الله عين الإنسان، الكائن الخطر الشأن، على رؤية آياته ودلائل قدرته، ووجَّههُ للنظر في آفاق الأرض وأعماق الكون - فنزع عنه الرهبة التي ملكت على شعوب الجاهليات القديمة حياتها وسكنت نفوس أبنائها الرهبة تجاه هذه الآيات الكونية التي ألهوها وقدّموا لها الأولاد والبنات ذبيحة وقرباناً وحرقا!! فكان في القرآن فتح كبير للإنسان، فتح في التعامل مع السنن الكونية والآيات العلوية وهو أعظم الفتوحات ... في توازن إنساني يحفظ العقل ويمسك الخيال عن الجموح والتطرف في حكمه على الأشياء ... ومن ثم يعتدل العمران الاجتماعي الإنساني وتتطور مدنيته ويسترد كرامته!

أعطى المنهج الإلهي القرآني الإنسان «القلم» في أول آيات تَنَزَّل على رسول الإنسانية محمد ﷺ عندما نبهه إلى أهميته وفاعليته، كما أشار عليه أنه منح الإنسان أداة عظيمة ألا وهي البيان أداة فصل ونظام فكر.

مهمة شاقة وحب غالب!

وكان على الجماعة المؤمنة الأولى من المسلمين توصيل هذه المفاهيم والحقائق المعرفية والقيمية والحضارية، بيد أن الأمر لم يكن سهلا في بيئات سيطرت عليها الوثنية دهراً طويلاً وغصتها في حمأة جاهليتها المُغيِّرة لطبيعة الإنسان ولمكانته في الكون والتي عمت أنحاء الأرض كلها!

لم تلق الدعوة الإسلامية في إعلاناتها الأولى القبول، ولم تستقبل الرسالة الكبرى في إستهلالاتها بالزهور والطبول! وإنما وجدت أمامها خصومة عنيفة وقوى وسلطات مستغلة تهدف إلى تكييل الإنسان وإخضاعه للسعبودية البغيضة لها ولأوثانها كما تهدف في النهاية إلى استغلالها وإحتقار إنسانيتها! فبدأت برصدها واضطهادها، وقاومتها مقاومة عنيدة وعنيفة في «مكة المكرمة» فلقد كانت الدعوة الإسلامية خطراً على تصوراتها وقيمها وخرافاتها اللاإنسانية، كما كانت خطراً على المزايا التي تحصل عليها جرّاء الوضع القائم كما كانت أيضاً خطراً على المواقع المميزة التي كانت قد استولت عليها في غياب من فاعلية الإنسان وحضوره الواعي؛ ذلك أن إقامة نظام إنساني يقوم على نزع السلطات عن المتألهين والطواغيت وإرجاعها إلى المنهجية الربانية التي أعطت السلطة (للإنسان/ الخليفة) وهي السلطة المؤسسة على قواعد التشريع الإلهي ومبادىء الدين الحق. ذلك أن إقامة هذا النظام إنما يعني تهديداً جدّياً للاستغلال المحتكر لكل مقومات الحياة وإزاحته من الوجود، الأمر الذي لا يرضى به المنحرفة من بني آدم والمتألهون من بني الإنسان والطواغيت الذين يؤسسون عروشهم على أطلال من الجماجم البشرية! ... ولذلك استخدموا كل وسائل الترهيب، والترغيب، والتعذيب، والقتل لعرقلة مسيرة الدعوة والقضاء على مقوماتها ورجالاتها والمؤمنين بها من الرجال والنساء. وفي الوقت الذي بدأت فيه الدعوة بالتفاعل مع الواقع والإحتكاك بالناس لتعريفهم بحقائق الوجود ومسئوليتهم تجاه العمران البشري.. كانت هناك امبراطوريتي فارس والروم تقومان بإستغلال أشد للإنسانية وتحطيم لكل مقومات الحياة والكرامة التي منحها الله إياها ولم يكن هناك عقيدة صحيحة للإنسان عن الألوهية وخصائص الربوبية فالوثنية كانت مسيطرة في الشرق والغرب والشمال والجنوب، والرسالات السماوية السابقة أصابها التحريف والغلو وداخلتها الأساطير والخرافات وسطت عليها الوثنية فغيرت معالمها ومسخت حقائقها ..

رسول الله وصنعة الله:

فماذا يمكن لإنسان أن يفعل في هذه الأوضاع المختلّة والنظم المستبدة القاهرة!؟ لذلك كانت معية الله مع رسوله محمد ﷺ منذ ولادته، يؤسسه شخصية فذة تستطيع مواجهة كل هذه الأوضاع.. وكل هذه السلطات والإمبراطوريات! منذ الطفولة والعناية الإلهية تصوغ شخصية محمد ﷺ في المجتمع!، وتصنعه(٥) وتصبغه بصبغة خاصة تأهيلا لحمل هذه الأمانة إلى الإنسانية كلها، ولتحمل مشاق وتكاليف هذه الرسالة الإلهية التي تحتاج أولى عزم من الرسل، وأولى قوة وأبصار. لم يأخذ الله رسوله إلى السماء ليربيه ويقويه ويصبغه بصبغة الرسل ثم يرسله إلى الأرض لمواجهة أعباء الدعوة وتكاليف الرسالة واستبداد الطواغيت!

لم يفعل الله ذلك مع أي رسول من البشر، بل كان يصنعهم في المجتمع، ويصبغهم في حركة الحياة الأرضية والنشاط الاجتماعي ويدمجهم في الواقع ويعركهم الحياة! لذلك لم تكن هذه التربية والصناعة للرسل بمعزل عن المجتمعات والبيئات والظروف المختلفة. لكن لا يعني ذلك أن الأنبياء والرسل يتأثرون بسلبيات المجتمعات أو بخرافاتهم وأساطيرهم أو بتصوراتهم عن الحياة والإنسان والكون والمجتمع!؟

---

(٥) يقول الله لموسى عليه السلام «ثم جئت على قدر يا موسى. ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ طه: ٤١. قال الله عن موسى أيضا ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ طه: ٣٩. ذكر الله موسى عليه السلام بهذه المنّة التي منها عليه وهو صغير وقال أيضا عنه ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ القصص: ١٤ وقال عن يوسف عليه السلام ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ...﴾ يوسف: ٦ فاجتباه وهو صغير وقال عنه أيضا ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف: ٢٢ فما بالك برسول الإنسانية كلها ؟!؟

وفي اصطفاء الله للرسل يقول «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس» الحج: ٧٥. وقال عن ابراهيم ويعقوب «أولي الأيدي والأبصار» «وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار» ص: ٤٧.

لقد كان الله يزودهم بالخصائص الإيجابية من مجتمعاتهم، والصفات الإنسانية الحقيقية من بيئاتهم بحيث يكونون الكمالات على الأرض ويصيرون النماذج الأصيلة في الإجتماع البشري، ويكونون «قوة عظيمة» تقاوم الطغيان، وعندئذ ينزل عليهم الوحي ويجعلهم أنبياء ورسلاً ويمنحهم الشريعة والمنهاج! لذلك لم تكن العناية بالرسول محمد ﷺ بمعزل عن هذه كله، كما كان هناك إرثاً إسماعيلياً - نسبة إلى اسماعيل عليه السلام وراثياً في الصفات الإنسانية(٥) والأخلاق الجليلة ورثها الرسول عن قبيلته وأهله. فكان الرحمة المهداة بحق.

ومن ذلك كله تشكلت شخصية الرسول محمد ، فتحددت سماتها النفسية والجسدية وتميزت قدراتها العقلية والعاطفية وبرزت معالمها الخَلقية والخُلقية كما عبّر حق الدكتور عماد الدين خليل في كتابه دراسات في السيرة النبوية. فكان الرسول الذي ارتضاه الله للبشرية في آخر مراحل وجودها على الأرض ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن:٢٦-٢٨]

وكما أن الله لم يضع رسوله خارج «التاريخ» وخارج الظروف الأرضية والعلاقات الاجتماعية البشرية فإنه كذلك لم يرسل معه عصا سحرية لقلب موازين العالم وتغيير مسار التاريخ! بل أمره بالدعوة، والتمهل، والتريث، والصبر، وتحمل الأذى والاضطهاد، وعدم استعجال النتائج وأعلمه لله في ذلك حِكَم عظيمة وغايات جليلة. وما عليه إلا التخطيط ودراسة الأوضاع، واستعمال السنن المتاحة، والبحث عن أجواء أفضل لحماية وأمان أتباعه حتى تتغير الأوضاع، وتتميز الصفوف، وتبرز الشخصيات القيادية! وأعلمه أن النصر لا يأتيه في الحال

---

(٥) يقول الله تعالى عن إسماعيل ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾[مريم: ٥٤-٥٥]

ولا ينزل عليه من السماء في التوا ذلك أن دعوة إلهية شاملة لهذه الأزمنة والأمكنة الأرضية حتى قيام الساعة تحتاج إلى جهاد عريض، وعمل دائب جهيد، ونفس طويل مديد، حتى تتغير النفوس، وتفهم العقول، وتتهيأ الفِطر، وتتجلد الأذهان، ويتيقظ الوعي، وتتقوى الإرادات، وتتمتن الأخلاق وتنزاح العوائق وتلين العقبات، وتخف المنعطفات، وتتيقن القلوب، وتتمحص النفوس، وتصل الدعوة إلى الأقطار والأمصار، ويسمع عنها الرجال والنساء والصغار.

فهم الرسول من التاريخ الذي عُرض عليه في القرآن مغزاه وسننه ومقاصده فالتفت إلى العمل وواجبات الدعوة وصبر على الأذى، وهو في حب عجيب للدعوة، فكان الله يثبته ويريه آياته وينزل عليه السور الطوال والقصار فكان يقوم بتفعيل الدعوة، والإعلام، والتبشير بالنصر، والتثبيت، وضرب الأمثال، وكشف السنن الإلهية في التاريخ والمجتمعات وتعلن له هذه السور والآيات أن الله لابد ناصره ومعينه، وأن العاقبة للمتقين[٥] وبالفعل نصره الله وانتشرت الدعوة في مشارق الأرض ومغاربها وتمت كلمة الله وتحققت وعوده وأقبلت وفوده من المشارق والمغارب تبايع على الإسلام. وتحقق علم الله في رسوله محمد ﷺ فكان خير رسول، أدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، وصبر وتحمل أعباء الدعوة، ومشاق التبليغ، فكان الرحمة المهداة، وكان صادق الوعد كجده إسماعيل عليه السلام. لقد علمه الله سنن المجتمعات وأراه طبائع الناس وجعله خبيراً بأوضاع الجزيرة العربية وأنظمتها وأمرائها وحكامها وغير ذلك من الأمور المهمة في شخصه ﷺ حتى قال رجل غربي حديث يعمل في وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية ناسا - وهو محام! - وهو عالم أمريكي اسمه «مايكل هارت» في كتابه (المائة: تصنيف لأعظم الشخصيات أثراً في التاريخ) «... محمد كان هو الإنسان الوحيد في التاريخ

---

(٥) «كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله لقوي عزيز» المجادلة: ٢١

قمي بلغ درجات النجاح على المستويين الديني والدنيوي، ويقول «بسبب هذا الجمع الذي لا نظير له بين الدنيا والآخرة أرى أن محمداً من حقه أن يعتبر أعظم الشخصيات البارزة أثراً في تاريخ الإنسانية»[1].

رسالة ضخمة وجيل متجرد:

وهكذا كان الله يؤهل محمداً لقيادة البشرية ولحمل أعباء رسالة إلهية ضخمة تحتاج لرسول فذ وحكيم ولنبي كفء قدير وشخصية قوية .. عادلة ورحيمة وكذلك اختار الله صحابته الذين تهيئت نفوسهم، وتجددت عقولهم، وتربت خلاقهم، فبذلوا الغالي والرخيص في سبيل الله، وتركوا أموالهم وأوطانهم حماية لهذا الدين الذي استخلصهم من الناس لتوصيله رسالة إلى العالمين. وهم أيضا لم ينظروا خارقة من السماء أو نصراً سريعاً وكانوا قد فهموا من الوحي الإلهي أنه لا محال في هذه الدعوة للطفرات والقفزات وخرق المراحل، بل جهاد وصبر، وبذل نفس ونفيس، حتى يحدث النصر للجيل الفريد، جيل النصر المنشود.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا...﴾(النور:٥٥). ولقد تحقق الموعود وتم النصر المنشود ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(الحج:٤٠) ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(الحشر:٨-٩).

كانوا يعلمون أن لله سننا في التاريخ والاجتماع البشري ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ النَّاسُ

---

(١) انظر كتاب الإسلام في الفكر الغربي ص ٤٠، ٤٤.

أن يَتْرُكُوا أن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾(العنكبوت:١-٣) وأنه لا محاباة لأمة من الأمم أو جماعة من الجماعات! «ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم» سنة الله في تمييز الناس عربياً كانوا أم غير عرب فالكل سواسية أمام السنن الإلهية! فسنة الله هي عزل العناصر الخبيثة والشوائب الهشة عن المعادن النفيسة والفلزات الثمينة ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾(الرعد:١٧). فظهرت صلابة الرجال وبرزت عزائم الأفذاذ ونفع الله بهم البلايين على طول التاريخ!

وهكذا فالإسلام باق إلى قيام الساعة وقد نفع الله به بلايين البشر إلى يومنا هذا!

يقول الدكتور رغلول النجار تعليقاً على هذه الآية الكريمة: «هذا المثل القرآني الرائع يشبه باطل الدنيا بالزبد الذي يطفو فوق أسطح السيول المتدفقة بالماء في الأودية الضيقة والواسعة على حد سواء، أو بما يشبهه من الزبد الذي يطفو فوق أسطح المعادن الفلزية النفيسة والنافعة حينما يتم صهرها مع بعض المواد لتنقيتها من الشوائب العالقة بها... نهايته البذ والإلقاء... وكذلك الباطل» (١)

تحرير شامل للإنسان:

إن تحقيق هذه السنن الإلهية في التمحيص والفرز وانتخاب المعادن الثمينة الصلبة يستلزم تحقيق المواجهة بين الاستبداد بوسائله العنيفة، والحق برجاله الأفذاذ الأصلاب القادرين على حمايته ودعمه ونصره ودفع رسالته الغالية إلى الأمام!

وبعد مراحل من الصبر والتربث والجهاد والمواجهة المسلحة ظهرت بشائر النصر بانزياح سلطان الجاهلية عن نفوس الناس، فبدأت قيمها ورموزها وكهنتها تنهار، فتحطمت الوثنيات القائمة والخرافات السائدة، وزالت آثار الحضارات البائدة

(١) مقاله له بجريدة الأهرام ١١ مارس ٢٠٠٢ .

والتي كان لها سطوة على النفوس كما كان لها إرثاً خرافياً ودينياً واجتماعياً وسياسياً عمل قرونا طوالاً على إعاقة حركة الإنسان إلى الأمام وقتل فاعليته في استخدام سنن الكون واستقراء التاريخ والواقع والكشف عن القوانين التاريخية والاجتماعية واستخلاص نتائجها لمصلحة الجنس البشري والإنساني في كل مكان وزمان بصرف النظر عن جنسه أو لونه أو عرقه أو دينه!

بيد أن الإسلام لم يحرر الإنسان ليشركه مرة أخرى فريسة للأهواء والخيال الفاسد والأساطير والخرافات الحضارية! ، وإنما كانت الآيات القرآنية تفتح وعيه على سنن وقواعد ومبادىء وتشريعات لينطلق منها إلى بناء مدنية كريمة وحضارة إنسانية عظيمة، تُعَرِّفه إمكاناته الإنسانية الفريدة! فانطلق العقل المسلم حراً طليقاً، يتعامل مع السنن الكونية والتاريخية والاجتماعية بلا رهبة أو أساطير، أو عوائق شرعية أو نفسية أو محاذير وبلا خوف من مخالفة دينية أو عقوبة إلهية!!

﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾(لقمان:٢٠).

﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ۝ إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون ﴾(يونس:٥-٦).

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ يقول ابن قيم الجوزيه تعليقاً على هذه الآية منذ أكثر من ٧٠٠ سنة «وهذه الإرادة لا تختص بقرن دون قرن بل لابد أن يرى الله سبحانه أهل كل قرن من الآيات ما يبين لهم أنه الله الذي لا إله إلا هو، وأن رسله صادقون»[1] .

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ص١٨٩.

وهو يدعو الإنسان المسلم للإسهام في كشف الآيات والسنن وعرضها آيات بينات على الناس، وقد بدأ القرآن بلفت نظره إلى السموات كما دعا المشركين إلى النظر إلى السموات والأيات بحس يقظ وعقل قاري،!! ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس:١٠١).

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ...﴾ (الأنبياء:٣٠).

لقد حددت هذه الآيات اهتمامات الإنسان، ورسمت له دستوراً علمياً يعتمد على النظر والرؤية، والاستنتاج والاستنباط، والفحص والتجربة وأنشئت له مقاصد وغايات، وشرائع وشعائر تعينه على بلوغ الهدف المنشود مع تسليم تام لله. وعبودية حقه للرب.

هذه الآيات الكريمه والتي تحمل النموذج الأسمى لتحرير الإنسان من الأوهام والخرافات، لامست روح المسلم لمساً لطيفاً منعشاً فشوقته إلى المعرفة واتخاذ سبل البحث والترقي، وملأت عليه حسه وسمعه وبصره، وأنعشت بصيرته واستولت على لبّه وعقله، وداعبت خياله ووجدانه، وحمّست إرادته ونشّطت ذاكرته! فإذا به في قرون معدودة ينشيء منهجاً علمياً بحثياً تجريبياً متكاملاً لا سابق له في التاريخ!

يقول «جوستاف لوبون» في فصل له عن «مناهج العرب العلمية» من كتابه «حضارة العرب»: «ويُعزى إلى «بيكون» على العموم أنه أول من أقام التجربة والترصد الذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الأستاذ، ولكن يجب أن نعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم ..وقد أبدى هذا الرأى جميع العلماء الذين درسوا مؤلفات العرب»(١).

(١) انظر كتاب الدنيا في عصر العلم للفرضاوي ص١٧-٣٧.

ويقول بريفولت «إن ما يدين به عالمنا لعلم العرب ليس هو ما قدّموه لنا من كشافاتهم لنظريات مبتكرة غير ساكنة. إن العلم يدين للثقافة العربية بأكثر من هذا. إنه يدين لها بوجوده»(١).

فلم يحتاج المسلم يوما من حياته أن يُغيِّر في أصول الاسلام لكي يتقدم ويتطور ويرقى وذلك لسبب بسيط هو أن الإسلام نفسه سبب التطور والتقدم والرقي وهو رسالة الله التي لاتتبدل ولاتتغير فهي رسالة كريمة إذا تولى الإنسان بعيداً عنها فإن حياته تصير غير إنسانية أقرب للحيوان منها للإنسان، وأبعد في مقاصدها وغاياتها وقواعدها عن مقاصد الإنسان وغاياته وقواعده ومبادئه الكلية وأهدافه العليا التي ارتضاها الله له، وجعلها له ميثاقاً وعهداً وعقداً وأمانة يحملها على عاتقه جيلاً بعد جيل محاولاً إقامة مجتمع إنساني كريم على الله رحيم بالإنسان(٥).

دراسة التاريخ البشري واستخلاص فقهه واستخلاص قوانينه وسننه:

لقد استعرض القرآن تاريخ (وحدات بشرية هامة) وكشف عن سننها في القيام والانهيار ووَضَع العبر والدلالات، وساق الامثال والآيات. وأخبر أنه سبحانه لرسل رسلاً لتقويم الاعوجاج ولتعديل الموازين التي اختلت بين يدي الإنسان تخلفه عن تحقيق شروط وجوده وغاية حياته على الأرض ومسئولية إنسانيته الشريفة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(الانبياء:٢٥) ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(النحل:٣٦). ﴿... ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾(المؤمنون:٤٤).

---

(١) نفسه.

(٥) ومن ذلك يقول مونتجومري وات: «وإننا لنجد شيئاً لا يكاد العقل يصدقه، وبالتالي فهو أمر يخلب اللب» حين نفرأ عن كيف تحولت الحضارات القديمة في الشرق الأوسط إلى حضارة إسلامية .. اعتنق الإسلام الكثيرون من حملة شملات الحضارات السالفة» من كتابه فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص١٩....

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾[سبأ:٣٤]. ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾[الزخرف:٦]. لقد ضرب الله هذه الأمثال التاريخية وأبرز قصص الصراع بين الحق والباطل حتى يتهيأ المسلمون لأخذ النموذج الرباني الذي يليق بالإنسان ويتوافق مع الغاية التي أرادها الله من خلافته وحياته على الأرض ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[النور:٣٤]. ولقد ذكر سبحانه بعد أن ساق هذه الآية العالية القيمة في الخبرة التاريخية المطلوبة وفي ترسيخ منهج كوني، ذكر أن الله نور السموات والأرض، وهي إشارة لافتة للنظر، اشارة لمصدر سعادة الإنسان في الدارين ومرجعية التنوير الحضاري والاشعاع التاريخي ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[النور:٣٥].

فالقرى والدول والحضارات الوثنية التي خلت رفضت سنن العمران الحقيقي، ورفضت دعوة المؤرخين الحقيقية ونقاد التاريخ وموازينهم الربانية وقيمهم الاجتماعية الإنسانية... رفضوا الأنبياء والمرسلين... والدعاة والمصلحين فأهلكهم الله ودمّر مدنهم وأزال حضاراتهم ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾[الفرقان:٣٨-٣٩]. فتوارت قراهم ومدنهم عن الوجود، وغابت حضاراتهم عن الحياة والنشاط! وساخت المدنيات في أغوار الأرض وأعماق البحار.. واختفى الضجيج وواراه الثرى وأطبق عليه الصمت وترك آثاره المهيبة على أطلال وبقايا الهلاك ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[مريم:٩٨] ﴿فَمَا اسْطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾[الذاريات:١٥]. ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[النمل:٥٢].

السنن الكبرى وكتاب الله المقروء:

لقد أبرز القرآن فاعلية السنن التاريخية في الاجتماع البشري، وبيّن أسباب هلاك المجتمعات وأسباب تدميرها وفنائها وهلاكها وانهيار مدنياتها وحضاراتها. وأخبر أنه لا معنى لإقامة بعض السنن العمرانية وإهمال السنن الأخرى فللعمران البشري سننٌ كلية هامة، وبيّن أن تجاوز بعضها يعني حدوث الخلل وقد يكون الانهيار أو الهلاك الشديد! ﴿... فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾[فاطر:٤٣]. يقول تعالى ﴿.. سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[الأحزاب:٣٨] وما هلاك الأمم السالفة إلا باختلال موازينها الدينية والإنسانية والأخلاقية والاجتماعية.. وقد كان الأنبياء يعرضون عليها المناهج الربانية في الإصلاح والتعمير لكنها نفرت واشمأزت واستكبرت وعميت عن الحقيقة المُنجية!

﴿.. قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾[الروم:٤٢] والآيات تدفع المسلم لقراءة التاريخ واستقراء سننه ودلالاته وأخذ العبرة والعظة الثمينة! يقول تعالى عن هلاك قوم شعيب ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[الحجر:٧٨،٧٩] ويقول ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ...﴾[العنكبوت:٣٨] وبعد عرض إهلاكه لقوم لوط المسرفين قال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٧٥-٧٧]

والمتوسمون هم الذين يتفرسون ويقدرون على استنباط الأمور بحسب تعبير المهندس أحمد عبدالوهاب[1]

وقد كان رسول الله ﷺ وصحابته يعرفون مواقع التدمير الذي لحق ببعض الأمم القديمة، حتى إنه ﷺ حذّر صحابته من الدخول على مساكن ثمود -

---

(١) أساسيات العلوم الفلرية الحديثة ص١٥٢ وهو كتاب هام للغاية، فهو يسرد أن هلاك هذه الأمم كان بالتدمير الذري والكارثة الفلرية.

أصحاب الحجر - حذراً من أن يصيبهم ما أصابهم، وقد مر عليها وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع (هجرية) ولما إستقى الناس من آبار ثمود «أمرهم النبي ﷺ - فأحرقوا القدور..»[1].

وفي هذا إشارة أن هذا التدمير كانت له آثاره ومازالت في الأرض ومياهه إذا شربها الإنسان مؤمناً أو كافراً، فإنها تصيبه بالمرض فكان أمر الرسول باهراق المياه والإسراع بالخروج.

ولقد كانت الآيات القرآنية تفتح أعين الصحابة على سنن الهلاك وكانت إشارات الرسول بياناً واضحاً، وقد تعرفوا على علامات وقوانين ودلالات محكمة وفهموا مغزاها وأهميتها وفاعليتها في التاريخ وذلك من القراءة الواعية للقرآن الكريم، فالاستبداد والطغيان من أسباب انهيار المجتمعات وانحطاط العقول وضياع العلوم وفناء (الأقلام) وذهاب (البيان)!

والاستغلال الاقتصادي والترف المادي محطم للقيم الإنسانية ومكبّل لروح الإنسان ومنشيء للكفر والأمراض الاجتماعية والنفسية والفكرية الخطيرة ومُدمِّر للفطرة التي فطر الله الناس عليها والتي لا تعيش في توازن وصفاء إلا في أجواء التكريم والتعليم ومناخ الاعتدال وعدم الإسراف وإعطاء كل ذي حق حقه وإلا قاومت وانتفضت أو تميّعت وخارت قواها وضاعت مروّتها، واستمرئت الاستعباد وألفت الاستضعاف والذل والخنوع والمسخ المنظم!

والظلم الاجتماعي مدمر لوحدات المجتمع ومنشيء للكراهية والاحقاد والحرب وسفك الدماء وهو ماسخ لمعالم الفطرة ومحطم للعلاقات الإنسانية الاصيلة ومرسخ لسنن الاستغلال. والفكر المنحرف بأنواعه المختلفة يمسخ معالم الفطرة

---

(١) والروايات في تفسير ابن كثير في سورة الأعراف، كما هي في صحيح مسلم الجزء ١٨ ص١٠٠. كما أشار المهندس أحمد عبدالوهاب ص١٤٢.

الإنسانية، كما أنه معين للعقل الحر عن الوصول إلى الحقائق الكلية والمعارف الشاملة والمعاني الكاملة فيحتفي بالجزء ويكتفي بالبعض.. وهذا ينطبق على الفكر الديني المنحرف والفكر المادي المفسد للعقل والمدمر للقيم العليا والسنن الكبرى كالوثنية وانحرافات أهل الكتاب وفكر بعض المسلمين القاصر عن بلوغ أبعاد الإسلام الشاملة والمضيع للكليات من أجل تحقيق الجزئيات! وكالمذاهب المادية الغربية التي فرحت بما عندها من العلم وذهبت تضع للعالم نظرات قاصرة جزئية لاترى من العالم إلا جزئه المادي وحتى هذا الجزء فإنها تدمره وتفسده وتجعله هو الأصل والغاية ..! وكما تعيق الخرافة الدينية الحياة عن التقدم والوصول إلى نظرة معتدلة للموجودات والأشياء كذلك فإن الخرافة العلمية المادية والتي تنكر عالم الغيب تعيق انطلاقة النشاط البشري والرؤية البعيدة الشاملة لمعاني الوجود البشري ولسنن الكون المطلقة وللتعرف على مسار التاريخ الإنساني العام بكل وحداته ومختلف طبقاته.

لقد أبرز الإسلام هذه العلامات الدالة ، والدلالات الحية ، فأحيا في المسلم النظرة الشاملة والفكرة الكاملة والفقه المتزن والعقيدة الصحيحة. وكشف له عن سنته في التعامل مع المجتمعات البالية وشرح له ظروفها المادية والفكرية وكشف له عن شروطها التاريخية والمادية.

نماذج تاريخية.. والعبرة:

كان الهدف الرئيسي لعرض القصص التاريخي في القرآن هو كشف السنن وسوق العبر واستقراء التاريخ وكشف القوانين الاجتماعية والنفسية والتاريخية بيد أنه لم يسرد الوقائع والأحداث كلها التي عاشتها القرون الماضية بتفاصيلها الجزئية، فهذه ليست طريقة القرآن في تناول الأحداث التاريخية، وإنما طريقة القرآن العظيم المثلى هي اختيار (وحدات هامة) في السياق التاريخي البشري تنوب عن التاريخ العام كله وتغني عن تفاصيله الدقيقة، فالقرآن ليس كتاب تاريخ بالمعنى المتعارف

عليه لهذه الكلمة أي انه ليس كتاب يسرد وقائعه التفصيلية التي تخرج عن هدفه والمقصد والمغزى من إنزاله فليس الهدف من هداية الإنسان إنزال كتاب تفصيلي يحكي له الوقائع والأحداث من يوم آدم حتى نزول الرسالة المحمدية وإنما الوسيلة الحكيمة والمثلى هي اختيار (وحدات تاريخية) لها أهميتها التاريخية والحضارية والدينية والعلمية والتي لاتخرج عن غرض الكتاب ولا تصيب المتلقي له بالملل وبالإعراض والكلل وهي ما حققها الوحي الإلهي بصوره الإعجازية المختلفة! على أنه ينبغي هنا أن لا نغفل القول بأن القرآن لم يغفل الجوانب الاقتصادية والسياسية، الاجتماعية، والدينية، البيئية والجغرافية في سرده للأحداث والوقائع والتواريخ التي ساقها، فكان أن عرض النموذج المعين ولم يغفل جوانبه المختلفة وظروفه المادية وشروطه الاجتماعية ووسائله المعيشية ونموه المادي والفكري. وهذا هو النموذج الكامل في الإلمام بنقطة تاريخية ما أو وحدة تاريخية معينة وكشف معالمها وإبراز نقاط القوة والضعف فيها ومكامن الخلل والتناقض والانحدار كما يبرز موقف العناية الإلهية من هذه المرحلة المعنية وهذه الكتلة التاريخية المحددة، فأثناء عرض القرآن العظيم لهذه النماذج والوحدات التاريخية ذكر طرائق حياة أهلها ووسائل معايشهم، ذكر الصناعات والمزروعات والبيئات والجغرافيا ونوع الحكومات والسياسات وصور العلو والاستبداد والاستغلال والاستعباد وصور الملأ والرهط، والرؤوس والجماعات المسيطرة، وأخبر عن الملوك والكهنة والسلطات ومدى مبلغهم من العلم والفكر والقوة وصور الوثنيات والأساطير التي كانت تتحكم في البيئات والنموذج المعروض .

والقارىء للقرآن يمكنه التعرف على ذلك بالتفصيل، لكن سأعرض هنا لبعض الإشارات التي تفيد القارىء الكريم.

ففي مخاطبة رسول الله هود لقومه (عاد) بعد تذكيرهم بالتوحيد يأتي قوله

﴿تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣٠]. وكانوا يشعرون من أنفسهم القوة التي يظنون أنها تغنيهم عن الله عز وجل ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً . . .﴾ [فصلت: ١٥] ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩].

وعن الأسماء التي لا حقيقة لها والصفات التي لا أصل لها والتي منحوها لآلهتهم وجبابرتهم يقول لهم هود وهو يرد الحقائق إلى أصولها: ﴿. . . أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ . . .﴾ [الأعراف: ٧١]. فذكر عنهم مع الشرك التجبر والتكبر والتوسع في الدنيا وشدة البطش.

وفي نقد «شعيب» عليه السلام لمعالم مجتمعه من خلال المنهج الإلهي نجده يقول لهم ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١-١٨٣]. وصورة أخرى لصالح نجدها في قوله لثمود غير عابئ بمدنيتهم ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٦-١٤٩] ﴿. . . وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤] ويقول الله عز وجل عن حوار صالح مع مدينة ثمود المتغطرسة ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا . . .﴾ [هود: ٦١] ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢].

ويجمع الله عاداً وثمود في قوله ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ . . .﴾ [العنكبوت: ٣٨]. ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ [النجم: ٥٠-٥٢].

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان:٢٥-٢٩]. «وكم أهلكنا من القرون هم أحسن أثاثا ورءيا» ولوط إذ ينقد معالم مجتمعه ويعلن لهم أنها مفسدة للعمران البشري والبنيان الاجتماعي والفطرة الإنسانية ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ...﴾ [العنكبوت:٢٩]. ويقول ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء ١٦٥-١٦٧].

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام عن تدمير هذه المعالم المادية والإجتماعية المفسدة لصورة العمران البشري وطبيعته أخبره عن هلاك وشيك وإقتلاع سريع: ﴿... إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت:٣١]. وفوق الشرك الذي كانوا عليه، كانوا يقلبون الأوضاع الإنسانية رأساً على عقب فكان جزاؤهم قلب مدينتهم، قلب عاليها سافلها! ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٧٣-٧٧].

فاعتبرت الشريعة السماوية هذه الطبيعة المنحرفة انحرافاً عنيفاً عن سنن الاجتماع البشري الصحيح وإسرافاً في التفاعل الاجتماعي وتطرفاً في بنيانه العمراني والإنساني ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف:٨١]. فجعل الله هذه المدينة آية على الانحراف الذي يجب أن تنأى البشرية بنفسها عن الوقوع فيه مرة أخرى، وترك آية هيمته ظاهرة في آثارها الراسخة في أعماق الأرض وصخورها وجغرافيتها ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت:٣٥]. [وانظر الذاريات: ٣٧].

لما فرعون وملؤه وقومه فهم علامة على الاستكبار في التاريخ والعلو البغيض في العمران والاستخفاف المحقر للإنسان ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(القصص:٤). ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾(الزخرف:٥٤). فالعلو البغيض لا يستمكن من العمران الاجتماعي إلا باستخفاف الناس والتآمر عليهم بجعلهم شيعا مفرقين لا يستطيعون مقاومته أو منابذته ونشر الفساد والفحشاء بينهم وإقرار الاسراف والتنوع في حياتهم! بذلك يُضل المتعالون الناس ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾(طه:٧٩). ولذلك أرسل الله من يحاول تعريف الناس بمنهج الله، أرسل موسى وهارون ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾(المؤمنون:٤٦). فأهلكه الله فما اغنت عنه أملاكه وأوتاده وعمرانه ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾(الفجر:٦-١٠).

إنحراف يهود !

رأى بنو إسرائيل آيات الله وسننه في العمران الاجتماعي الفاسد، كما سمعوا ودرسوا المنهج الصحيح من النبي المصلح موسى عليه السلام، فاهتدوا به فترة من حياتهم ثم انحرفوا كما انحرف فرعون وملؤه، وكانت عقوبتهم شديدة، ذلك أنهم كانوا يقرءون منهج الله ويعرفون قوانينه وشرائعه. لكنهم انحرفوا وانتكسوا أيضاً وعلو في الأرض بغير الحق بل وغيروا دين الله وعبثوا بالوحي الإلهي ومسخوا القوانين التي تُصلح العالم، وكتموا، وحرفوا، وقلبوا أوضاع التاريخ، وكتبوا القصص المزيفة عن الأنبياء والرسل، وأضافوا الخرافات والأساطير على سيرهم وتواريخهم، فخالفوا بذلك شروط عقد وعهد الاستخلاف الذي كانوا يعرفونه أكثر من أي أمة مضت ففيعوا الحقائق وأخلوا بالعهد والمواثيق والموازين الإلهية ولذلك

كان القرآن شديداً في مواجهتهم وحاسماً في كشفهم وتبكيتهم وقد ذكر القرآن الكريم مخالفتهم العنيدة للشريعة الربانية ما أدى إلى تخصيص مساحات عريضة من سور كاملة في بيان انحرافهم ومخالفتهم للقوانين الكونية والاجتماعية والإلهية، فقد خصص لبيان ذلك مقاطع كبيرة من سورة البقرة وآل عمران والمائدة والأعراف وغير ذلك من السور تنبيها إلى شناعة ما قاموا به من تدمير للحقائق مما يعني أن في عرض تاريخ بني اسرائيل كشف لحقائق إنسانية واجتماعية وإلهية هامة. فهو تاريخ تقلب بين الاستقامة والانحراف، والهدى والضلالة بيد أن الهدف الأسمى من عرض هذه الحقائق وبيان مساوىء هذه الانحرافات هو تعريف المسلمين بإلهية الله عز وجل وأنه لا يحابي أحداً وإنما من اهتدى وأصلح فهو عند الله عز وجل خليفة صالح، ذكراً كان أو أنثى، ومن ضل واستكبر وانحرف وجحد فهو أقرب إلى الحيوان منه إلى الخليفة الإنسان. وأدنى إلى عالم القردة والخنازير منه إلى عالم الإنسان الذي خلقه الله خلقاً خاصاً وكرمه وميزه عن كثير من مخلوقاته..

سبأ الهالكة:

أما «سبأ» وقد كانت لها حضارة مشيدة وعمران عظيم فيقول القرآن فيها: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ:١٥-١٧] وقد ذكر الله أنه مَنَّ عليهم بأمان ويسر ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[سبأ:١٨]. أما عن النماذج الفردية في الاستغلال والطغيان فاقرأ قول الله عز وجل عن فرعون أو النمرود أو قارون، فقارون نموذجاً ومثالاً على الاستغلال الاقتصادي والترف الذاتي، والبغي الفردي ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ...﴾ إلى آخر الآية من

سيرة القصص: ٧٦. ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾(القصص:٧٨). وهناك آيات عامة عن القرى المحطَّمة والحضارات القوية الطاغية والمدنيات التي واراها التراب. وهي آيات هدفة وهامة.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٥،٤٦].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص:٥٨،٥٩].

هذه هي المنهجية الربانية في التعامل مع المخالفات الضخمة للأمم البشرية! ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ....﴾(الروم:٩). ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾(فاطر:٤٤). ﴿.... كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ ...﴾(غافر:٢١). ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ...﴾ (سبأ: ٣٤-٣٧).

ولا شك أن إنسانية الإنسان وكرامته قد ضاعت وسُحقت في هذه المناخات العمرانية المتبدة!

لقد حقق الإسلام نقلة عجيبة في حياة الإنسان كما صنع تحولات مدهشة في نظرته إلى الكون وكما قال «ديدرو الانبرتي» فقد أضاء مشعل العلوم والفنون الجزيرة العربية قبل أن يظهر له أدنى بصيص في الأمم الأخرى، مما يؤكد لقب بكوريتها على الأرض كُلِّها. ظهرت بها أولاً العلوم المفيدة قبل فنون المتعة، وكان العرب هم أول من أخذ الانطلاقة نحو السماء ليتأملوا كواكبها. إنهم شعب يقيل تحت سماء صافية لاغيوم تكدرها، متشغل فقط برعي غنمه عبر سهول عارية أو فوق قمم الجبال، وقد أستطاع رغم ذلك أن يكتب معلومات سريعة عن الكواكب، والنجوم ومما يدل على أنهم كانوا السباقين إلى عالم الفلك هو أن الأسماء التي تشير إلى هذه الأجسام الفضائية هي أسماء حيوانات معروفة بهذه المنطقة»[1].

ويقول البارون «كارادي فو» «إن العرب ارتقوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسمى، في الوقت الذي كان العالم المسيحي يناضل نضال المستميت للإنعتاق من أحابيل البربرية وأغلالها، ووصل الامر إلى ذروة ازدهارهم العلمي في القرنين التاسع والعاشر (الميلاديين). واستمر ذلك الازدهار إلى القرن الخامس عشر، ومن القرن الثاني عشر فصاعداً كانت حواضر العرب محط أنظار كل غربي يميل إلى العلم ويتلوقه»

إن الإسلام في الحقيقة هو الذي دفع العرب وغير العرب ممن كانوا يعيشون في البلاد الإسلامية وليت العربية فقط، إلى اكتساب المعلومات بسرعة مدهشة، حتى أضاءت بقوة مشاعل العلوم العقلية والعلمية والعملية التي أقبل عليها الغربيون بدءاً من القرن الثاني عشر، وذهب كثيرون إلى حواضر المسلمين كبلاد

---

(١) كتاب « عربي هل قالوا عربي؟ ص١٧٦، ١٧٧ وانظر إلى موسوعة ١٧٧٢.

الأندلس في أسبانيا والبرتغال لينهلوا منها بلا عنصرية من الأساتذة لطالبي العلم من كل الأجناس والأديان واللغات والألوان.

يقول «فولتير» في (دراسة عن الطبائع) (١٧٥٦): «لقد عني العرب بالكيمياء والطب، فالكيمياء التي طورناها نحن اليوم لم تصلنا إلا عن طريقهم، وإننا مدينون لهم كذلك بأدوية جديدة، وهي أقل مرارة وأكثر شفاء من الأدوية المستعملة قبلها من لدن المدرسة الأبوقراطية، وأما الجبر فمن اختراعاتهم، وهذه الكلمة هي برهان كاف، لأنها تحمل إسم العربي الشهير جابر الذي كان يعلم هذا الفن في القرن VIII من تاريخنا، وأخيل، كان على مسيحي الغرب أن يتعلموا عند المسلمين»[١].

وتقول الأستاذة الكبيرة «ريجريد هونكه» إن المسلمين «أبدعوا في علوم الصريات والفيزياء والكيمياء القائمة على التجربة، وعلم حساب المثلثات، وعلم الجتماع وفضلا عما لا يحصى عده من المكتشفات والمبتكرات الثمينة في مجال العلوم التجريبية، فإن أثمن هدية قدمها المسلمون للغرب هي منهجهم في البحث العلمي» وفي كتابها «الله ليس كذلك» قالت: «لقد قدم العرب مع نتائج بحوثهم الغنية وبطرق بحوثهم العلمية البواعث التي أشعلت الشرارة الأولى لإطلاق البحث العلمي الذي كان منذ القرن التاسع عشر مشلولاً يكاد يموت خنقاً»[٢].

ومع أن «هيجل» زعم أن تجريدية - هكذا ! - الإسلام سلبية وهو ما يناقض حقيقة الإسلام الذي حرّك العالم للأمام ودفع الإنسان للعلم وأطلق طاقاته العقلية والفنية والاجتماعية لاستقراء السنن الكونية والاجتماعية، مع أن هيجل قال سلبية الإسلام تزييفا لمفاهيم الاسلام إلا أنه ككثير من أمثاله قال «توصل الغرب

---

(١) المرجع السابق، كتاب «عربي ....» ص١٧٦.

(٢) كتاب (الله ليس كذلك) - د.زيجريد هونكة ص ٨٢.

إلى العلوم والمعرفة، خصوصاً منها الفلسفة عن طريق العرب» (١) .

إن ما توصلوا إليه من العلوم التجريبية والعقلية كان بفضل أوامر الإسلام وتحريضه - إن صح التعبير - للمسلمين على دراسة الماضي والحاضر، ودراسة الأرض والسماء .. من هذه الدفعة العلمية القرآنية علمّوا وأفادوا الإنسان كله.

ويقول «جوستاف لوبون» «إن العرب هم الذين علّموا العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين». إن الإسلام هو الذي حرر عقولهم في الحقيقة لكنه لم يحررهم من الدين فكيف يحررهم ممن يحررهم؟! وكيف يفك قيودهم ممن حطّم قيودهم؟! إن الله عز وجل هو الذي حرر البشرية من أوثانها المادية والكتابية. وأعطاها قيماً جديدة ورووحاً جديداً، ونظراً جديداً، وفي الحقيقة أعطى البشرية روحها التي اغتربت عنها وأعتقها من استلاب خطير وقعت فيه في ظل الطغيان المادي والروحي والفكري للحضارات القائمة على تحقير الانسان وإخضاعه للوثن والصنم وظواهر الطبيعة والمتألهين من البشر.

و يقول «بريفولت»: إن العلم يدين للثقافة العربية بأكثر من هذا: إنه مدين لها بوجوده. . .» «إن ما ندعوه بالعلم ظهر في أوروبا نتيجة لروح جديدة في البحث ولطرق جديدة في الاستقصاء، طرق التجربة والملاحظة والقياس، ولتطور الرياضيات في صورة لم يعرفها اليونان. وهذه الروح، وتلك المناهج إنما أدخلها العرب إلى العالم الأوربي»(٢) .

أما روجربيكون الذي يُعتَبر رائداً من رواد العلم التجريبي في الغرب فإنه كما يقول الأستاذ «بريفولت» في كتابه «بناء الإنسانية»: لم يكن في الحقيقة إلا واحداً

---

(١) هيجل: دروس حول فلسفة التاريخ ، ١٧٩٧ (نشر سنة ١٨٣٧) نقلا عن كتاب عربي هل مكث عربي ص١٧٧ .

(٢) الدين في عصر العلم للدكتور يوسف القرضاوي ص٢٥،٢٦.

من رُسُلُ العلم والمنهج الإسلامي إلى أوربا المسيحية وقد درس العالم الغربي دراسة عميقة وهو لم يكف عن القول لمعاصريه بأن معرفة العرب وعلمهم هما الطريق الوحيد للمعرفة الحقة! (١) .

وكانت الكتب التي سطرها المسلمون ذات أثر بالغ على «بيكون» وغيره من الذين أصبحوا بعد ذلك رواداً في العلم الغربي وكان أساتذتهم كما قال غوستاف لوبون هم العرب لعدة قرون يقول «ولم يقتصر شأن العرب على ترقية العلوم بما اكتشفوه، فالعرب قد نشروها كذلك بما أقاموا من الجامعات وما ألفوا من الكتب، فكان لهم الأثر البالغ في أوربا من هذه الناحية...» (٢) .

فقد حقق المسلمون المجد الدنيوي الذي يكمن في دراسة العلوم وابتكارها كما عبر عن ذلك «بيير بابل» فكان التقدم الحارق خلال قرون عديدة وكانت براعة المسلمين في العلوم هائلة حتى وضعوا أساس علم الكيمياء كما قال «رينيه ميلين» وقد أبدوا نشاطاً واجتهاداً عجيبين كما أشار إلى ذلك الدكتور «فرنتورونثال» (٣) .

إن الأمر الذي أريد أن ألفت انتباه القارىء إليه هنا هو شيء بالغ الأهمية ،ذلك أن العلم التجريبي الذي أقامه المسلمون في حواضرهم واستقاه طلبة العلم الغربيون الذين أصبحوا فيما بعد رواد الحركة العلمية الغربية التي آتت ثمارها ومازالت إلى يومنا هذا، هذا العلم هو نتاج الدعوة الإلهية للإنسان في التفكر في الأنفس والآفاق وذلك بعد أن أزاحت العوائق الوثنية التي كانت تحول بين الانسان وبين حقائق الوجود وآفاق الكون.

إن الخلاصة هي أن الله هو الذي علّم الإنسان .. العربي .. ثم الغربي وهو الذي وضع قواعد المنهاج التي استخدمه العربي .. ثم الغربي!

---

(١) المرجع السابق ص٢٥،٢٦.

(٢) حضارة الغرب ص٤٢٣-٤٣٧ ، الطبعة الأولى، نقلا عن الدين في عصر العلم ص٢١.

(٣) انظر الدين في عصر العلم ص١٧.

فلم إذن إنكار الله ونفي عبادته وتحقير وحيه وتدمير ثوابت دينه ومسخ تاريخ الحقائق القرآنية التي لم يأت إلى اليوم - ولن يأت - ما يعارضها بحق! من هنا أيضاً يتأكد أن الإنحراف الذي لحق بالفكر الغربي عن طريق «فلسفات التجزئة» «ونظريات التفرقة» إنما هو نتيجة روح قديمة، وثنية إغريقية ويونانية ورومانية، إستعيض بها عن الروح الإسلامية الأصيلة التي أحيتها النصوص القرآنية كما أحيت فاعليتها في الكون وأحيت روح العلم والتمحيص والتجريب والتجميع والترتيب والاختراع والابتكار والإبداع فيه.

وكما حرر الإسلام روح الإنسان وعقله في عالم السنن الكونية والآيات العلمية كذلك فقد حرر الإسلام الإنسان من الأساطير والكهانات والسحر والخرافات. وحمل حملة قوية على الحضارات الوثنية ورموزها وأساطيرها وتلفيقاتها الدينية والتاريخية. كما تناول انحرافات اليهود والنصارى تناولاً يُرجع للدين صفائه ولحقائقه صورها الأولى التي كانت عليها، وللأصول العقائدية نقاءها الأصلي. فأخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد فتحرر البشر من البشر وانعتقوا من مناهج طائشة ونظرات خاتلة!

نقد معالم العلوم الاجتماعية والإنسانية والتاريخية الغربية:

قدمنا أن المسلمين قدموا للعالم مناهج علمية وعقلية وتجريبية راقية، أفادت منها الحضارة الغربية في ارتقاء حياتها العلمية والدنيوية، بيد أن علوماً جديدة ظهرت في الغرب، وهي علوم الإنسان والاجتماع والنفس وغير ذلك من العلوم الإنسانية والاجتماعية، وفيها خلل عظيم وقصور شديد وتضارب عجيب! ولا شك أن الغربيين أيضاً استفادوا من علوم المسلمين(*) الفكرية والعقلية ما دفعهم إلى مناوشة الكنيسة وكهنوتها المستبد، فنقدوا عقائدها وأساطيرها وأفكارها وسلطانها ومميزاتها!

(*) يقول برنفولت في كتابه بناء الانسانية «ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة، بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت بأكورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية»

بيد أن العلماء والمفكرين الغربيين ونتيجة لـغضبهم الشديد على سلطان الكنيسة وعلى حال المجتمعات التي ترزح تحت نير العبودية الكنسية والجهل المطبق ، هؤلاء العلماء لم يستطيعوا التفرقة بين الدين الحقيقي وبين تعاليم الكنيسة، بين الحقيقة والخرافة! وأثناء هذا الصراع الشديد تولدت المذاهب القاصرة في نظرتها إلى الإنسان الذي أرادت تحريره، وفي نظرتها إلى المجتمع التي أرادت إسعاده وإخراجه من عبودية الجهل الكنسي الذي كان مسيطراً على كل أنحاء أوربا، وفي نظرتها إلى الدين الذي أراد البعض تخليصه من رق الكنيسه فقتل دعائمه الأصيلة فيما هو يقوم بنزع صوره الشائهة التي صنعتها الكنيسة وروج لها الكهنة. وأراد البعض الآخر دفنه جميعا، أساطير الجهل الذي أدمجت فيه وحقائقه معاً.

فنشأت نتيجة لذلك مذاهب جزئية ضعيفة في تناول ظواهر الحياة وحقائق الدين والتاريخ وهو ما يختلف كلياً عن المناهج التي رأوا المسلمون يدرسونها في حواضرهم والتي تؤمن بالوحي فيما هي تقتل الأسطورة وتؤمن بالنبوة بينما تحطم التخرص والافتراء، وتضع ميزانا دقيقاً عدلاً شاملاً كلياً في تناول ظواهر الحياة وطبيعة الدين وسنن الكون والحياة والمجتمع .

إن ما يجب أن نعترف به هو أن بعض الفلسفات التي تعرّف عليها العرب في اتفتاحهم على العالم كادت أن تحبس العقل المتحرر حديثا في قمقم السفطة، وشلّ حركته العقلية إلى الأمام! ولقد تأثر بعض العلماء والمفكرين المسلمين بهذه الفلسفات التي كبّلت انطلاقتهم الحضارية القائمة على المنهاج الرباني الأصيل. لكن ذلك لم يكن الأصل أو الوضع السائد، وإنما كان أمراً شاذاً خصوصاً في مراحل عُلو الإسلام وتمكن أهله من العلوم والمقاصد والقواعد الشاملة والعامة الهامة، وإن كان في مراحل ضمور الحضارة تمكنت العلل الفكرية والفلسفية من الأمة! أما العلماء الغربيون فقد اتخذوا الفكر الفلسفي بديلا عن الدين، وكان أمراً

شائعاً أن يقبل الأذكياء على دراسة الفلسفة ووضع النظريات المختلفة. ولقد قال «لينين» وهو أحد رواد المدرسة الفلسفية الماركسية «فطالما أن الناس لايعرفون كيف يشرعون في دراسة الحقائق، فإنهم يخترعون عادة نظريات عامة مسبقة، وعادة ما تكون هذه النظريات عقيمة»[1]!!

إن مما دعا الفلاسفة لمواجهة الكنيسة بعنف كان ظهور الإنتاج العلمي المتنامي المستقل عن الكنيسة والبعيد عن سلطانها ومناوياه بل والمعادي لها في آن واحد! مما أدى إلى غرور كثير من الفلاسفة بعقولهم الفلسفية، وظنهم أن هذه النتائج العلمية لابد أن تكون على النقيض مما يعرضه الدين! في حين أن الدين نفسه يرفض خرافات الكنيسة والفلسفة معاً!!!

وبذلك بدأ ظهور استقلال الإنسان بعقله المحدود عن كل ما له علاقة بالدين والغيب .. ثم بدأت النظريات تخرج على العالم وأحياناً كثيرة وهي متدثرة بالبحث العلمي التجريبي!!!

داروين وقراءة دقيقة :

فمقابل العقائد المسيحية المنحرفة كتأليه المسيح ووراثة الخطيئة، والصحيحة منها كعقيدة خلق الإنسان ونبوة الأنبياء، مقابل ذلك وقف الفلاسفة يجعلون الكل أساطير. ذلك قبل أن يظهر داروين (١٨٠٩-١٨٨٢م) بنظريته المتدثرة بالبحث العلمي على العالم والتي تقول بحيوانية الإنسان[2] - مقابل تأليه الإنسان (أي

---

(١) Lenin, collected work p. 144 نقلا عن مقالة احمد القصيري في مجلة الآداب، إبريل ١٩٧٢ باسم «المنهج الجدلي في علم الإجتماع (العدد الرابع).

(٢) يقول جوليان هكسلي وهو من رجال الداروينية الحديثة، في كتابه «الإنسان في العالم الحديث» في فصل بعنوان «تفرد الإنسان»، أنه (بظهور نظرية داروين بدأ الخطر يتأرجح عكساً، واعتبر الإنسان حيواناً مرة أخرى، ولكن على ضوء العلم لا على الإحساس الساذج... فالإنسان (أي في رأي داروين) حيوان كغيره».

ويقول العالم الإنجليزي المعروف كراكتون اليوت سمث (١٨٧١-١٩٣٧) أن «الإنسان كان قرداً من فصيلة «الأورانج» نقلا عن داروين ونظرية التطور ص١٢٩.

stephen. jay gould smith woordwards folly , New Scientist (5 april 1979) p.44

المسيح!) والتي تنفي عقيدة خلق الإنسان خلقاً خاصاً بعيداً عن الانحدار من النسل الحيواني الذي أراد دارون أن يغمس الإنسان في وحله!

لقد تأثر «دارون» ولا شك في النشاط البحثي والعلمي بمنهج التجريب الذي تأثر به مَنْ قبله من الغربيين وقالوا بحقائق علمية مهمة من أمثال جاليليو وكوبرنيكوس وغيرهما.

لكن لا شك أن الفلسفة المنحرفة التي بدأ يزداد وقعها على الواقع الغربي لونّت اتجاه دارون العلمي بلون الفكر المسبق الذي يتعارض مع الاتجاه العلمي السليم والنظرة الكلية الشاملة لحقائق الإنسان والمجتمع والغيب! فالمؤثرات على دارون كانت ضخمة، وعلى أقل تقدير كانت الفلسفة المعادية للدين قد بدأت بتأثيراتها المختلفة على الاتجاه العام السائد للعلوم المختلفة قبل دارون وأثناء حياته!

فأثناء حياته كان الهيجليين الشبان يقومون بهدم كل أساسات الدين مثل «إشتراوس» (١٨٠٨-١٨٧٤) [١] و «فيورباخ» (١٨٠٤-١٨٧٢) [٢] و«برونو باور» (١٨٠٩-١٨٨٢) [٣] و«ماكس شترنر» (١٨٠٦-١٨٥٦) [٤] وأساتذهم هيجل (١٧٧٠-١٨٣١)[٥] توفي ولم يناهز دارون الثانية والعشرين عاما! أما قبل دارون فظهر كثيرون كان لهم تأثير كبير على الاتجاه العام للعلوم فقبل دارون ظهر «فولتير» وهو ممثل فلسفة التنوير في فرنسا وهو يرفض العناية الإلهية.

---

(١) ولد اشتراوس قبل دارون بسنة وتوفي بعده بثمان سنوات وسيأتي الكلام عنه بعد صفحات وهو فيلسوف الملحي و«كيركجارد» (١٨١٣-١٨٥٥).

(٢) فيورباخ ولد قبل دارون بخمس سنوات ومات قبله بعشر سنوات وهو فيلسوف الملحي وسيأتي الكلام عنه.

(٣) باور فيلسوف الملحي وتاريخ ميلاده ووفاته هو تاريخ ميلاد دارون وتاريخ موته!.

(٤) ولد شترنر قبل دارون بثلاث سنوات وتوفي قبله بأكثر من ثلاثة عقود! وهو الملحي!

(٥) توفي هيجل ودارون لم يتجاوز الثانية والعشرين عاما وهو فيلسوف الملحي وسيأتي الكلام عنه وهو وإن لم ينقد الدين على طريقة اليسار اللاحق على فلسفته إلا أنه أضاف على الأساطير أساطير وسيأتي بيان ذلك.

وظهر قبل دارون «نايجون» (١٧٣٨-١٨٨٠) وقال بأن كل الأديان مزيفة [١]

وظهر قبل دارون «هولباخ» (١٧٢٣-١٧٨٩) هاجم الدين وقال إنه ينشأ من جهل البعض وخوف البعض الآخر وخداع فريق ثالث [٢]

وظهر قبل دارون «مارشال» (١٧٥٠-١٨٠٣) ممثل الجناح الديمقراطي في المادية الفلسفية الإلحادية [٣] كما قال د. حسن حنفي وقال بأن الله والطبيعة شيء واحد على ما قال اسبينوزا من قبل، وبدافع الخوف اخترع الإنسان الله وأعطاه صفات الطبيعة على ما سيقول فيورباخ فيما بعد في الاغتراب الديني [٤]

وظهر قبل دارون «فيكو» (١٦٦٨-١٧٤٤) الذي اعتبر الدين كله أساطير [٥]

وظهر قبل دارون «شليرماخر» (١٧٦٨-١٨٣٤) الذي اعتبر الدين والأخلاق نابعان من التراث [٦]

وظهر قبل دارون «دي شامب» (١٧١٦-١٧٧٤) راهب رأى أن الإلحاد ميزة الخاصة المستنيرة [٧]

---

(١) وعادى الكنيسة الكاثوليكية، وهو صديق «ديدرو» وساعده في نشر «دائرة المعارف»

(٢) هولباخ فيلسوف مادي فرنسي.

(٣) انضم مارشال إلى حركة بابيف وأصبح شيوعيا طوباويا وألف في ذلك كتابه «بيان المساوين» ١٧٩٤، انظر مقدمة في علم الاستغراب ص٢٣٠.

(٤) مقدمة في علم الاستغراب ص٢٣٠

(٥) فيكو أستاذ الفقرن والفلسفة وأستاذ البلاغة اللاتينية في جامعة نابولي بإيطاليا وقال بأن المستقبل للإنسانية ذاتها أو الإنسان ذاته بديلاً عن الدين!.

(٦) شليرماخر ، فيلسوف ألماني، نقد العهد القديم وروياته، توفى وداروين في الخامسة والعشرين من عمره.

(٧) دي شامب ادعى أن الله فكرة صنعها الإنسان، انظر مقدمة في علم الاستغراب ص٢٢٠ وبضع المسيحية في إطار تاريخ الأديان المقارن وينزع عنها قدسيتها ويؤسس بعد ذلك «اسبينوزا» النقد التاريخي للكتب المقدسة. يقول حسن حنفي عنه بأنه ليس ملحداً ولكنه ضد العقائد المسيحية، ضد الكهنوت الكنسي. الله لديه محرك أول، مهندس أبدي ولكن لا تأثير للأشخاص، يرفا أو المسيح، خلفاء الملك وامتيازات النبلاء» مقدمه في علم الاستغراب ص٢٢٧.

وظهر قبل دارون «إسبينوزا» (١٦٣٢-١٦٧٧) فيلسوف عقلي - يهودي قام بنفس المهمة!

وظهر قبل دارون «ميكافيلي» (١٤٦٩-١٥٢٧) مفكر إيطالي معروفة فلسفته!!

وظهر قبل دارون (ديكارت) فيلسوف الشك الديكارتي، .

هؤلاء ولا شك وغيرهم غيرهم كثير شكلوا مناخا اخطبوطيا ترك آثاره على طرق البحث والتحليل المتعلقة بأصل الإنسان وطبيعته ومفهوم التاريخ ومضمونه وعلوم الاجتماع وعلوم النفس والتي انحرفت في كثير من أفكارها عن الحقائق الأصلية للكون والحياة والإنسان والمجتمع، انحرفت عن حقيقة الحياة وخصائص الإنسان وقوانين الاجتماع الكلية!

وفي مجال علم الطبيعة ظهر قبل «دارون» «بوفون» (١٧٠٧-١٧٨٨)[١]

كما ظهرت محاولات العالم الفرنسي «لامارك» في تطوير نظرية في التطور قبل دارون بنحو خمسين عاماً [٢] ولاشك أن دارون كان على علم بهذه الأفكار خصوصاً وأن «جد» دارون، وهو «ارازموس دارون) (١٧٣٨-١٨٠٢) (توفي قبل ولادة دارون بسبع سنوات) كان له أفكار في مسألة التطور[٣] ولاشك أن هؤلاء الثلاثة تأثروا بالفلسفة التي عمت أنحاء أوربا ونقدت الدنيا مع نقدها للأساطير

---

(١) بوفون هو احد كتاب موسوعة المعارف الفرنسية نشر عام ١٧٤٩ تاريخه الطبيعي الشهير، قال بالتطور إلا أنه جعله إلهيا، إلا أنه نفى أن يكون خلق الإنسان بلا تطور أو انبثاق - إذا صح التعبير - من مخلوقات أخرى. وقال عن الطبيعة إنها «نظام القوانين التي ألهمها الخالق من أجل بقاء الأشياء وتتابع الكائنات، أنها حية، وهي عمل أبدي» ص١١٦ تكوين العقل الحديث جـ٢ نقلا عن الإسلام والاتجاهات المعاصرة ص٢٥.

(٢) قال «لامارك» يقانون الانتخاب الطبيعي والصراع على البقاء لكنه افترض قوة موجهة هادية مسخرة في أعماق كل كائن تتحكم في تطوره وتسبب ظهور الصفة الجديدة، أو العضو الجديد عند حاجة الكائن إليه» انظر الإسلام والاتجاهات المعاصرة ص٢٥.

(٣) كان جد دارون يعتقد أن ظروف البيئة والطبيعة تطور وتغير معالم الأشكال الحيوانية.

المسيحية وعقائدها المختلفة ولاشك أنهم جميعاً استفادوا من مناهج النقد العقلي عند المسلمين أيضاً ولاشك أنهم اطلعوا على ردود المفكرين المسلمين على العقائد والأساطير المسيحية الدخيلة على عقيدة المسيح أو على أقل تقدير اطلع أساتذتهم على ذلك!!

بيد أنهم لم يقفوا حيث يقف الفكر الاسلامي النقدي من العقائد المنحرفة والأساطير الراسخة، بل راحوا يهدمون كل شيء، ويتقدون الحق والباطل حتى صار هذا النقد ديدن كثير من الفلاسفة الذين ولاشك قرأ داروين لبعضهم على الأقل قبل وأثناء القيام بالبحث العلمي الذي انتهى إلى القول بحيوانية الإنسان وبأنه بعد تطوره عن الحيوان كان إنساناً بدائياً لايعرف الكلام ولا يعقل البيان!(٥)

حتى قال علماء الأناسة أن البشر في بداية حياتهم على الأرض - وتطورهم من الحيوان! - تواصل بعضهم مع بعض عن طريقة التلويحات والإشارات أي بوسائل غير لفظية!! (١).

وحتى لو تجاوزنا ذلك كله ويرأنا داروين من المؤثرات البيئية والظروف الاجتماعية والإفرازات الفكرية النقدية، فإننا لايمكن أن نتجاوز قوله نفسه عن ظروف تبلور فكرته عن التطور والإنسان!

يقول «في أكتوبر عام ١٨٣٨ تصادف أن قرأت على سبيل التسلية كتاب مالثوس في السكان، وكما كانت ملاحظتي الطويلة المستمرة لعادات الحيوانات

---

(٥) لقد وقع كثير من العلمانيين العرب في شباك هذه النظريات التطورية التي قسمت مراحل وجود الإنسان إلى مراحل ما أنزل الله بها من سلطان، وقد حاول بعض العلماء المسلمين الوصول إلى حل وسط بين نظرية داروين وعقيدة خلق الإنسان فقال بأنه قبل الإنسان كان البشر وقتهم كانوا أقل رتبة من الانسان وهكذا.. وهي محاولة تلفيقية تدل على مدى تأثير النظريات الغربية في الفكر الاسلامي الذي يجب تنقيته من هذه الآثار التدميرية.

(١) انظر كتاب نصف العقول ص٣٣ تأليف فيليب تايلور وهو من مؤلاء المنحرفة!

والنباتات قد هيأت ذهني لتقدير أهمية الصراع من أجل الوجود، وهو الصراع الذي يدور في كل مكان، فقد تبادر إلى ذهني على الفور، أن من الممكن في ظل هذه الظروف، أن تحفظ التغيرات المواتية ويقضى على التغيرات غير المواتية، فتكون نتيجة ذلك تكونت نوع جديد. وهنا أصبحت لدي نظرية أستطيع أن أبدأ العمل بها»[1]

وواضح من كلماته السابقة أن الفكرة كانت جاهزة ، تهيأت في ذهنه قبل أن يبدأ العمل بها «وهنا أصبحت لدي نظرية أستطيع أن أبدأ العمل بها»! فتكوينه للفكرة تم قبل القيام بأي بحث!، أي أن (الفكرة الجاهزة) كانت سابقة على (البحث العلمي)! ، ثم بعد (البحث) لم يتغير شيء!! وهكذا لم يختلف تفكير دارون الذي تأثر بكل الإرث الفلسفي السابق والمعاصر له، بعد البحث عن ما قبل البحث والقول بالإنسان/ الحيوان والمقابل للإله/ المسيح كان نتاجاً فلسفياً وردة فعل أكثر منه نتاجاً معملياً أو خلاصة علم!

لقد استفاد دارون ولاشك من منهج الفحص التجريبي الذي استفاد منه الغرب عموماً وهو المنهج العلمي العقلي الذي أسسه المسلمون وأبدعه الربانيون! بيد أن دارون اتخذ كغيره من الفلاسفة الفكر الأوربي القديم المتمثل في الفكر اليوناني والروماني قاعدة بديلة عن الإسلام الذي كان قد أمدهم بوسائل علمية وعقلية عظيمة!

ولو نظرت إلى بعض أقوال دارون لوجدتها أولاً سخيفة تخالف العقل والمنطق، وتناقض المنهج التجريبي أو الاستدلالي الواضح وتقترب في أسطوريتها من الفكر اليوناني العقلي الوثني.

---

(١) اقتبس هذا النص «داسير» نقلا عن الفلسفة أغراضها ومشكلاتها لبترسيد ص١٠٩ ترجمة الدكتور العلماني فؤاد زكريا!

ففي رسالته الجوابية إلى طالب ألماني سنة ١٨٧٩م ، يقول في تناقض منطقي عجيب «نستطيع القول إن مفصل الباب مصنوع من قبل الإنسان، ولكننا لا نستطيع الإدعاء بأن المفصل المدهش الموجود في صدفة المحار هو من صنع كائن عاقل»[١] .

فكان دارون مجرد ظل للفكر الفلسفي السائد في عصره والسابق عليه وهو فكر مؤمن بالشيء إذا كان حقيراً ويرفضه إذا كان عظيماً دقيقاً مدهشاً وما أحسن قول الشيخ الكريم محمد الغزالي « إن الأعمى لا يبصر مادام مصمماً على إغلاق أجفانه »[٢] .

وينعكس الظل نفسه على أحد المدافعين عن دارون حينما تنظر إليه يقول: «إن قيل لك وأنت تتفحص طائرة حديثة مجهزة بأحدث الآلات الالكترونية ، إن هذه الطائرة تكونت من خروج الألمنيوم والحديد والبنزين من تحت الأرض من نفسها، واجتماعها مع بعضها البعض بنفسها، لما صدقت ذلك، بينما ظهرت الأحياء التي تعتبر أجسادها مكائن معقدة أكثر من تلك الطائرة، نتيجة مثل تلك العملية والفرق الوحيد هنا أن المواد المستعملة هي الكربون والنتروجين والماء»[٣] .

«وماذا تنتظر ممن يجحدون الآلهه يحسبون الأفلاك تدور وحدها في السماء أو أن الدماء تنطلق وحدها في العروق؟»[٤]

هذا هو المنهج العلمي القاصر والذي يناقض المبادىء العقلية والقواعد

---

(١) Francis Darwin (Ed.), the Autobiography of Charles Darwin and selected letters, p. 63
نقلا عن كتاب دارون ... أو نظرية دارون ص٢٠، ٣٠

(٢) نحو تفسير موضوعي ص٩٦

(٣) Nigel Caldel, The Life Game p. 172-173 نقلا عن المرجع السابق ص١١٨، ١٢٢ .

(٤) جـ٣ ص٢٢٢ نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم .

لبديهي،ة أما ما فعله العلماء الذي صدقوا واتبعوه فهو أنهم سارعوا إلى الترحيب بنظريته والدفاع عنها. يقول أحد العلماء الذين يؤيدونه في مجمل نظريته وهو هترميد إنه «فور ظهور هذا الكتاب(٥) اقتنع عدد كبير من العلماء بأدلة دارون، ولم تمض سنوات قلائل إلا وكان فرض التطور قد حظى بقبول أغلبية الأذهان العلمية»(١).

وهلَّل الفلاسفة لنتائج النظرية ودافع عنها هربرت سبنسر وتوماس هكسلي. يقول هترميد «وكان الأخير - يقصد هكسلي - بوجه خاص مجادلاً رائعاً أسمى نفسه «كلب حراسة دارون»(!) فقد تحمل بشجاعة رائعة ومقدرة ووضوح في العرض، العبء الأكبر للهجوم الموجه من جميع الجهات على كتاب دارون وقاد مراراً وتكراراً هجمات مضادة ناجحة على خصومة المتهورين»(٢) .

وهكذا كما يقول الفيلسوف هيوم - وله انحرافاته الفلسفية الخطيرة أيضاً - «يسارع الفلاسفة إلى الترحيب بأي شيء تبدو عليه سيماء الغرابة، ويخالف أول أفكار البشر وأكثرها تلقائية، ويعدونه علامة من علامات سمو علمهم الذي كشف آراء بعدت إلى هذا الحد عن وجهة النظر الشائعة، ومن جهة أخرى، فإن أي شيء يُقترح علينا ويُسبب دهشة وإعجاباً، يرضي الذهن إلى حد يجعله يستسلم لهذه الانفعالات السارة حتى لا يعود لديه مجال للاقتناع بأن لذته قد لايكون لها أي أساس. ومن هذه الاستعدادات لدى الفلاسفة ولدي تلاميذهم ينشأ ذلك التفاهم المتبادل بين الطرفين: إذ يأتي الأولون بمجموعة ضخمة من الآراء الغريبة التي لا يقدم لها تعليل، ويصدقهم الآخرون على التو» (٣) .

---

(٥) يقصد كتاب أصل الأنواع لدارون.

(٤) الفلسفة أنواعها وأشكالاتها ص١٠٩. (١) المرجع السابق ص١٠٩.

(٢) (Hume: A Treatise of Human Nature;Book1 Part II section I.) نقلا من نظرية المعرفة لفؤاد زكريا ص٧.

ومع أن نظرية دارون مليئة بالثغرات الخطيرة إلا أنهم لظروف الصراع العنيف مع الكنيسة والإيمان بضرورة القضاء على هذا العدو، فقد آمنوا بها على التو، وتبعهم بعد ذلك بفترة كثير من العلمانيين العرب.

يقول هتسرميد «يعترف القائل بنظرية التطور بوجود ثغرات حقيقية بالفعل، ولكنه يشير إلى أن استمرار التقدم العلمي يؤدي إلى سد هذه الثغرات بالتدريج» - قلت: إنه إيمان أعمى إذن! - وعلى أية حال (!) ، فمن المؤكد أنها أقل إتساعاً مما كانت من قبل وهو أيضا يعترف بالجهل فيما يتعلق بأصل الحياة. ولكنه يذهب إلى أن الاعتراف النزيه بالجهل أفضل إلى حد لامتناه من التعليل الخيالي الساذج (!) - ولا نقول الخرافي - الذي يفترض كثير من القائلين بنظرية الخلق لأصول الأشياء»[1]

ويحاول إسماعيل مظهر - وهو أحد المؤمنين بنظرية دارون - أن يبرر افتقاد نظرية دارون للأدلة ذلك لأن آثار تلك العصور القديمة ذهبت مع الريح!

يقول «وخليق بنا ألا نغفل عن أن الاضطرابات الأرضية والزلازل وطغيان الماء والأعاصير الطبيعية التي كانت تنتاب الأرض حينا بعد حين وتحول الأرض من يابس إلى بحر، ومن بحر إلى يابسه، كانت من أبلغ تلك المؤثرات التي ذهبت ببقايا تلك العصور، فالصور التي غمرها البحر وقذف بها في طياته لايمكن معرفتها...» [2]

ويدل أن يأتي هو بالأدلة التي تفتقدها نظرية سيده دارون ذهب يقول لنا إنه ليس في باطن الصخور أي صور محفوظة تثبت عقيدة خلق الإنسان بلا تطور![3]

---

(١) الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ص١١٧.

(٢) ملقى السبيل «اسماعيل مظهر ص٢٨١ ويقول في موضع آخر ص٢٥٧ «لقد أثبت دارون بالدليل والمشاهدة أن أخلقات الوسطى كانت موجودة خلال زمن ما من الأزمان، ولأن كيف لأن بقاءها في الطبيعة متعذر (!) ولأن العثور عليها أشد تعذراً!! ولقد تراجع اسماعيل مظهر في نهاية حياته عن هذه النظرية!

(٣) انظر المرجع السابق.

وهكذا فالفكرة مسبقة، والفلسفة مبيته، والنظرية قديمة، والأدلة مفتقره، والبراهين متعذرة، ومع ذلك صارت قاعدة لنظريات في الاجتماع والسياسة والفلسفة. ووجدت لها استخدامات ملحة في ظروف الصراع المشهورة ، فظهرت داخل علوم الاجتماع والاقتصاد والسياسة والنفس، الماركسية الداروينية وعلم النفس الداروني وعلم الاجتماع الداروينى والاشتراكية الدارونية وهكذا. . .

كما ظهرت نظريات عنصرية اعتمدت على نظرية التطور لدارون، وكذلك استخدمها أنصار المعنى المطلق للحرية.

يقول د. فؤاد زكريا - وهو علماني يرفض الوحي ويؤمن ببعض النظريات الغربية - إن الفيلسوف «روسو» بنى على نظرية التطور فكرة التحرر من الالتزامات ويقول أيضا «وجد أنصار المعنى المطلق للحرية في نظرية التطور - التي جاءت في وقتها المناسب - دعامة لآراءهم، بل إنهم حوروها وفسروها على نحو يلائم دعوتهم أشد الملائمة» (١)

وقد ظهر نتاجاً لها أيضاً الفيلسوف «فريدرش هايك» وهو الذي دافع عن مبدأ «دع الأمور تسير في مجراها Laissez Faire في كتابه «الطريق إلى العبور».

كما يوضح لنا د. حسن حنفي - وهو مثل د. فؤاد زكريا:- ماذا فعلته هذه النظرية وأدت إليه من نتائج عنصرية خطيرة، فقد حاول جوبينور النبيل الفرنسي أن ينسب كل فضل في تطور الحضارة إلى الجنس الآري كذلك فعل (هوستون تشيمبر لين) عند الالمان، وكبلينج عند الإنجليز، يقول حنفي: «وقد انتهت نظرية التطور العضوية إلى بعض النتائج في النظرة للإنسان والمجتمع كما بدا ذلك في النظرية العضوية عند جوبينو التي تقوم على تفوق الجنس الشمالي على الأجناس الجنوبية والشرقية. فالعنصر الأبيض هو الذي يحتكر الجمال والذكاء والقوة،

(١) الانسان والحضارة لفؤاد زكريا ص١١٤

وبإتصاله بباقي الشعوب انتقلت إليها صفة واحدة من الصفات الثلاثة.. وقد كانت هذه النظرية العنصرية أحد مكونات النظرية الاستعمارية للاستعمار الاوروبي، سيطرة الجنس الأبيض على الأجناس السوداء والصفراء والحمراء في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية [1]

وهكذا فإن الأمر لم يقف عند حدود تصورات «دارون» لأصل الإنسان ولصورة مجتمعه الأول - وهي صور كاذبة - بل ظهرت نظريات وفلسفات وتحليلات تأخذ من أفكار دارون لتقيم بناءاتها المدمرة للإنسان والمحطمة لقيمه ودينه والمحرفة لمفاهيم عمرانه البشري وعلاقته بذاته وبالكون من حوله، حتى إن بعض النظريات كما قلنا أقامت بناءها العلمي على نظرية دارون ثم تصارعت وتناطحت وهشمت بعضها بعضا!!! - أخذت منها وردت ولم تنتهي إلى نظرة شاملة عن الإنسان وعن غاية وجوده وعن معرفته بنفسه، عبر عن ذلك الفيلسوف «نيتشه»[*] الذي عاصر فرويد «١٨٤٤ - ١٩٠٠» الذي كان قد وضع مقولته الخطرة «إن الله قد مات» قال «إن كلاً منا - بالنسبة لنفسه - أبعد ما يكون عن نفسه»[**] [2] وهل يكون الإنسان بدون الله شيئا؟ إن هذه الفلسفات التي أثّرت على فرويد وسعت الهوة بين الإنسان وبين ذاته حتى فقدها في الاصطراع الذي عم الفكر الفلسفي الغربي وغطى مفاهيمه كلها.

---

(١) مقدمه في علم الاستغراب ص٢٨٢ . وكما فعل الفرنسي «جوبينو» فعل «موسترون تشمبرلين» عند الالمان وكلينج عند الإنجليز ، غير أن تأثيرهما الاكبر كما هو معروف ، قد وقع على الالمان ، فكان لهم مظاهر الانحراف في فهم القومية» الإنسان والحضارة لفؤاد زكريا ص١٠٦ ، كما تمثل ذلك في النازية العنصرية.

(*) نيتشه هو أستاذ فقه اللغات القديمة، اليونانية واللاتينية وأدابها في جامعة بازل، في كتابه العلم المرح قال نيتشه: «إن المسيحية أذلّت الإنسان بعد أن أقامت حقائقها على تصورات منافقة حول العالم» .

(**) يقول فرويد عن «نيتشه» : ـ (نيتشه ذلك الفيلسوف الذي طالما تتفق تخمينياته وأحداثه اتفاقاً عجيباً مع كشوف التحليل النفسي الشاقة) ص٨٩ من حياتي والتحليل النفسي .

(٢) F.Nietzsche : Lagenealogi la marale, Marcure de France, PARIS 1948

والنص موجود في مقدمة ثلاث مقالات في تطوير الجنسية لفرويد ص١٢ .

فرويد المؤله:

لقد عاصر «سيجموند فرويد» (١٨٥٦-١٩٣٩) داروين (١٨٠٩-١٨٨٢م) وأعجب بنظرته إلى الإنسان!،(***) واستفاد من تصوره الشائه عن أصله!) كما استفاد من الإرث الفلسفي السابق عليه والمعاصر له(*) ولا أشك أنه استفاد من الهيجليين الشبان خصوصاً «فيورباخ» (١) واشتراوس بل واستفاد من فلسفة نيتشه(**) أيضا لقد قال فرويد متغطرساً عن نظريته : إن جل ما وجه إلى نظرية التحليل النفسي من اعتراضات «مرجعه إلى أن موضوع النظرية يجرح مشاعر إنسانية قوية. وقد لاقت نظرية داروين عين المصير، لأنها قوضت الحاجز الذي وضع بغطرسة بين البشر والحيوان (!).. إن النظرة التحليلية النفسية ... كانت ضربة قاسية للحب الإنساني للذات» (٢)

(***) يقول فرويد « غير أن نظريات داروين التي شاع بها في ذلك الحين اجتذبتني إليها اجتذاباً قوياً لما كانت تبشر به من تقدم لناتق في فهم الكون » من كتابه حياتي والتحليل النفسي ص١٣-٢٠ وفي ص١٠٢ منه قال بأنه خطر له من عناصر فكر داروين عن الأب القبيلة الطاغي بالتي نظريته في مثل الأب وظهور الديانة والقيود الأخلاقية.

(*) تأثر فرويد أيضاً بكتاب « و. روبرتسون سميث» «ديانة الساميين» كما كشف عن ذلك في كتابه حياتي والتحليل النفسي ص١٠٢ .

(١) انظر «التي موسى ورسالة التوحيد» لفرويد ص١٤٢ وقارنه بما قدم من كلام فيورباخ .

(**) إن تأثير نيتشه على علم نفس التحليلي وروبهم فرويد كبير جداً، يظهر في أعمال «يونج» الذي كتب قبل وفاته بأشهر قليلة (توفي بعد فرويد بعقود ستة ١٩٦١) : « إن تقديم تقرير مفصل عن تأثير أفكار نيتشه في تطوري العقلي لمهمة طموح تتخطى حدود قدرتي ... لم أستطع أن أتجنب الأثر الذي أحدثه إلهامه الأصيل في نفسي وشدني إليه بقوة ... وعلى الجملة كان نيتشه بالنسبة إليَّ هو الإنسان الوحيد الذي قدم لي في ذلك العصر إجابات كافية عن بعض الأسئلة والمشكلات الملحة التي كنت أشعر بها أكثر مما أفكر فيها» انظر مقالة الدكتور قادم هنا أستاذ الفلسفة بجامعة الكويت ص٧-١٧ في مجلة عالم الفكر العدد٤ المجلد ٣٠ أبريل - يونيو ٢٠٠٢ .

(٢) انظر النص في مقدمة الدكتور سامي محمود على لكتاب فرويد « ثلاث مقالات في نظرية الجنسية ص١٢

إن غرض «فرويد» الحقيقي هو تمويه الإنسان في «الوحل» إنه يريد أن يردم الهوة بين الإنسان والحيوان كما فعل داروين، يقول فرويد «لكن الهوة التي خلقها الإنسان فيما بعد بين نفسه وبين الحيوانات لم توجد بالنسبة للإنسان البدائي»(١ x ٠٠٠) فنظريته - بحسب كلامه هو - تقوم على «تقليل اتساع هوة الكبرياء (!) التي قامت في الأزمات السابقة بين الإنسان والحيوان(!) فإذا كانت ما يسمى بغرائز الحيوانات - التي تتبع لها منذ البدايات الأولى أن تسلك في ظروفها المعيشية الجديدة (!) كما لو كانت غرائز قديمة قد ثبتت منذ أمد طويل - إذا كانت هذه الحياة الغريزية للحيوانات تسهم إطلاقا بأي تفسير فلا يمكن أن يكون هذا التفسير سوى: أنها تحمل في وجودها الجديد تجربة النوع الذي تنتمي إليه، أي أنها استبقت في عقولها ذكريات لما عاناه أسلافها(!) ولايمكن أن تكون الأمور في الحيوان الإنساني مختلفة في جوهرها عن ذلك، فميراثه القديم، مع أنه مختلف في المدى والصفات، يشبه غرائز الحيوانات»(٢) والغرائز الحيوانية - بحسب فرويد - هي القوانين الأقدم لنا والتي يجب أن تحتل مكانها التي كانت تحتله في الأزمنة الأولى قبل ظهور التحريمات!(٣) وخلاصة أفكاره عن الإنسان والدين والحضارة والمجتمع البشري هي أن الإنسان أصله حيواني وغريزته الجنسية هي مركزه ومحور طاقته، وبتنازل الإنسان عن ذاته للدين والحضارة تم قهره وتم منع غرائزه الطبيعية من الإنطلاق الطبيعي الذي عاشه أجداده الحيوانات! ذلك أن

---

(١) «النبي موسى» لفرويد ص١٠٤ .

(٠٠٠) يزعم فرويد وغيره من الباحثين الغربيين وعبيدهم من العرب أن النساء كنّ مشاعاً للرجال على غرار الحيوانات !!

(٢) المرجع السابق ص١٢٢ . (٣) المرجع السابق ص١٣١ .

صور التحريمات وألوان التشريعات الأخلاقية(*) التي يفرضها الدين (**) أو الحضارة على الإنسان إن هي إلا صور للقهر تمنع الإنسان من الإستجابة لغرائزه الطبيعية لاسيما الجنسية!

وعملية الكبت التي يقوم بها الإنسان مراعاة للآخرين، من أجل قيم ومبادىء صنعها الإنسان نفسه - بزعم فرويد طبعاً! - مغترباً عن نفسه الحقيقية في صورة دين أو مبادىء حضارية، ما هي إلا (نَبْذ غريزي X!) وتقييد غير عقلي يجب عليه التقلب عليه وإرجاع نفسه إلى حالته الأولى يوم كانت بلا قيود أخلاقية أو دينية أو حضارية!

فالإنسان وغرائزه أولاً، ولا للتنازل أو التقابل مع الآخرين من أجل بناء الحضارة أو لإعتبارات دينية، فإن ذلك مدمر للإنسان ولخصائصه الحيوانية!! ولصفاته البيولوجية!، إنها فلسفة قريبة من فلسفات تلاميذ هيجل اليساريين! إن المطلوب عند فرويد إعطاء الجنس أبعاده الكاملة في إطار من انعدام الكبت الديني أو الحضاري ويجب اعتبار «الزنا» شيئاً طبيعياً وليس شيئاً ممقوتاً يعاقب الإنسان عليه!

والحضارة عند فرويد «حرب ضد الجنس» فالإنسان يكبت طبيعته للتسامي الحضاري ولصالح الآخرين ولصالح التراكمات من التحريمات والنواهي الاجتماعية والتحذيرات الدينية، وكلها - عنده - أمور تعسفية صنعها الإنسان نفسه نتيجة

(*) يقول عن الاخلاق في كتاب القلق والقلق السقلي أنها كوابت تكبت المنطلق الطبيعي للطاقة الجنسية، ويقول إنها تسم بطابع القسوة حتى في صورتها العادية ولا عجب فالسيد «يونج» الذي ذكر فرويد في كتاب «حياتي والتحليل النفسي» عنه أنه أصبح معارضاً له قال عنه: «لقد قال لي فرويد ينبغي أن نحطم كل العقائد الدينية .. أن نجعل من الجنس عقيدة» انظر «مذاهب للاقلاق» ص١١٢ .

(**) يدعي فرويد أن التشريعات الأخلاقية الدينية لا مبرر لها وأنها لا تنبع من «دافع عقلي» يقول: إنّا ما الذي يجعل ارتكاب الفحشاء بوجه خاص مع الإبنة والأخت جريمة نكراء أكثر جرماً من أي علاقات جنسية أخرى؟» النبي موسى ص١٤٠ إن التفسير الوحيد لذلك عنده هو إرادة الأب الأول المتحنث الذي كان يبيح كل شيء لنفسه ويمنعه حتى عن أبنائه!! انظر ص١٤١ المرجع السابق، وص١٠٣-١٠٥ أيضاً.

أحوال اجتماعية واقتصادية!

ولذلك فالأنا الأعلى في الإنسان - بحسب فرويد - يبدو عقليا ويخدعنا بنظامه الأخلاقي(*) في حين أنه نتاج آثار عتيقة في التاريخ، وهو في أحسن الأحوال محاولات يدعم بها الإنسان أوهامه ويكرس بها تخلفه(١)

بهذه الطريقة من التفكير التي غمس فيها فرويد تحليلاته النفسية، والتي هي نتاج تحليلي لمجموعة من المرضى النفسانيين، عمم فرويد نتائجها على البشرية كلها وذلك بعد أن لطخها بأفكاره المختلة عن الدين والنبوة والإنسان والتاريخ! فخرجت نظريته خليط بين فكر فلسفي مريض، وتحليلات نفسية تقبل الحوار والمناقشة!(**) وفيها الحق والباطل!

عند ظهور نظريته هلل لها فلاسفة كثيرون، وعلماء طبيعيون فقد كانت تصب في الحملة العنيفة على تعاليم الكنيسة والدين عموماً وإرساء مفاهيم الشك والتحطيم للأخلاق والأصول الإنسانية والقيم الروحية يقول هنترميد «هناك علماء نفس كثيرون ومدارس كثيرة في علم النفس أسهموا في بث روح الشك الفعلي في إمكان قيام أي مذهب أخلاقي (!) ولكن من المؤكد أن فرويد وحركة التحليل

(*) يقول فرويد «الأنا العليا وريث عقدة أوديب ويمثل مصير الإنسان الأخلاقية»ص ٨٩ من كتابه حياتي والتحليل النفسي .

(١) « ومن هنا فإن أحكام الناس التقويمية هي على أحسن الفروض مجرد « محاولات يدعم بها الناس أوهامهم بالحجج والمناقشات» حسب تعبير فرويد نفسه» من كتاب المدينة ومتاعبها نقلاً عن الفلسفة وأتباعها ترجمة د. فؤاد زكريا ص٣٥١ وانظر أيضاً كتاب «هربرت ماركوزي» للدكتور فؤاد زكريا تحت عنوان «من ماركس إلى فرويد» ص٥٨-٨٠ .

(**) كموضوع الجنس المبكر عند الأطفال!، وموضوع الأحلام التي يربطها أيضاً بمحور نظريته الفاسدة عن الكبت الأول للبشرية!، وبدل أن يقول إن للحلم أيضاً تنبؤات مستقبلية كما يظهرها الواقع فإنه يقول بأن الحلم هو تحقيق مقنع لرغبة مكبوتة! انظر كتابه حياتي والتحليل النفسي ص٦٧-٦٩ ، وكذلك «عقدة أوديب» الذي يزعم أنها نواة العصاب، فهي بزعمه قمة الحياة الجنسية الطفلية ونقطة الاتصال بجميع تصوراتها التالية» المرجع نفسه ص٨٥ وكذلك موقفه من التأليف الخيالي والنكتة ص٩٨ .

النفسي التي كان هو مؤسسها كان لهما الدور الاكبر في هذا الصدد» (١ ××٥٥)

لقد كان فرويد يكرس فلسفة تدمير الدين .. وتدمير الإنسان .. بتضخيم نزعة الفردية وإشباع غرائزها بعيداً عن المجتمع والدين والدولة. فاصبح هو وداروين مرجعاً لعلوم نفسية واجتماعية وفلسفية واقتصادية وسياسية سببت أزمات اجتماعية وعالمية لاحقة وخطيرة حتى سمعنا اليوم فلسفات «موت الإنسان»!

وأصبحت الوتيرة الإنسانية وتيرة حيوانية وإيقاعها ايقاع مادي فاقد للروح الإنسانية الاصيلة وفاقد لشروط الحياة الكريمة على الأرض.

وصارت الامور على الوتيرة العرجاء .. ولم يبق للإنسان مقدس في حياته وماذا يبقى بعد أن رفض الإنسان العبودية والخضوع للذي خلقه ولمنهاجه الكريم؟! بل ماذا يبقى للإنسان بعد أن حيّون نفسه ولوثها بلوثة الحيوان الهائج!، نعم بعد داروين تغيرت نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى العالم من حوله حتى قال جوليان هكسلي - وهو من علماء الداروينية الحديثة - «وبعد نظرية داروين لم يعد الإنسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيواناً» (٥).

ويقول إنجلز، وهو أحد أقطاب الماركسية اللعينة «ليس هناك شيء نهائي ولا مطلق ولامقدس» (٢) وكما تم التلاعب بحقيقة الدين والغيب كذلك تم التلاعب بحقيقة الإنسان.

---

(١) الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ص٣٤٩ .

(٥٥) يقول فرويد من كتابة «تأويل الاحلام» لم يعد التحليل النفسي موضوعاً طبياً خالصاً فبين ظهوره في المانيا وظهوره في فرنسا يقع تاريخ تطبيقاته العديدة على فروع الأدب والجماليات أو على تاريخ الأديان وما قبل التاريخ، وعلى الأساطير والأدب الشعبي وعلى النسرية، وهكذا ولا صلة لأي من هذه الأمور بالطب، إنما تتصل به عن طريق التحليل النفسي وحده » من حياتي والتحليل النفسي ص٩٥ .

(٥) من كتابه الإنسان في العلم الحديث انظر كتاب التطور واثبات لمحمد قطب ص٣٨ .

(٢) Engels,Amti-Diihring Moscow . 1955,p.32

نقلاً عن مقالة بعنوان «المنهج الجدلي في علم الاجتماع لأحمد القصير مجلة الآداب إبريل ١٩٧٢ص٥٤

إن الماركسية قامت على جوهر فلسفة داروين مع تحديد اتجاهها جديداً لها «فنظرية التطور - أي الداروينية - تعتبر من الأسس المهمة التي اعتمد عليها ماركس في نظريته بخاصة في القول بحتمية التطور والإنتقال من طور إلى طور نتيجة لتغير الظروف الاقتصادية والقول بأن الجديد أفضل من القديم وسوف يحل محله .. ومن الطريف أن ماركس قد صدَّر الترجمة الإنجليزية لكتابه (رأس المال) بعبارة إهداء إلى داروين مما يكشف عن مدى إعجابه وتقديره له وقد كتب ماركس بخط يده على النسخة التي أرسلها إليه «من المعجب المخلص»(!) ولقد ظل ماركس متحمساً لكتاب أصل الأنواع ولنظرية التطور لدرجة أنه كتب إلى «إنجلز» يقول «على الرغم من أن هذا الكتاب يعالج نظرية التطور بإسلوب إنجليزي فج فإنه يحتوى على أسس التاريخ الطبيعي لنظريتنا»(١) وكما ترى فإن ظروف الصراع مع الكنيسة مازالت تلقى بظلالها على الأفكار الجديدة التي يلد بعضها بعضا ويقدم بعضها لبعض طقوس العبادة الوثنية التي تُظهر كيف يتخذ بعضهم بعضاً أولياء من دون الله!

قبل أن يُطل ماركس بأفكاره على العالم ، كان أستاذه «هيجل» قد أرسى دعائم مذهبه الذي سيقوم البعض بتقديسه والبعض الآخر بنقده وإيقافه على رجل عرجاء بعد أن كان مقلوباً على رأسه!

هيجل مقلوباً على رأسه !

لقد كان «هيجل»، أكبر مفكر المانى على الإطلاق(٥)، ولقد تبين لي من

---

(١) من مقالة «صراع الحضارات صناعة يهودية» في أسبوعيات جريدة الأهرام المجيدة ٥ أبريل ٢٠٠٢ عدد ٤٢١٢٣، للأستاذ الدكتور كمال شرقاوى غزالى أستاذ ورئيس قسم العلوم البيولوجية والجيولوجية جامعة الإسكندرية / مصر .

(٥) هيجل (١٧٧٠-١٨٣١) ولد في شتوتجارت وبها مهنته كأستاذ في جامعة فيينا، في عام ١٨٠١ حتى انتصار نابليون فيها في ١٨٠٦ ثم اصبح أستاذاً في هيدلبرج ثم في برلين ١٨١٨ ـ ١٨٣١ . انظر مقدمة في علم الاستغراب ص٢٤٥ .

محض أزمة الصراع الفكري بينه وبين تلاميذه أنه كان سلبياً تجاه «الإنسان» إيجابياً تجاه «الملكية الحاكمة» التي وضعها مكان «الألوهية» ومنحها خصائصها وحصّنها ضد النقد!! والعجيب أن هيجل هو من إتهم الاسلام بالسلبية فلنرى من السلبي حقاً؟! لقد أراد هيجل أن يعكس الاسطورة المسيحية عن (الإله/الإنسان) أو (الله/المسيح) وهي عقيدة تُشخّص الإله في المسيح، أراد هيجل أن يعكسها على الدولة البروسية وملكها فردريك الثالث!

لقد جعل هيجل من «الملك فردريك الثالث» ألوهية متحققه على الأرض، وبحسب تعبير الدكتورة - الماركسية - فريال حسن خليفة - فقد جعل هيجل من دولة الملكية البروسية «الفكرة الإلهية كما توجد على الأرض»[1] وبحسب ماركس فإن «ما يشغل هيجل هو تصوره الملك الإنسان الإله، وهو عند هيجل التجسد الحقيقي للفكرة المطلقة»[2]

فعند هيجل أصبح «شخص الملك وجود متميز عن الآخرين من حيث إنه وجود الفكرة المطلقة وقد أصبحت إنساناً»[3] وقد علقت الدكتورة فريال خليفة على فكر هيجل في هذه الناحية بقولها «إن ما سعى إليه هيجل، هو الملك الإله»[4]

ففي الدولة البروسية التي فلسف هيجل إحتلالها المطلق على الإنسان والمجتمع كانت السلطة حقاً للملك بالولادة!، وبحسب قول هيجل نفسه «هذا الفرد قُدّر له أن يرقى إلى عزة الملكية على نحو طبيعي مباشر، أعني من خلال ميلاده الطبيعي»[5] .

---

(١) نقد فلسفة هيجل ص٢٤٨ . (٢) نقلاً عن المرجع السابق ص٢٥٢ Karl Marx, chpr,p.24

(٣) انظر هيجل في نقد فلسفة هيجل ص٢٧٣ .

(٤) المرجع السابق ص٢٧٥ .

(٥) Hegel,pr,s280, p.184 . نقلاً عن فلسفة هيجل ص٢٧٣ .

وهذه الفكرة استبدادية تنزع حقوق الأفراد وإنسانيتهم وهو ما حدث في الحضارات الوثنية التي قدست الإمبراطور والفرعون والملك والكاهن!

لقد كانت هذه الفلسفة الهيجلية رد فعل على الثورة الفرنسية التي دعمها هيجل نفسه في بداية عهدها ثم انقض عليها بعد ذلك لأن العوام استولوا على السلطة!!! فما كان منه إلا أن عزل العوام والشعوب عن تقرير مصائرهم بأنفسهم وأعطى كل مقدرات الأمة للملك الذي أعطاه صفات الإله، وإنعكاساً لفكرة الإله/المسيح الأسطورية التي رفضها الإسلام رفضاً حاسماً لأنها لا واقع لها كما أنها باطل لا أساس له والقائم على الباطل باطل!

لكن هيجل الذي أثبت عدم عقلانية العقلي بإطلاق كما كتب ماركس[1] لم يُرِد أن يتجاوز التراث المسيحي الاسطوري ولا التراث اليوناني والاغريقي الوثني في حين ذهب يتهم الإسلام بأنه سلبي تجاه الواقع!!

فلم يصبر هيجل على حصول الأفراد على بعض حقوقهم بأنفسهم في الدولة الفرنسية حتى ذهب إلى اعتبار الشكل السياسي للملكية الوراثية هي الحق اللامتناهي واعتبر الملك إلهاً يمشي على الأرض، لاينازع في رأي، اعتبره فوق كل مسئولية أو مساءلة كما قال هو نفسه «أما جلالة الملك بوصفه الذاتية النهائية للقرار، هو فوق كل مسئولية أو مساءلة Answerability بالنسبة لأفعال أو قراءات الحكومة»[2]

وكما اعتبر ماركس وانحاز بعد ذلك فلسفتهم وتحقيقها المطلق على الأرض قمة التطور وكذلك كما اعتبر صموئيل هنتجتون بأن الليبرالية الحديثة بمبادئها وكلياتها قمة التطور ونهاية التاريخ، فقد جعل هيجل أيضاً من فلسفته «قمة التطور

---

(١) انظر نص ماركس في نقد فلسفة هيجل ص٢٧٣ نقد دمّر السيادة بالميلاد كما قال ماركس أيضاً .

(٢) نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٢٥١ . Hegel,pr,280, p.184

وجهته»[1] وكذلك فعل ماركس !!! ولقد نقضت الفلسفات اللاحقة المسلمات حقيقة للفلسفات السابقة التي ادعت الحقيقة المطلقة وتمة التطور !!، فأين الإطلاقية المزعومة؟!

لقد احتلى هيجل كرسي التدريس في جامعة برلين في النظام التقيض لدولة بليون، دولة الشعب، مكرّساً ومفلسفاً لوجود دولة الملكية المطلقة فانتقل من وصفه لنابليون بأنه (روح العالم الذي جاء على صهوة جواد) إلى نقيضه الروح المطلق (الملك/ الإله) الذي ولد ملكاً بالوراثة، بالميلاد الطبيعي! انتقل من الشعب إلى الدولة، ومن حق الفرد إلى حقوق الملك البروسي! لقد أعلن هيجل فشل ثورة «روح العالم» لينصر «الفكرة المطلقة المتشخصة على الأرض»!، وهي تناقضات عجيبة تدل على قصر نظره وعطب فكره، وتبدل مزاجه وظروف فلسفاته المتناقضة الخاضعة للتقلبات الاجتماعية والفكرية المتسارعة! يقول (جون لويس) عن هذه الظروف «عندما أصبح هيجل أستاذاً للفلسفة في برلين، قوبلت نظرياته بالترحيب من قبل الدولة البروسية، وجهاز الدولة (وكان الترحيب أجبره على القول: إن التاريخ هو قصة حياة الله كما يكتبها هو، وكان الله في بروسيا في القرن التاسع عشر قد حقق نفسه لحما ودما. وكان هذا تتويجا مزريا لبنيان الميتافيزيقا الهيجلية الشامخ، وربما أمكن القول إن حدود عصره، والضغط الناتج عن تأييد الطبقة الحاكمة حمل هيجل على التتويج السابق لأوانه للفكرة المطلقة. المهم أن نعترف أن هيجل قدم أسوأ نماذج فلسفته كما صاغها في سنواته الأخيرة»[2] .

لقد قال ماركس بأن نقائص العصر تجمعت في فلسفة هيجل ويقول في رأس

---

(١) انظر نقد فلسفة هيجل ص١٩٣، مع أنه برر الدولة الاستعمارية والاستبداد الوراثي كما قال بوراتكويت. انظر مقدمتي في علم الاستغراب ص٢٦٦ .

(٢) جون لويس: مدخل إلى الفلسفة، ترجمةدكتور عبدالملك، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨ ص١٤٣، ١٤٤، نقلاً عن فلسفة هيجل ص٢٥٢ .

المال إننا أمسكنا بهيجل الذي كان يمشي على رأسه ثم عدلناه .. أوقفناه على قدميه!!! وقام تلاميذه ينقدون فكره الذي حول الفكرة المسيحية البولسية -نسبة إلى بولس- (المسيح/ الإله) إلى (الملك/ الإله) أو السيادة المتشخصة في المملكة الوراثية لدولة بروسيا. قاموا ينقدونه بفلسفات قاصرة جزئية شانهه زادت الطين بله وأدت إلى ظهور المذاهب المادية المشهورة كالماركسية والوجودية وغيرهما. وماركس نفسه يُعبِّر عن «اللخبطة!» التي لازمت الفكر الفلسفي لتلاميذ هيجل مع تأثر ماركس كثيراً بهم خصوصاً بفيورباخ، يقول ماركس عنهم«إن أيا من هؤلاء النقاد المحدثون لم يقم حتى بمحاولة نقد جامع للنظام الهيجلي وبالرغم من أن كل واحد منهم يُقسم الإيمان المغلظة على أنه تجاوز هيجل نفسه، فإن مناظرتهم ضد هيجل وضد بعضهم بعضاً، يقتصر على ما يلي: إن كلا منهم يعزل جانبا من النظام الهيجلي ويحوله ضد النظام بكامله، وضد الجوانب المعزولة من قبل الآخرين على حد سواء»[1].

وفي الحقيقة هذه الجزئية في النقد وعدم وجود معايير كلية في الفكر الفلسفي لتلاميذ هيجل أدى بهم إلى نقد الدين مع نقد الفلسفة والمسيحية وجعل حقائق الدين أساطير كما هي أساطير الفلسفة والمسيحية وفي هذا المناخ الغير صحي تم القضاء على تحقيق منهاج عقلي كلي وتفسير صحيح للدين وللإنسان وللتاريخ وتم النظر إلى الدين على أنه أساطير ووعي زائف وخرافات آمال متخلفة كما هي المسيحية المنحرفة سواء!

إن الدين بحسب «الفيلسوف إشتراوش» وهو تلميذ لهيجل قام بنقد فلسفته كما

---

(١) انظر مرجع ماركس في نقد هيجل ص٦٥ وهو مرجع طويل .

الآخرين - «نتاج جماعي غير واعي من خلق البشر[1]» نتاج للتطور الروحي فالوعي الذاتي الإنساني - بحسب زعم تلميذ آخر لهيجل وهو (باور) - يخلق الواقع الروحي الذي يتناسب مع مستوى تطور هذا الوعي ، وما أن ينتهي التناسب بينهما تصبح مهمة الوعي هي هدمه وتجاوزه إلى مستوى أعلى»[2] ويقول أيضا «لقد أضاع الوعي الذاتي ذاته في موضوع خيالي»[*] منفصلاً عنه وحرم نفسه من كل قيمة»[3] هذا الوعي - عند فيورباخ - تلميذ هيجل وفيلسوف معروف! - اغترب لما أعطى كماله لغيره! زعم أن الاعتقادات الدينية إنما هي إسقاط فبدلاً من أن يعطي الكمال لذاته أعطى الكمال لغيره! وهكذا فالفكرة المنحرفة - التي صنعها بولس وهي فكرة المسيح/ الإله وسلمت الكنيسة بها انتقلت إلى الملك/ الإله أو المملكة/ الإله عند هيجل ثم انتقلت إلى الوعي الكلي للذات عند باور فانتقلت عند «شترنر» إلى الإنسان/ الفرد الأوحد[**]! وانتقلت عند فنورباخ إلى الإنسانية/ الإله أو الإله/ الإنسان أي أنسنة الإله أو تأليه الإنسان !! أو تأليه الجوهر الإنساني الذي يزعم لنفسه الكمال المطلق!

إنها فكرة الوعي الكلي للذات التي قال بها باور والتي يزعم أن وجودها يتوقف على تدمير هذا الوعي الذي يحرم الإنسان من صفاته ويقذف به إلى العالم السماوي[4]!

وكما قالت الدكتورة الماركسية فريال حسن خليفة فهؤلاء جميعا «كان هدفهم نقد الدين وتحجيم الايدلوجية الدينية(!) وإبراز عدم معقوليتها على أرض الواقع(!). واشتراوس عندما يدمر فكرة المسيح التاريخي، ويقول بفكرة الإنسانية،

(١-٢-٣) انظر نقد فلسفة هيجل ص٣٧-٤٤

(*) لو قال ذلك في الأساطير المسيحية الدخيلة على المسيحية لصدق ولكنه تجاوز ذلك إلى الدين !

(**) فمعتقد كما سيأتي بعد قليل فإن الأنا / الإنسان هو الكل في الكل !!!

(٤) المرجع السابق ص٥١ .

فـفي هذا تراجع للحقيقة الدينية وانحصار لها في مقابل تقدم الحقيقة (الإنسانية)»[1]

في هذا الجو الفاسد لابد أن يتشكل الالتواء العقلي ، ويعلو الجموح النفسي، ويمسخ الإنسان نفسه، وينقد ذاته، فيزداد الوضع التباساً وتعقيداً فلا غرو أن يظهر مثل «إشتراوس» في هذا المناخ الغير صحي الذي ضاعت فيه معالم كل شيء، وفقد الدين جوهره عند الكهنة والفلاسفة، لقد قلب اشتراوش الطاولة على أستاذه وعلى الفلاسفة المسيحيين من قبله، فأنكر وجود المسيح في التاريخ، ولماذا؟ ليهدم المسيحية والدولة البروسية!!! فهل بعقل هذا؟! إنها مصيبة دولة أستاذه ونموذجه المثالي في التاريخ «ورفض فكرة المسيح التاريخي - عند إشتراوش - والأخذ بفكرة الإنسانية هو هدم للمسيحية هدم أساس النظام السائد في بروسيا واستبداله بدولة الإنسانية»[2] يقول اشتراوس «يجب أن تبدل فكرة المسيح التاريخي بفكرة الإنسانية ويستطيع الإنسان أن يجد الخلاص بالمشاركة في الحياة الإنسانية الإلهية للنوع»[3] فبدلاً من الإنسان/ الإله في المسيح أو الملك/ الإله في فلسفة هيجل يصير الوضع مقلوباً فتصبح الإنسانية هي المطلوبة بحيث تكون الوحدة الحقيقية كلها في الإنسان فيصير هو الدولة/ الإنسان وليس كفرد بذاته بل الإنسانية ككل[4]

وكما قال ماركس عن نتائج نظرية هيجل بأنها «أكذوبة» كذلك فإن إشتراوس قال بأنها «خداع»[5]

وماذا يجني الكذب والخداع غير الضياع والهلاك وفقدان الإنسانية لمعالم وجودها وصورة تكريمها وحقيقة تاريخها وماذا أنتج إشتراوش وماركس وهيجل

---

(١) المرجع السابق ص٣٦ .
(٢) نقد فلسفة هيجل ص٤٠ .
(٣) Jhon, Edward Toews, Hegelianism, cambridge universty press, lon- don New york, 1980, p.265 نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٣٩-٤٠ .
(٤) انظر ص٣٧ نقد فلسفة هيجل .
(٥) انظر المرجع السابق ص٣٧ .

وغيرهم غير التلفيق والتفسير المشوه للإنسان والدين وللمسيح وللنبوة والتاريخ؟!

لقد كانت عقدة اشتراوش خطيرة، ولم يستطع أحد شفاءه من الأذى الذي لحقه به فلسفة أستاذه، وما تقدم عليه مما أفرزته العقلية الغربية ما أنتج أزمة الوعي الأوربي، ولذلك قام بتدنيس كل شيء وتحريف كل شيء وإنكار حقائق كل شيء ما أدى إلى القول بأن الإلحاد هو الإنسانية متصالحة مع ذاتها خلال نفي الدين[1] وعبادة الإنسان لذاته وتأليهه لنفسه.

ولما لم يجد اشتراوس في الوعي الجمعي الأوربي إلا هذه التحريفات الدينية المسيحية ، لما لم يجد إلا إرثا فلسفياً منحرفاً - لما لم يجد إلا فلسفة أستاذه والتي تجعل من ملك الدولة (مسيحياً/إلهاً) يجب الامتثال له وعدم الاعتراض عليه لأي سبب من الأسباب، لما لم يبق أمامه إلا هذا الفكر المنحرف بطرفيه الديني والفلسفي ذهب يؤسس لعلم الأساطير المقارنه وبيان نشأتها وتكوينها في الوعي الجماعي التاريخي «وعلى الضد من هيجل اعتبر إشتراوش الإنجيل بمثابة روايات وأحاديث تشكل جوهر الدين المسيحي، وقام بنقد النصوص الإنجيلية وانتهى إلى اعتبارها أساطير تترجم وتعبر عن أعماق الرغبات الإنسانية أو رغبات البشر.. لقد دمر اشتراوس العقيدة المسيحية خلال كتابه «حياة المسيح»[2]

وكما قدمت فإن مشكلة هؤلاء الفلاسفة أنهم فقدوا الموازين الحقيقية في الحكم على الأشياء، فأصابوا مرة وأخطأوا مرات، ولقد أعلن القرآن أن قصة (الإله-المسيح) الذي وُضعت له تماليم وأقوال تناسب موضوع تأليهه على لسان بولس وفي إنجيل يوحنا، أن هذا (المسيح/الإله) ليس له وجود فعلي في التاريخ فهو خيال المنحرفين، لكن القول بإن المسيح النبي لم يكن له وجود في التاريخ

---

(١) انظر المرجع السابق ص١٨٥

(٢) نقد فلسفة هيجل ص٣٩ .

فهذا هو الشطط والانحراف المقابل لانحراف سابق وبغيض!

إن الأساطير التي حيكت حول المسيح عليه السلام باعتباره إلها ليست قصصاً تاريخياً، ولا يعني ذلك أن نلغي وجود المسيح التاريخي ونلغي أحداث ووقائع تمت في عصره وفي فترة حياته على الأرض وأن نلغي نبوته ورسالته وشخصه الكريم الحقيقي! إن هذا ميزان دقيق يحتاج إلى عقل متوازن لا ينكر الأشياء بمجرد تلفيق أساطير وخرافات حولها ولو أن الأمر كذلك لأنكرنا أنفسنا ووجودنا وحواسنا كما فعل أيضا بعض الفلاسفة الغربيون![٥]

أما تأسيس علم يُرجع كل قصص الأنبياء التاريخي إلى أساطير الشعوب القديمة، بل ينكر وجودهم في التاريخ - وسيأتي ذكر ذلك بالتفصيل - فهذا هو الضلال المبين، والهوى الجامح الذي ليس له أي سند علمي أو أداة علمية تساعده على ذلك، وإنما هي تلفيقات وتلوينات وغرور علمي قاصر وطائش يظن أن بإمكانه حجب نور الشمس بالغربال المثقوب.

لقد قلنا إن الظروف الداخلية في المجتمع الغربي هي التي أفرزت هذه المناهج المختلة المهزوزة، والتي قد تنفع في تناول أساطير الوثنيات والمدنيات الغائرة في التاريخ لكنها لاشك ستفشل حين تتعرض لحقائق الدين وقصص القرآن كما فشل الجاهليون القدماء حين رموا القرآن بأنه أساطير الأولين فيما كان هؤلاء الجاهليون يتعبدون للوثن والوتد وظواهر الطبيعة! إن محاولة تخديم علوم الآثار وغيرها للمصالح الأيديولوجية الخاصة الكامنة وراء الادعاءات العلمية هي محاولات مفضوحة بتسليط ضوء النهار على صورها الخفافيشية القابعة في الظلام.

لقد قال «بروتو باور» - تلميذ آخر لهيجل - بمثل ما قال «اشتراوس» بعدم وجود حقيقي للمسيح عليه السلام في التاريخ!

---

(٥) حتى إن بعضهم أنكر وجود العالم الذي نعيش فيه.

فهل يمكن أن نجعل هؤلاء أساتذة لنا في صناعة المناهج العلمية (المختلة؟!)

في رسالته التي أرسلها إلى ماركس كانت كلماته الحائرة المعبرة عن تيهه وضلاله يقول: الكارثة أو النازلة أكبر من تلك التي صاحبت دخول المسيحية إلى العالم، ما شاهده العصر هو المعركة الأخيرة مع عدو البشرية الأخير.. والخطيئة التي يقترفها الإنسان ضد نفسه، والتي هي أكثر صعوبة هي أن الإنسان لا يستطيع تجنب المعتقدات الدينية بل يراها في العين الإنسانية، ويغلق عينيه ويغوص فيها قبل عمله الخاص، والشيء الوحيد الذي يمنح التحرر الكامل هو الخوف، من أن يفقد الإنسان ذاته، قبل أن يكتسب ذاته مرة أخرى[1] فهو في هدمه لحقائق الوجود أثناء هدمه لخرافات الكنيسة وأباطيلها أحس بأنه يفقد أشياء أصلية، أحس أنه يفقد ذاته ومقوماتها وفطرتها السليمة، ويفقد معها حقائق الحياة والكون والوحي والخليفة!

إن كلماته السابقة توحي بأنه كان يشعر بخور ما هو مُقْدِم عليه، بل تشعرك كلماته أنه فقد التمييز في عملية الهدم ضد الكنيسة بين خرافاتها والحقائق الكونية والإنسانية .. وفيها تظهر نفسه المضطربة وكأنها مُقْدِمَة على موت حتمي أو هلاك أبدي وهي تعكس فطرته المزقة وقلقه الباطني .. التي تكاد تفقد كل شيء وهي تقوم بهدم كل شيء!

لقد دَمَّر ذاته بينما كان يحاول إنقاذها!، ومَسخ وعيه فيما هو يحاول إعادته إلى مجراه الطبيعي!، وجد ذاته بينما كان يحاول تخليصها من عبوديات شائنة فغمسها في وحل (الاستلال المثالي) إلى الأبد، وأضاعها فيما كان يحاول الحصول عليها فمثله مثل هارون الذي فقد رؤية العالم على حقيقته وهو يحاول رسم صورة قبيحه له!، فقدَ فقدَ إحساسه بالجمال وأصبح أشبه بإنسان مصاب بعمى الألوان كما عبَّر هو عن ذلك في قوله «في مذكراتي التي سجلتها أثناء سياحتي وتجوالي

(١) D.Mclellan, the young Hegelians and Karl Marx op.cit., p.p.44.65. نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٤٥ .

في «كالا باكوس» كنت قد كتبت ما يلي عندما شاهدت المناظر الخلابة والمدهشة لغابات البرازيل: «إن من المستحيل التعبير عن مشاعر الذهول والتبجيل، والاحاسيس العلوية التي تملأ ذهن الإنسان التعبير الكافي» واذكر أنني كنت آنئذ أن هناك أشياء أخرى إضافة إلى الوجود المادي لجسد الإنسان. أما الآن فقد أصبحت أجمل المناظر وأروعها لا تؤثر فيّ ولا تحرك في نفسي مثل هذه المشاعر أو مثل هذه القناعة. فأنا الآن أشبه شخصا مصاباً بعمى الألوان»[1] .

لقد فقدوا رؤية الأشياء على ما هي عليه، كما فقدوا رؤية الجمال في الكون والتوازن في السنن، والعدل في إقامة السموات والأرض.

وهذا تلميذ آخر لهيجل «ماكس شترنر»[*] فقدَ رؤية نفسه على حقيقتها كما فقدها المتألهون من بني البشر، ففيما كان يقوم بنقد هيجل وتصوراته عن (الدولة الإله) أو (الملك الإله) كان يقوم بوضع نفسه بديلاً للدولة أو الملك! فأسس فلسفة «الفرد الأوحد» الذي ليس له قانون خارج ذاته وأعلن نفسه متحرراً من أي تضامن مع الإنسانية! .

فقد رأى - كما رأى مجموعة من تلاميذ هيجل وناقديه! - في فلسفة هيجل استلاب الإنسان وإغترابه فأعلن كردة فعل بأن ذاته من خلقه هو وأن عدو الذات الوحيد هو (دولة الملك الإله) وكل دولة!

وفي كتابه المسمى «الأوحد وخاصيته» يقول بأنه لا يقبل إلا بذاته قيمة وغاية وقانوناً «وفكرة الأوحد في مضمونها هي إعلان التمرد على الدولة والدين

---

(١) Francis Darwin(Ed.) (the Autobiography of charles Darwin and selected letters , p.65 نقلاً عن داروين .. ونظرية التطور ص١٥١، ١٥٤ .

(*) شترر (١٨٠٦ - ٨٥٦) فيلسوف الماني واسمه الحقيقي ليوهان كاسبر ثميث .

والمجتمع والفلسفة الهيجلية، فالجميع أشكال مختلفة لضياع الذاتية[٥] وذوبانها في الكل العام»[١] تقول الدكتورة الماركسية فريال حسن خليفة! ويقول «شترنز» إن المجتمع والحقوق الإنسانية للإنسان لاتعني شيئاً بالنسبة لي ... فالأنا هي الذات بدون نوع، بدون قوانين، بدون واجب، بدون حقوق»[٢] «إن ذاتي هي القاضي الوحيد الذي يقول ما هي حقوقي، والقانون الوحيد بالنسبة لي»[٣]

لقد تعلّم «شترنز» على يد هيجل الفلسفة في جامعة برلين، وهو فيلسوف صنع فلسفته في ظل ظروف هيجل/الدولة البروسية المناقضة لظروف هيجل/الثورة الفرنسية!!، فصار أول مؤسس للفوضوية.

ولم يكن الأمر أن «شترز» اكتشف الفرد من ثنايا المذهب كما زعم د. حسن حنفي[٤]، فإن الإنطواء على الذات وتأليه الفرد العام ليس اكتشافاً للفرد! وإنما تكريس لوثنية الفرد بتأليهه بمختلف صور التأليه كتأليهه ملك أو فرعون أو إمبراطور أو ملكية أو دولة أو فرد. والحاصل هنا أن فلسفة «شترنز» بل والفلسفة الغربية نتاج مجتمعاتها. إن فؤاد زكريا يُعلق بنفسه على فلسفة مشابهة وهي فلسفة «سارتر» (الفلسفة الوجودية) بقوله «ولو أمعنا النظر في مقولات سارتر الفكرية لوجدنا أنها لا تعني الشيء الكثير بالنسبة إلى إنسان العالم الثالث فالقلق

---

(٥) إن تلاميذ هيجل «رأوا في الدين المسيحي اغتراب الإنسان عن ذاته. وأنكرت المسيحية كل ما هو طبيعي وحسي فصارت مناقضة للإنسان وللإنسانية وللحرية البشرية» Julius carlebach, karl marx and Radical Critingve of judaism, routledge & kegan poul, london 1978P.144 نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٣٧

(١) نقد فلسفة هيجل ص٧٣ .

(٢) D.Mclellan, the young Hegelians and karl marx op.cit..p.127 نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٥٣ .

(٣) المرجع السابق ص١٢٨ نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٥٤ .

(٤) مقدمة في علم الاستغراب ص٢٥٤ .

والاغتراب و «الجحيم هو الآخر» كلها مفاهيم تعني الكثير لدي الإنسان الأوربي في مرحلة معينة من تاريخه، ولكنها ليست مقولات إنسانية عامة كما أراد لها سارتر أن تكون»[1] .

ومع أن هناك فارق زمني وتاريخي كبير بين «شترنر» (١٨٠٦-١٨٥٦م) وسارتر إلا أن الاضطراب مازال مستمراً والضياع مازال معلماً بارزاً مستمراً. إن ظروف تاريخ الوعي الأوربي كان تحزئة الإنسان وفقدان الوصول إلى فلسفة كاملة صحيحة عنه في ظل غياب الدين الحقيقي.

يقول فؤاد زكريا - مع ذلك - إن أهم شيء في الوجودية هو ارتكازها على الإنسان!!؟ «وبخاصة، في تلك الجوانب التي كانت تهملها الفلسفات التقليدية. فقد كانت الفلسفات السابقة تتعامل مع الإنسان بوصفه «عقلا» فحسب. وحتى حينما كانت تتحدث عن العواطف، والانفعالات، والقيم، كانت تعالجها بطريقة عقلية خالصة كانت تجرد الإنسان من وجوده الحي، الملموس، لكي تستبقي منه هيكلاً عقلياً خلا من كل نبض ، ومن هنا فقد جاءت الوجودية لكي تضيف بعداً جديداً(!) تجاهلته الفلسفات التي سبقتها هو البعد النابض بالحياة في الإنسان»[2]! إن الدكتور فؤاد زكريا نفسه تبني فلسفة أوجست كونت التي نتجت عن هذه الظروف الكئيبة والتي قسمت التاريخ البشري إلى مراحل ثلاثة، جعل الدين مرحلة غابرة منها وقد تجاوزته الإنسانية!!![3] ولم يجعلها د. فؤاد زكريا نتاج ظروف المجتمعات الغربية والفكر الفلسفي المنحرف والذي كان نتيجة الصراع المرير بين الكنيسة ومعارضيها، وعلى الطرف الآخر نتيجة اصطدام الفلسفات والنظريات المتناقضة!، والتي ظهرت في ظل أوضاع غير صحيحة وحروب

---

(١) خطاب إلى العقل العربي لفؤاد زكريا ص١٨٦ .

(٢) المرجع السابق ص١٧٩ .

(٣) قدمنا ذلك من كلامه، وكلام فؤاد زكريا في الكتاب الأول، في الفصل الأول منه.

وأزمات ونظم حكم تسلطية أو ديمقراطية هشة!

إن الزيغ الثقافي الذي يسيطر على العلمانيين العرب وهم يقومون بنقل الفلسفات الهشة لإزاحة الإسلام من عالم المسلمين ملأ قلوبهم حقداً وأعمى أبصارهم فلم ير كل منهم في فلسفته التي نقلها إلى عالم المسلمين أنها نتاج ظروف غير صحية وغير إنسانية وغير علمية وإنما زعم كل منهم في فلسفته المبتورة أنها حقائق نهائية والفلسفات الأخرى نتاج ظروف أوربية بحته!!!

يظهر تلميذ آخر على الساحة بفلسفته التي أثرت تأثيراً كبيراً على كل الفلسفات والنظريات التي جاءت بعده وسببت صراعات خطيرة ودمرت ملايين البشر في الحروب الداخلية والعالمية، إنه «فيورباخ»(*) الذي قام بنقد فلسفة أستاذه هيجل فأعلن أن هدفه استرداد الإنسان من غربته في الدين والفلسفة! ... فابتكر نظريته في عالم ابتكار النظريات القاصرة في الغرب! فدار فيورباخ في حلقة الوثنية المفرّغة التي خرجت من اليونان واصطبغت بالمسيحية في مرحلة تحريفها هُجّنت بفلسفات كفلسفة هيجل الذي استنسخ منها فلسفته: فلسفة (الملك/ الإله) ما أدى إلى استنساخ فيورباخ نظرية تأليه الإنسان عموماً وبزعمه انه ينبغي على الإنسان أن يسترد كماله الذي أعطاه لله في لحظة غياب!(**) وفي الحقيقة ففي عالم التحريف والوثنيات القديمة والحديثة يحصل غياب الإنسان والزعم بأن استرداد حقوق الإنسان بتأليهه أو بتأليه الملك المعين أو بتأليه الدولة أو الإنسانية أو الفرد الذاتي أو ما إلى ذلك من فلسفات التأليه الغربية التي إتكأت على الإنسان بزعم أنها تريد استرداد كرامته هو زعم سخيف، فالإنسان لايكون إنساناً بإنكاره لخالقه ولمكرمه ولمُعلمه ولرازقه ولمنهجه وشريعته! إن هذه الفلسفات اللاعقلانية هي التي شوهت

(*) فيورباخ (١٨٠٤ - ١٨٧٢) فيلسوف مادي. عمل في جامعة أرلاجن، أهم كتبه «جوهرة المسيحية» و«نقد فلسفة هيجل».

(**) مع أن المشكلة عنده كانت بينه وبين الكنيسة وعقيدة تأليه المسيح، فكيف يتنقل من ذلك إلى الكفر بالله عز وجل الذي منحه إنسانيته التي سلبتها مسيحيته التي نقدها هو نفسه !!

حقيقة الإنسان واستلبت عقله ونفسه، وهذا ماركس يقول نفسه عن هيجل بأنه أثبت «عدم عقلانية العقلي باطلاق»[1] وقال عن فلسفته أو عن بعض أفكارها بأنها «أكذوبة»[2] وقال تلاميذ هيجل عن أفكاره بأنها «خداع»[3] وكذلك يقول بعضهم في فلسفات الآخرين في حلقة مفرغة من اللاعقلانية الإنسانية والأفكار الجزئية الشائهة والاتهامات المتداولة المتوارثة « إن الشعور بالذات يصل إلى أن تكون أنت إلهاً»[4] هكذا يتفلسف فيورباخ فهل هذه عقلانية وتنوير وتحرر و(فلسفة أو حكمة) أو حقوق إنسانية أصلية؟ هل هذه هي مهمة الفلسفة وحقيقة فاعليتها في عالم الإنسان؟!!

إن تبرير هيجل الأستاذ الفيلسوف للوضع السائد بنظرية (الملك/الإله) أدى إلى بروز فلسفة فيورباخ التي رفعت الإنسان ليرى نفسه إلهاً متشخصاً!! وفي النص التالي نجد عوامل رد الفعل الداخلي الذي سيطر على هؤلاء الفلاسفة يقول - وهنا تشعر بوقع أزمة! - فيورباخ إن «الحرية السياسية!» وتحققها في الواقع يجعل من الحتم أن يحل لدى البشرية «العقل محل الإنجيل، والسياسة محل الدين، والعامل محل العابد.. والإنسان محل المسيح»[5]

وفي إسلامنا ليس هناك تعارض بين العقل والنقل أو الدين كما أن السياسة العادلة من الدين فكيف تحل محله كذلك؟ والإسلام حرك الإنسان وأطلقه فاعلاً في الكون ونتج عن ذلك حضارة عاملة عابدة فمن يحل مكان ماذا؟ وليس هناك

---

(١) نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٢٧٣ Karl Marx, chp R . p.33

(٢) المرجع السابق لماركس ص٣١ نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٢٦٣ .

(٣) إشتراوس من رحدة الفلسفة والدين عند هيجل بأنها «خداع» كما في كتابه «حياة المسيح» .

(٤) Ludwig Feuerbach, Introduction to the Essence of christianity, Translated with an Introoduction byZawar Hanafi, anchor Books, New York, 1972 P.P. 102-108

(٥) Ludwig Feuerbach, The necessity of a reform of philosophy, op. cit., P. 148.

نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص١٢٥ .

في الإسلام مسيحاً مؤلهاً أو ملكاً أرضياً مؤلهاً فكيف يتعارض الإنسان مع شيء ليس موجوداً عندنا؟!

إن الألوهية الحقيقية لاتتعارض مع غاية الوجود الإنساني كما قدمنا، فمتى حدث في ديننا تعارض؟! إن التعارض لم يكن أبداً في مبادىء الإسلام مع الواقع إنما التعارض تم في النصوص المسيحية والنصوص الفلسفية والواقع الثابت، إذن فلسفة فيورباخ نتاج ظروف أوروبية معينة وليست حقائق كونية مهيمنة على الدين والإنسان والحياة! ، إنها رد فعل معين على أفكار منحرفة متمثلة في الفلسفة والمسيحية المنحرفة، فكيف نجعل منها منهاجاً لتحليل كل شيء، ونظاماً معرفياً لنقد الدين والتاريخ والإنسان!!

ومعروف كما قالت الدكتورة الماركسية فريال حسن خليفة أن فلسفة فيورباخ تدعى أن «فلسفة المستقبل هي تحقق الإلحاد الواعي للبشرية»[1]. فكيف يكون هذا الوعي وعياً إنسانياً يحل الماهية البشرية مكان الماهية الإلهية؟!!

إن فلسفة فيورباخ «وعي زائف» أفرزته ظروف مادية وفكرية منحرفة وليست حقيقة إنسانية أصيلة يمكن للإنسان أن يبني عليها حياة طيبة كريمة! إن الذي أدى لبروز هذه النزعات هو عملية تأليه الإنسان ذاتها!، والتي تمثلت في مرحلة من مراحل الوعي الأوربي - وإلى الآن عند الكنيسة! - في تأليه المسيح. ومن هنا كان رد الفعل العنيف الذي يريد نزع هذه الخرافة من عقل الإنسان ولكن وياللخسارة تم تدشين خرافات أخرى، يقول فيورباخ مظهراً طبيعة عمله الفلسفي! «وقد ارتبط في الدين المسيحي اسم الإنسان باسم الله في اسم واحد(!)، الإنسان الإله(!)، مع احتفاظها بهذه الحقيقة(*) ، حولت الصفة في الجوهر، والمحمول في الموضوع، والفلسفة الجديدة هي الفكرة متحققة هي حقيقة المسيحية(**)، إنها

---

(١) نقد فلسفة هيجل ص١٢٥ .

(*) يقصد فلسفته أي حقيقة«الإنسان الإله» ! بزعمه.

(**) يقصد تأليه الإنسان !

بالتأكيد تحتوي داخل ذاتها جوهر المسيحية[٥]، ولكنها تهجر اسم المسيحية»[١]

ثم قال بأن فلسفته - في نفس النص - هي «الحقيقة الصادقة بدون تناقض هي الحقيقة الجديدة»!

فأين في خرافات فيورباخ ما زعمه حسن حنفي من أن فيورباخ من خلال نقده للدين اكتشف الإنسان والطبيعة؟[٢]

على العكس من ذلك لقد دمر فيورباخ الإنسان عندما منحه استقلالاً مدمراً لخصائصه وطبيعته ذاتها، ما أدى إلى إنتهائه إلى المادية كما قال حسن حنفي نفسه «ودافع عنها مما أثر في جميع معاصريه من الهيجليين الشبان حتى اعتبر إنجلز أنهم كانوا جميعا فيورباخيين أي ماديين»[٣] عبدوا ذواتهم المتعالية!

لقد تأثر إنجلز وهو صديق ماركس ومن أقطاب المادية الجدلية بفيورباخ، كما تأثر ماركس به في الأساس النظري ونقد الدين الذي قال عنه ماركس «ونقد الدين هو مقدمة لكل نقد[٥٥]، إن نقد الدين يحطم أوهام الإنسان، ومتى تحطمت أصبح الإنسان قادراً على التفكير والعمل وتطوير واقعه كإنسان فقد أوهامه وكسب عقله. وحينما يتلاشى هذا الوهم، تكون مهمة التاريخ، أن يؤسس حقيقة هذا

---

(٥) يقصد إنما كان المقصد من المسيحية في جوهرها تأليه الإنسان فإن فلسفته لا تختلف عن هذا المحتوى لكنه يخلعه من المسيح إلى الإنسان ! ونفى المسيحية هو نفي للإسم مع الاحتفاظ بجوهر تأليه الإنسان!!

(١) Ludwig Feuerbach, preliminary theses on the reform of philosophy, op. cit., 172 نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص١٢٧ .

(٢) انظر (مقدمة في علم الاستغراب) لحسن حنفي ص٢٥٩، لقد اعتبر حنفي نفسه فيورباخاً وتأثر تأثيراً عظيماً بفلسفة فيورباخ وقد قدمنا ذلك في «الفصل الأخير من كتابنا الأول» .

(٣) مقدمة في علم الاستغراب ص٢٥٩ .

(٥٥) واضح من هذا النص معاداة ماركس للدين وليس للمسيحية والكهنوت بها فقط كما أن تأثير «فيورباخ» و«باور» و«اشتراوس» و«هيجل» واضح كذلك عليه !

العالم، ومهمة الفلسفة أن تخدم التاريخ وأن تزيل القناع عن الاغتراب الذاتي الإنساني في شكله الدنيوي، والذي أصبح غير مقنع في شكله المقدس، لذلك فإن نقد السماء يجب أن يتحول إلى نقد الأرض، ونقد الدين إلى نقد القانون، ونقد اللاهوت إلى نقد السياسة»[1] .

فإذا كان الفكر الأسطوري المسيحي غير مقنع، ويصنع اغتراباً للإنسان في العالم وإذا كان يجب تحطيم هذه الأغلال ليقدر الإنسان على التفكير وتأسيس حقيقة هذا العالم.. فإن ذلك كله ليس موجوداً عندنا في الإسلام العظيم ولا في المسيحية الحقة! - الذي جعل للإنسان كرامة وغاية عظيمة لوجوده، ومنحه العلم وقوة الإدراك والقوة المفكرة للانطلاق لاكتشاف هذا العالم وتسخير سننه وتأكيد ذاته وتحقق إنسانيته ورغباته الحقيقية في الحياة.

هذا هو القانون الإلهي ونظرته إلى الإنسان، فأين ظروف الصراع الذي أنتج وأفرز هذه الأفكار المتصارعة ؟ أين هذه الظروف من الدين الإسلامي! هذا هو التاريخ الحقيقي الذي يجب على الفكر أن يطرحه على الوجود، وهذه هي الفلسفة - أو الحكمة الحقيقية - ومهمتها. لكن قَلْب ماركس لمعادلة هيجل على رأسها جعل ماركس مقلوباً أيضا، حتى إنه لم ير إلا الأوضاع المقلوبة بعيداً عن مرايا الوجود وانعكاسات الحقيقة وطبيعة الأشياء!

فإذا كانت فلسفة هيجل - بحسب تعبير ماركس - تحمل نقائض العصر، فإن فلسفة ماركس هي أيضاً كذلك، وهي خليط من جدلية هيجل مع قلب أساساتها وفلسفة فيورباخ والشبان الهيجليين فهي نتاج متطور لأفكار تُحجِّم الإنسان وتمسخ فطرته وتجعله عبداً للمادة ورقيقا لظروفها وإفرازاتها المختلفة ولأحداثها المتغيرة...

---

(١) Karl Marx, contribution to the critique of Hegel's philosophy of right: introduction, selected writings by robert c.tucker, w.w.company, New York 1988,P.P. 53-54. نقلاً من نقد فلسفة هيجل ص٢٣

ومع ذلك يؤلهونه!!! إنهم جميعهم قالوا ما قاله ماركس أنهم سيجلبون إلى ضوء الشمس حبات اللؤلؤ الخالص[1] ولكنهم في الحقيقة جلبوا طبقات السحاب الداكنة المظلمة على حبات اللؤلؤ الخالصة! ما سبب أزمة القيم وأزمة تفسخ باهظة التكاليف. لقد حجبوا ضوء الشمس عن الإنسان الغربي[*] فلم ير غاية وجود الإنسان في الكون وإنه على الرغم من سيادته على الأرض وخلافته فيها إلا أنه يحمل أمانة إلهية يجب عليه تحقيقها للحصول على السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة. ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور:٣٩،٤٠].

إن الفيلسوف كيركيجارد - أول الوجوديين - وهو من الذين نقدوا هيجل نقداً عنيفاً [**] أكد هذه الحقيقة القرآنية، وهي مع انطباقها عليه إلا أنه عبر عن روح الفكر الغربي والواقع الخارجي وقت أن بدأ يسطر فلسفته ويضعها في خارج عقله! يقول «وعصرنا هذا الذي نعيش فيه هو في بؤس لأنه بلا وجدان»[2] «لكل عصر رذيلته التي تميزه، ورذيلة عصرنا ليست هي اللذة أو الفجور أو الشهوة، بل

---

(١) لقد ادعى ماركس أنه يستطيع ذلك بإسقاط الستار عن كل المقدسات ونقد الدين Karl Marx, let- ter to gis father, selecterd writings, David Mcllan p. 8 انظر النص كاملاً في نقد فلسفة هيجل ص١٥١ .

(*) أرى من عقيدة الإسلام أن الإنسانية كلها هي اللؤلؤ الخالص - العربي والغربي وكل إنسان - فهي تحمل مسئولية خلافتها على الأرض لكن هؤلاء الفلاسفة ومن سبقهم من الكهنة حجبوا فعلاً ضوء الشمس عن هذه اللآلىء المكرمة إلهياً - فصار ظلاماً ماكناً !

(**) أكد كير كيجارد كما أكد تلاميذ هيجل أن هيجل جرّد الإنسان من وجوده الحقيقي .

(٢) Kierkegaard the journale, op.cit.,p. 77 نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٨٧ .

احتقار لا أخلاقي شامل للإنسان الفرد»[1] ويقول الحائز على جائزة نوبل للسلام «لبرت شفيتزر» في تشخيصه للعصر الصناعي الحديث - وهناك فارق زمني بينه وبين كيركيجارد! - «أن الناس أصبحوا فاقدين للحرية بعد أن كانوا أحراراً .. فأحوال وجودهم إذن ليست أحوال طبيعية... إذن فوجودنا الفردي تنحط قيمته من جميع نواحيه، وأصبح من الصعب على الإنسان، أكثر من أي وقت مضى، في أن يصبح شخصية»[2] والسبب عنده أن الإنسان أصبح عبداً للآله الصناعية!

بيد أنني أزعم أن السبب الرئيسي أن الإنسان أصبح عبداً لفلسفات عظيمة سيئ له أزماته الروحية والمادية على السواء، وجعلته عبداً للأشياء ولم تجعله سيد الأشياء كما أراد الله له على الأرض! إنه انفصل عن كثير من أصوله الحيوية وقيمه الإنسانية ومنهجه الرباني ففقد نفسه وانفصل عن ذاته واستعبد للأشياء والمواد والظروف والتقلبات الأرضية. يقول الفيلسوف «كارل ياسبرز»: «فالإنسان إذ ينفصل عن أصوله، ويحرم من التاريخ الواعي ومن كل اتصال في وجوده الشخصي، لا يمكن أن يظل إنساناً... ونحن لانشك في أن الإنسان يستطيع أن يعيش في هذا النظام الآلي، بفضل آلاف العلاقات التي يعتمد هو ذاته عليها، والتي يساهم في بنائها: ولكن يظل في هذه العلاقات حداً لا كيان له. إذ يمكن أن يستبدل به غيره - فكان وجوده وعدمه سواء ...»[3] .

إن هؤلاء الفلاسفة يشتكون من ضياع الإنسان .. وذاتيته .. وعندما يقدمون الحلول فإنهم يقدمون لك العجب العجاب .. وقد ضربنا لك الأمثال! وهم يدورون حول أفكارهم المدمرة للإنسان كالنملة التي انتُزِع قرنها وكالروح التي فقدت

---

(١) المرجع السابق . (٢) الإنسان والحضارة ص١٣٣-١٣٤ .

(٣) Karl Jaspers: la situation spirituelle denotreepoque (trad. fran paris 1951 p.p.52-53. نقلاً عن الإنسان والحضارة ص ١٣١ .

مكانهـا في الكون وتاهت عن غاية وجـودها! بيـد أن الخيط الفلسـفي الذي قلب موازين كل شيء في الغرب والذي وصل إلى إنكار وجود شخصيات وأنبياء ورسل في التاريخ، امتد وسيطر على العلوم التاريخية والاجتماعية والنقدية.

قد يكون التصـدي لهذا التحريف الكوني أقل إلحاحـاً إذا ما تعلق الأمر بالفكر الفلسـفي الغربي المنغلق على نفسـه، لكنه يكون أكـثر إلحـاحـاً إذا ما تعلق الأمـر بأمرين عظيمين في الوجود وهو تأثير هذه الأساطير الفلسـفية الجديدة على الإنسـان عموما وعلى المسلم خصوصا، والثاني هو محاولة تفسير التاريخ الإنسـاني تفسيراً مادياً ومنه تاريخ الصراع الذي تم في التاريخ بين الأنبيـاء والمستبدين من أقوامهم. ومن هذه المحاولة يتم الوصول إلى تاريخ الرسول ﷺ ومحاولة تفسيره تفسيراً مادياً ينفي الوحي ويلغي النبوة ويهدم أعمدة هذا الدين العظيم.

لقـد تم إنكار وجود المسـيح في التـاريخ واعتُبـر أسطورة مختـرعة، حتى إن البعض ذهب إلى إنكار وجود محمد ﷺ في التاريخ وهذا شيء مضحك حقا. لكن أدهى المحاولات التي قام بها كـثير من الفـلاسفة والعلمـاء الماديين هو إنكار وجود الأنبياء والرسل في التاريخ وتحويل موسى من نبي رسول إلى كاهن مصري تأثر بالمفاهيم المصرية عن الوجود والحياة والإنسـان!

إن كثيراً من العلمـانيين العرب من مـثل المستـشار محمد سـعيد العشـماوي والدكتور سيد القـمني وغيرهما كثير سيأتي بالتـفصيل بدءاً من الفصل الثالث، - إن شاء الله- هؤلاء ذهبوا يقلدون هذه المذاهب في إنكار الحقائق والبديهيات، وهو مـا دعاني إلى كـتابة هذا الـكتاب وهذا الفـصل بالذات(*) ،يُعد بيان جـذور هذه الأكـاذيب من الأهميـة بمكان ونحن إذ نرجع إلى مراحل الصـراع - التي أبرزتْ بعض وحداته! - الكثيب بين الكنيسـة والفلسـفة، والفلسـفات بعـضها ضد بعض،

(*) انظر الفصل الأول .

ولن هذه الأقوال كانت رد فعل منحرف تجاه إنحرافات أخرى مقابلة في الوجود التاريخي لأزمنة هذا الصراع الذي انتهى لتأسيس مذاهب ومناهج نقدية فاسدة، ما فيها من شر وضلال أضعاف أضعاف ما فيها من علم وخير. فكيف يمكن الوصول إلى الحقائق الكلية والمنهجية الشاملة بهذه النظرة الشائهة للتاريخ ولتطبيقاتها الخبيثة في إنكار وجود الرسل أو تحويل وجودهم من وجود نبوي رسولي إلى كهنوت وثني وعقد نفسية وآمال قبلية واهتبال فرص للظهور والبروز!

إن الخلاصة التي يمكن أن أخرج بها من هذا الفصل هي أن القول بأن الدين ما هو إلا أساطير وخرافات إنما هو إنحراف خطير يظهر كل حين في تاريخ البشرية نتيجة لظروف فكرية وسياسية واجتماعية مدمرة وغالبا ما يكون رد فعل - كما حدث في أزمة الوعي الاوربي - متطرف على أوضاع غير إنسانية مكبلة للإنسان، محطمة لإمكاناته وقدراته الإنسانية، كما أنها تكون نتيجة لإنحراف فكر الإنسان وتراجع قدراته العقلية وتضخم نظرته الجزينة الشائهة للأمور فيحكم على «الكلي» و «العام» بعوَر «الجزئي» و «الخاص»، ولا شك أن الفساد الأخلاقي والتحرر الجنسي والاعتزاز بالفردية كل ذلك يؤدي إلى خلل في الحكم، وتهور في الفكر، واضطراب في التصور، وجفاف في الوعي، وقصور في النظر، وخفة في العقل، وزيغان في البصيرة ويأس من الإحاطة الكاملة، والتسرع الطائش بالحسم القاصر الهزيل! وعقم النظريات، وهشاشة النقد، وعبث الإفتراضات!

الفصل الثاني

«وسط كل الأديان ، الإسلام هو الدين الوحيد الذي يمهد للإنسان طريقاً متكاملاً للعيش ، يسمح له وللمجتمع أن يعيشا معا في رخاء، وفي توازن فريد، الباقون كلهم إما يسحقون فردية الإنسان أو يحدّون من مسئولياته الإجتماعية»

مراد هوفمان. من كتابه «خواء الذات والأدمغة المستعمرة ص١٠٥.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣، ٤].

قدمت في الفصل الأول الظروف التاريخية الخطيرة التي أنتجت الأفكار في الغرب، وشكلت الوعي الأوربي الفلسفي المأزوم والمقابل للفكر الكنسي، وبينت أن الاتجاهين كانا قاصرين وعلى طرفي نقيض، وأنهما معاً يقفان متعارضين مع «المنهج الرباني» في الاعتقاد وقواعد التصور والفكر والنظر إلى غاية وجود الإنسان على الأرض.

وقلت إن التأثير الفكري والعقلي الإسلامي الذي عاش فعلاً في جزء من أوربا وهو الأندلس لمدة ثمانية قرون كان هو الذي فتح مجالاً للإنسان الغربي للتفكر والتعلم والتجريب والملاحظة. الشيء الذي عمل على بث الروح في الجسد الأوربي الميت ، فانتعش ونفض عنه أساطير الكنيسة وجهل العالم.. بيد أن المنهج الرباني الذي أثر على الإنسان الغربي وردَّ له روحه لم يؤخذ من حواضر المسلمين كاملاً، وذلك لأسباب معروفة، فرواسب العداء بين الكنيسة والإسلام، كانت متمكنة من رواد الفكر والتجريب الغربي في آن واحد ففيما كان يقوم الإسلام بإنقاذ العقل الغربي ومدّه بعلوم العقل والملاحظة والتجريب كانت رواسب الكنيسة وعصبيتها البغيضة متمكنة من هذه العقول الناقدة والمتحررة ما أدى إلى

(*) يؤكد مونتجومري وات أنه برغم أن العلماء والفلاسفة الأوربيون استفادوا مناهج فكرية وعقلية من المسلمين إلا أنهم رفضوا الإسلام وشوَّهوه، ذلك أن تواجد الإسلام على حدود العالم المسيحي أدى بهم إلى تغير صورة الإسلام وعدم قبول الحقيقة عنه، وبدلاً من إحلال الفكر الإسلامي الذي أوصل القواعد التجريبية للغرب مكان الكنيسة وخرافاتها تم إحلال فلسفة أرسطو وغيرها مكانه « فإن إحلال أرسطو مكان الصدارة في الفلسفة والعلوم ينبغي النظر إليه باعتباره مظهراً لرغبة الأوربين في تأكيد اختلافهم عن المسلمين ولم يكن هذا النشاط السلبي تماماً المثيل في التفكر للإسلام أمراً سهلاً، بل كان في الواقع أمراً مستحيلاً خاصة بعد كل ما تعلمه الأوربيون من علوم العرب وفلسفتهم عالم يكن قد صاحب هذا التفكر نشاط إيجابي(!) ... متمثلاً في العودة إلى ماضي أوربا الكلاسيكي أي إلى حضارتي الإغريق والرومان» فضل الإسلام على حضارة الغرب ص١٠٨ .

وقوعها في قصور شديد وخلل جسيم وتعصب شديد، وكراهية عنيفة منعت من نفاذ النور كاملاً وحضور العقل، وبينما كانت العملية النقدية لعقائد الكنيسة وأساطيرها قائمة على قدم وساق كانت العقلية الغربية تدمر معها كل ما يتعلق بالدين والوحي والغيب والسماء معتقدة أن الكل سواء ولا فرق بين الدين عموما وأساطير الكنيسة وتعاليم الكهنوت اليهودي الأسطوري.

فكانت بحق (الكارثة الكبرى) في تاريخ الإنسان الغربي الذي وضع مناهج جديدة على هذا الأساس الأعمى، والذي كان قد بدأ ببصيص من نور العقل الاسلامي الذي كان رابضاً بمشاعله في حواضر أوربية كبلاد الأندلس وصقلية يفتح أذهان الإنسان أيا كان لونه أو جنسه أو عرقه أو دينه لرؤية العالم بعيداً عن الكهنوت الذي كان قد حجب الكتب الدينية والعلمية عن الإنسان، وبعيداً عن الأساطير التي تحجب العقل وتشل الفكر لذلك فإن العقلية النقدية الشائهة في الغرب كانت على الرغم مما تحمله من بذور الخير ماتزال تحمل إرثاً عدائياً للإسلام فجمعت الإسلام والكنيسة في سلة واحدة.. فلم تتحرر فعلياً كما كانت تبغي ولكنهاخرجت من أساطير الكنيسة لأساطير الفلسفة التي كانت تترنح من تجب خمر النصر على مقدساتها ومسلماتها! ولما أفاق الإنسان الغربي من غيبوبة النصر وجد نفسه قد وضع مناهج تدمر الدين وتمسخ صورته وتخرجه من طبيعته، وتحقر الإنسان بصورة مختلفة عن ما فعلته الكنيسة المنقوضة وقد أدى ذلك فيما بعد إلى تفكك الإنسان وتجزئته ثم تلاشيه فإعلان موته!!

سأحاول أن أربط بين الفلسفة والكنيسة في طبيعة النظرة التي لم تتغير كثيراً قبل أن أدخل على الأساطير التي وضعها فرويد عن موسى عليه السلام والتي تمكنت من العقلية العلمانية المتطرفة التي تسيطر في بلادنا على منابر إعلامية وثقافية خطرة ومؤسسات علمية وأكاديمية عريقة!

وفي ذلك الربط فائدة كبيرة للقارىء حتى يتعرف على خلفية الصراع الشديد

القائم اليوم في العالم الإسلامي بين المفكرين والعلماء المسلمين وبين هؤلاء العلمانيين الذين تأثروا تأثيراً كبيراً بأساطير الفكر الفلسفي الغربي المحمّل برواسب الكنيسة الغربية الحاقدة وبقصور النظرة تجاه الدين والغيب والوحي والنبوة.

لقد بدأت الصورة الشائهة عن الإسلام تتكون في العقلية الغربية وتصنع تأثيراتها الخطيرة حين بدأت أغنية «رولاند» في القرن الحادي عشر ومطلع القرن الثاني عشر ترسم معالم للإسلام والمسلمين ورسول الإسلام غريبة جداً فالمسلمون وثنيون يتحدون في فيالق من النوبة وعبيد صقالبه والأرمن والزنوج، في عبادة الثالوث: محمد وترفاغانت وأبولوب[1]!!

«وهكذا - يؤكد مكسيم رودنسون - فالمؤلفون اللاتين الذين شرعوا بين (١١٠٠, ١١٤٠) في تلبية هذه الحاجة عند الجمهور الكبير ركزوا جهودهم على حياة محمد بدون أن يبالوا كثيراً بالصواب أو الدقة، مفسحين المجال حراً كما قال زود سوذرن ... إلى «جهل الخيال الظافر». في نظرهم كان محمد ساحراً دمّر الكنيسة في افريقيا وفي الشرق بالسحر والخداع وإباحته الاختلاط الجنسي»[*](1) العام»[2] فتم اختلاق أساطير عن محمد ﷺ في الغرب المسيحي مازالت بقاياها تحتل مكاناً في الفكر الغربي والروايات الشفهية المتناقلة على الألسنة والمتمكنة من الوجدان الغربي!

مع أن الباعث على اختلاق هذه الأكاذيب كان هو الحقد على الاسلام وليس

(١) انظر جاذبية الإسلام للمستشرق مكسيم رودنسون ص١٨ .

(*) يقول متجومري وات في كتابه فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص١٠٣ «بل ذهبوا إلى أن القرآن يبيح الشذوذ الجنسي» ويقول قبل ذلك «والواقع أن الصورة الأوربية للإسلام هي أبعد ما تكون عن الحقيقة ص١٠٢ .

(٢) جاذبية الإسلام لمكسيم رودنسون ص٢٠ .

رؤية هادئة متوازنة وهو ما يُعبّر عنه «غير دو نوجان (المتوفي نحو ١١٢٤-١١٣٠) بقوله «يمكن بلا تردد أن نقول شراً عن الذي تتخطى طبيعته الشريرة كل ما يمكن قوله من شر»[١]!!

وبحسب الخبرة العلمية العميقة بالفكر الغربي والاستشراق والحقد القديم يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي «وكانت هذه الدعاية قائمة على أساطير وأكاذيب جديدة لكتاب لم يعدموا الجهل بالأحداث التاريخية كما لم يحرموا موهبة تلفيق الأكاذيب. وكانت ثمرة هذه الدعاية هي ما اصطلح على تسميته منذ ثلاثة قرون في أوروبا باسم «أسطورة محمد»[٢]

ويلخص لنا «أليساندرا داكونا» صورة أربعة قرون كاملة من صنع الأكاذيب والأساطير عن رسول الله محمد ﷺ بقوله «إن محمداً نفسه يقدم لنا مرة على أنه وثن ومرة أخرى على أنه مسيحي يُدعى أوكين، أو بلاجيوس أو نيقولا. وهو ساحر، وأمي وعالم في بولونيا: وقد جاء من القسطنطينية أو من أنطاكية أو من أزمير، أو من مناطق وثنية أخرى أو مناطق مسيحية، وهو مرة عربي، ومرة أسباني، ومرة أخرى روماني من عائلة كولونا، ومرة يختلط اسمه باسم معلمه(!)، ومرة يكون هو الراهب، أو المطران الذي كان على وشك أن يصبح بابا عند آخر الكتّاب الذين ذكرناهم (يعقوب الأكويني) ... وقد ناقشنا هذا الثالوث نيقولا، وسيرجيوس، محمد، وقد يأتون أحياناً أربعة ... ومن أسطورة لأخرى تتغير الأسماء والأحداث: ويظهر الفن الشعبي والتقاليد الشفوية بقوة في الروايات مما يعكس الاضطراب في العقليات»[٣] الاضطراب في العقليات - وبحسب

---

(١) المرجع السابق ص٢١ . (٢) دفاع عن محمد ضد منتقديه .

(٣) أليساندرا داكونا «أسطورة محمد في الغرب ص٢٦٢-٢٦٣ في «الجريدة التاريخية للأدب الإيطالي» مج١٣(١٨٨٩) نقلاً عن المرجع السابق ص١٦ .

الدكتور بدوي - المغرقة في الحماقة والغباء[1] وقد وصل الحد بهذه العقليات المنحرفة أن زعمت أن الرسول ﷺ أباح للمسلمين كل أنواع الفساد الأخلاقي والتحلل الجنسي. وزادها الراهب جيوبرت رئيس دير نوجينت (١٠٥٢-١١٢٤م) الذي زعم أن الرسول هو راهب في كنيسة الإسكندرية وأنه «جاء ببقرة ووضع بين قرنيها كتاباً صغيراً وأخفى هذه البقرة عن أتباعه، وفي أحد الأيام أخرج هذه البقرة أمام العامة وجعلهم يقرأون الكتاب الصغير الذي كان بين قرنيها»[2] كما كتب مطران غرناطة بيير باسكايو (١٢٢٨-١٣٠٠م) فزعم أن محمد بروض ثوراً أمده به بحيرا الراهب - بزعمه! - وكان الوحيد الذي إستطاع ترويض هذا الثور! «وألف القرآن بمساعدة الراهب حيث كان مكتوباً على قرن الثور(!)»[3]!!!

يقول الدكتور بدوي تعليقاً على خبل المطران «وروايته تكشف عن خيال مضطرب مع أنه كان يعيش بين المسلمين وفي قلب مملكة غرناطة التي ظلت إسلامية حتى نهاية حكم المسلمين في أسبانيا عام(١٤٩٢) إنه لم يستفد إذاً من حياته في بلد إسلامي ومعايشته لأيام المسلمين ووجود كل ألوان الكتب في متناول يده»[4]

سيرى القاريء الكريم صوراً لهذا المطران في عالمنا العربي والإسلامي تتمثل في كثير من العلمانيين والمنحرفين والذين قدمنا نماذج لبعضهم في كتابنا هذا وذلك بعد عرض أسطورة فرويد عن موسى عليه السلام. فليس الأمر هو أن يعيش المرء في العالم الإسلامي أم لا يعيش فيه، فالخفافيش تعيش تحت الشمس وتحت ظل قبة السماء لكنها تكتفي بالليل البهيم وترضى العيش في حلكة الظلام.

وقد زعم «بودبي» في التاريخ العام للأتراك عن النبي مايلي «فإنه لجأ كنبي مزور إلى الأكاذيب والجوانب الأسطورية ليغذي بها أحاسيس شعب خشن وجاهل مثل العرب ... وبينما هو يتلهى (!) ببعض القصص التي تحكي ما جاء به من

(١-٢) المرجع السابق ص٦ .
(٣) المرجع السابق ص١٠ .
(٤) المرجع السابق ص١١ .

جديد، إذا بحمامة مروضة لهذا الغرض تطير من مكان قريب وتستقر على كتفه لتنقر حبات كان قد وضعها تحت أذنه ، وهكذا أوهم العرب بأنها تملي عليه إرادة الله وقوانينه»[1] .

وحكاية هذه الحمامة والأذن في الأسطورة الكنسية ترددت كثيراً في الكتابات القديمة والحاقدة ورغم سخافاتها فإنها كانت مقبولة عند الغربيين المضحوك عليهم! وقد رددها «هوجو دو جروت» آلياً (وهو باللاتينية ادوجروتيوس) وهو الكاتب الشهير للرسالة المسماة (قانون الحرب والسلام)، أمستردام (١٦٣٠) زعم «أن محمداً روض حمامة لتطير إلى أذنه» وقد كان هذا الهوجو كما قال دكتور بدوي «كاذباً كبيراً ورجلاً مجرداً من أي ضمير علمي»[2] مع أنه كان من أعظم العقليات في أوربا وقد مدحه «ليبني» في كتابه «المذهب الذي لا يقارن» وكذلك «بيير بايل» في كتابه «القاموس التاريخي والنقدي» وكيف يكون هذا الكذاب عقلاً كبيراً وقد زعم في دين العلم والقراءة وفي الرسول الذي كان يجعل مقابل اطلاق الاسرى أن يعلموا المسلمين الكتابة، زعم هوجو أن محمداً حرّم على الشعب قراءة القرآن يقول وهذا التحريم ليس عادلاً كما أنه يصيب بالشك المبرر في أنه يخفي نظاماً تعسفياً يمكن أن تكشفه القراءة في كتبه» (ص٢٨٩)

ويعلق الدكتور بدوي على ذلك بقوله «بأي هلوسه يلوم جروت على الإسلام ما هو لوم على المسيحية (الكاثوليكية، وهو أن قراءة القرآن محرمة على المسلمين (ألا يعلم أن قراءة القرآن وحتى حفظه عن ظهر قلب مفروضة على كل مسلم ومسلمة[*2]» وعن الزعم بأنه أعظم الناس في أوربا - يقول بدوي - فهو أعظم

---

(١) عربي، هل قلت ص١٣٦ . (٢-٣) دفاع عن محمد ص٢٣ .

(*) كنت في زيارة لوالدة عبدالله وزينب (مسلمين هولنديين) يوم ٢٠٠٢/٤/١٥، فأخبرتني هذه المرأة التي عاشت سنوات فكرية مع رجال من الكنيسة الكاثوليكية وقامت بنقد خرافاتهم، أخبرتني أن الكتاب المقدس كان ممنوعاً قراءته عليها وعلى رواد الكنيسة، فحتى ذلك الحين أي منذ نصف قرن - عمرها اليوم ٨٢ عاماً - كان الإنجيل الحالي ممنوع قراءته كما أنه لم يكن متوفراً لدى الشعوب !

من وصل إلى الغباء المطلق أو الحيانة العلمية المطلقة، ولذلك يجب أن تقلب الأحكام التقرظية الصادرة في حقه إلى التقيض[1] وهكذا كان الابتكار الخرافي الخالص - يقول مكسيم رودنسون - الذي كان له لهدف واحد وخز إهتمام يختلط بنسب متغيره، بالتشويهات الايديولوجية التي تضرب الحقد مع العدو إلى الحد الأقصى[2]

ويحكي لنا الدكتور عبدالرحمن بدوي[*] لوناً من ألوان التشويه الذي زيف شخصية رسول الله محمد ﷺ "تأخذ الأسطورة منحنى آخر عند الراهب جيوبرت رئيس دير نوجنت (١٠٥٢-١١٢٤م) فظهرت أسطورة جديدة تقول بأن بطريرك الاسكندرية حين مات أراد راهب أن يخلفه في وظيفته لكنه طرد من الكنيسة، فوسوس له الشيطان بأن يعلن بأنه المسيح، ولقد قام هذا الراهب واسمه (ماثوموس) وهي التسمية التي صار يكتب بها اسم محمد[**] بالزواج من أرملة غنية إسمها خديجة وأشاع أنه نبي بين حشد من الناس. ولقد جاء (ماثوموس) ببقرة ووضع بين قرنيها كتاباً صغيراً (!) وأخفى هذه البقرة عن أتباعه (!) ، وفي أحد الأيام أخرج هذه البقرة أمام العامة وجعلهم يقرأون الكتاب الصغير الذي كان بين قرنيها، وقد وجدوا في هذا الكتاب جملاً تحلل لهم لكل أنواع الفساد الأخلاقي، وتبيح لهم أكل كل اللحوم المحرم أكلها على الناس. ويتضح جليا - والكلام مازال للدكتور بدوي - أن هذه الأسطورة المضللة قد بني واضعها قصتها على أمرين، أحدهما: قصة الراهب (بحيري) التي وردت في كتب السيرة، واسم (سورة

---

(١) دفاع عن محمد ص٢٣ . (٢) جاذبية الإسلام ص٢١ .

(*) الدكتور بدوي في حالة سيئة جداً في مستشفى بالقاهرة، على حسب ما قرأت في جريدة الحياة، في شهر يناير ٢٠٠٢، أسأل الله أن يشفيه فإن توفاه إليه أن يغفر له، ويضمه مع المخلصين، آمين .

(**) يتبنى هذه الطريقة من التحريف المتعمد يقوم العشماوي وسيد القمني وزياد منى وكمال الصليبي وغيرهم مما سيأتي ذكرهم بتغيير معالم الأسماء وخلطها خلطاً فاحشاً كما سيأتي ذكره !

البقرة) السورة الثانية الواردة في القرآن، ومن خلال هذين الامرين نسج خيال كُتاب أوربا في العصور الوسطى هذه الأسطورة المفروضة في الحماقة والغباء»[1]

فأنت هنا ترى أن الكنيسة تزور الحقائق وتخترع الأساطير وتثير الاحقاد تجاه الإسلام، وهذا هو الشيء الذي ورثته الفلسفة وإن تغيرت صورته في القرون وتغيرت أساطيره في الرؤى الجديدة وعند أصحاب العلوم الذين كان للإسلام الفضل عليهم في منحهم عقلا وفكراً، فهذا «فرنسيس بيكون» (١٥٦١-١٦٢٦) الذي تعلّم علوم المسلمين العقلية والتجريبية وتعرّف على الإسلام عن قرب، وهو داعية المذهب التجريبي الشهير، يحكي في أحد مقالاته والمسمى «الخدعة» يحكي مثلا أن محمداً قال للعرب ذات يوم أنه يستطيع أن ينادي الجبل ليأتي إليه. وقد كان بعيداً ، ولكن بعد أن ناداه محمد لم يأت ولم يتحرك وهنا قال محمد لهم «إذا كان الجبل لم يأت إلى محمد فإن محمد سيذهب إلى الجبل»(!) يعلق الدكتور عبدالرحمن بدوي على هذا التزوير بقوله «وإنني أتساءل كيف يمكن لرجل يدعى أنه يقيم أسس المنهج التجريبي وقواعده أن يعتقد في حقيقة تلك الفرية المختلقة ! وللأسف فإن بعض السفهاء يرددون تلك الاسطورة حتى يومنا هذا»[2]

فالعقلية الأسطورية الغربية لم تتغير ، وإن أخذت شكلها الجديد في الفلسفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية والنفسية[3]

وحتى العقلية التجريبية الغربية التي منّ الإسلام عليها بمنهاج تجريبي عظيم، كان المسلمون قد صاغوا قواعده في قوانين دقيقة، مدهشة وعجيبة، حتى هذه

---

(١) دفاع محمد محمد للدكتور بدوي ص٦ . (٢) دفاع عن محمد ﷺ ص٢٢ .

(٣) وهيجل قال عن المسلمين «إنهم يتحمسون للمجرد»، لفكرة مجردة تظل سلبية تجاه كل ما هو موجود» من كتابه دروس حول فلسفة التاريخ(١٨٣٧) ولو كان الأمر كما زعم ما انتج المسلمون الحضارة التي كانت أساس كل إيجاب في العالم، وما السلب الذي دخل على عالم الإنسان إلا من ضلال هيجل وأمثاله ، راجع الفصل الأول أخي الكريم .

العقلية كما قد رأيت أخي القارىء في مثال «بيكون» لم تتحرر كاملاً من العقلية الكنسية التي ظنَّت أنها انتصرت عليها وتحررت من قيودها العقلية والفكرية والبيئية!!

كذلك فإن «سيجموند فرويد» الطبيب اليهودي النمساوي، والذي ولا شك - كما قدمنا - كان متأثراً بالفكر الفلسفي وبهذا الإرث الموروث عن العقل الكنسي، إن «فرويد» لا يختلف كثيراً وهو الذي توفى سنة ١٩٣٨م (من القرن العشرين) عن رواد صناع الأساطير المزورة عن الرسول محمد ﷺ، والذين كانوا في الأساس مسيحيين - ويهودا - متعصبين!، وهو الذي يدعي موضوعية العلم وبعده عن الانساق وراء التلفيق الفكري والتاريخي[1] رواد القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي اقرأ نصه المشوَّه للحقائق الذي يقول فيه «... الديانة المحمدية ظهرت مقلدة لليهودية. وهناك من الأسباب ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن النبي محمد كان يزمع في الأصل اعتناق الديانة اليهودية، هو وكل شعبه (!)، وأثمرت لدى العرب العودة إلى الإيمان بالاب الواحد البدائي الكبير تقدما غير عادي في الثقة بالنفس، ثقة أدت بهم إلى إحراز نجاحات دنيوية عظيمة»[2*].

إن فرويد كما ترى يكرس ذهنية الأساطير الغربية عن الرسول محمد ﷺ وبدل أن كان محمد ﷺ في الأساطير والرؤى الغربية والصليبية القديمة وثناً أو ساحراً أو كاهناً مسيحياً مرتداً، أو مطراناً مطروداً وكان يسعى ليصبح بابا، أو أنه متأثر بالمسيحية!، بدل أن يكون محمداً شيئاً من ذلك يقوم فرويد في العالم الجديد بنسج أسطورة جديدة

---

(١) انظر قراءة سياسية للتوراة ص١٠٣ .

(٢) النبي موسى ورسالة التوحيد لسجموند فرويد ص١١٤-١١٥ .

(٥) أما «بالذك» فقد قال - فيما يصنع أسطورة سخيفة عن الرسول محمد ﷺ « محمد هو شخصية المجد فيه سحر الصابئة العتيقة(!)، وشعر الديانة اليهودية الشرقي ... صحيح أن محمد اقتبس من اليهود فكرة الحكم المطلق(!)، ومن الديانات الوثنية ... لقد كان قدره مرسوماً من خلال ولادته نفسها، لقد كان أبوه ملحداً(!)، وكانت أمه يهودية(!)!!!!! بالذك: غالبارا ١٨١٤م» نقلاً عن عربي، هل قلت عربي ص١٣٢ .

تزعم أن الرسول كان يزعم هو وكل شعبه اعتناق اليهودية.. ويقولون بأن فرويد كان طبياً وليس مريضاً!!

لقد أثمرت الأساطير المسيحية واليهودية القديمة عن الرسول أساطير حديثة رجالها أطباء وعلماء في مختلف المجالات ينسبون للرسول أشياء يعجب لها المرء، يعجب كيف أن الخيال الغربي مضطرب إلى هذا الحد إذا ما تعلق الأمر بالله أو الرسل أو النبوة أو الوحي أو الغيب، ثم يزداد العجب أكثر عندما أقرأ لبعضهم يزعم أن العقلية الغربية عقلية واقعية والعقلية الشرقية عقلية خيالية ضبابية!

وهذا «فرويد» يخبرك عن خياله ويطلعك على خباله ، عندما يضع للبشرية أسطورة الأب الذي قضى عليه ابنه كراهية له بسبب منافسته على أمه[1] أو أسطورة الأبناء الذي كانوا يرغبون في أمهم جنسياً وكان الأب الأول مستبداً عنيفاً فقتلوه ليحصلوا عليها . . ثم ندموا ثم عبدوا روحه ثم عبدوا آلهه شتى. . ثم عبدوا الإله الواحد كرمز للأب المقتول، وهو الذي يزعم فرويد أننا نحن المسلمون نعبده!

أليس هذا خيالاً ساقطاً، خيالاً غربياً وليس شرقياً![2]

---

(١) يقول فرويد «إن الكراهية التي تنشأ في نفس الولد نحو أبيه بسبب منافسته على أمه، لا تستطيع أن تستولي على نفسه دون أن تتعرض للمنع والحجر، فإن عليها أن تصارع الحب والإعجاب اللذين نشأ قبل ذلك في نفسه تجاه الشخص ذاته» من كتابه «الحرم والطوطم» ص١٣٩ ، هذه الكراهية التي يلوث بها فرويد الجنس البشري كله، وهذا الميل المزعوم نحو الأم ورغبة في الحصول عليها جنسياً هو خيال فرويد المريض المسرع في عالم الجنس المتطرف، إنه يجعل هذه النفسية حقيقة للطفل الإنساني كله ويجعل من ذلك قصة قتل الأبناء الآباء لأجل الحصول على هذه الأم المزعومة ويزعم أن نشأة الدين والأخلاق نبعت من هذه العقيدة وتطوراتها التاريخية !!!

(٢) ومع ذلك يقول إيتاتويل كاتط في ملاحظات حول الجمال والسمو ١٧٦٦ « أن مخيلة العربي تصور له الأشياء انطلاقاً من أضواء مُشوَّهة » انظر كتاب عربي ص٨٧ .

ولا أعرف أين إدعاءات الموضوعية والملاحظة العلمية الرصينة، والعملية التجريبية البحثية في هذا العالم الخيالي المزور الذي صنعه فرويد للبشرية وللدين وللأنبياء، وهو العالم الذي تصوره فرويد عن التاريخ البشري على الأرض.

ويقولون إن فرويد كان متخصصاً في معالجة الأمراض العصبية والنفسية، وهو الذي له ثلاثون كتاباً في الدراسات النفسية!

لقد رأى فرويد ظواهر إنسانية عامة كما رأى ظواهر مرضية منحرفة عند مرضاه فاختلط عليه الأمر فجعل ما هو مرض وعارض وخاص بفئة معينة لها ظروف خاصة، جعل ذلك عاماً وكلياً وبشرياً مطلقاً فكانت أغلب نتائج أبحاثه وتفسيراته منحرفة حقاً! ثم وضع للذلك كله رؤية خاصة أحادية وتفسيراً معيناً جزئياً وشوهاً على خليط من أفكار داروين وغيره من الذين انحرفت رؤيتهم في نظرتها إلى الإنسان والحياة وفقه الكون، هذه الرؤية الفرويدية أضرّت بحقائق الانسان، وحقوق الطفل، وحقائق الدين والتاريخ!، وهي في النهاية تؤدي إلى إختفاء دور الخليفة ومرجعية الخلافة![٥] بيد أن المشكلة التي نواجهها في مجتمعاتنا الإسلامية اليوم، ليست هي انحرافات فرويد اليهودي فقط، ولكن المشكلة الخطيرة التي نواجهها أيضاً هي انحرافات كثير من المثقفين العلمانيين العرب الذين أقاموا أنفسهم رسلاً لأفكار فرويد وغيره وأساطيرهم عن الإنسانية والأنبياء والغيب والشرائع السماوية.

كذلك فإنني في هذا الفصل سوف أعرض لموقف فرويد من النبي موسى عليه السلام ومن ثم موقف (رسله من العلمانيين العرب) من النبي موسى وكذلك من

---

(٥) يقول الدكتور مراد هوفمان السفير الالماني الذي اسلم منذ زمن « اتخذ الكثيرون الفرويدية علماً في التنصل من مسئولياتهم ، البست تصرفاتهم صادرة عن اللاوعي؟ التحرر من (إسلامات الأنا العليا) أصبح على قائمة الرغبات، باختصار تغذى الفرويدية، ليس فقط المادية والجنس وسبدا اللذة فوق كل شيء بل وتنفث السموم في صرح التقاليد والأخلاق ... وفي الواقع أصبحت الفرويدية ـ مالوادت إزاحته ـ شكلاً جديداً لدين سحري زائف، للعلاقة الجنسية فيه مكانة بارزة، أصبح فرويد وزملاؤه مستبدين بمثل الاستبداد السابق للكهنوت المسيحي» من كتابه خواء اللذات والأدمغة المستعمرة ص٥٣ .

الدين والتوحيد والأنبياء والغيب والشريعة، ليتعرف القارىء على مصادر الثقافة العلمانية التي تقف بالمرصاد - وفي مواقعها العتيدة! - للثقافة الإسلامية الأصيلة وللمنهج الرباني الذي هو مصدر هذه الثقافة ومنبعها الصافي.

إن مصدر العلمانية العربية هو خرافات وأساطير وخيال العقل الغربي الشائه الذي كونته ظروف صراع مرير ضد الكنيسة الغربية. هذا هو ما أردت تقديمه بين يدي أساطير فرويد وفليكوفسكي والعشماوي والقمني وغيرهم ليضع القارىء يده على ظروفها وآليتها وأهدافها وغاياتها وأيديولوجياتها الكامنة خلفها والمستترة وراء مزاعمها العلمية والموضوعية!

فرويد الطاغوت الذي يعبده باحثون عرب:

«سيجموند فرويد» اليهودي المولد، عالم التحليل النفسي الغربي الطبيب النمساوي هو صاحب فلسفة تكمن خلف أبحاثه السيكلوجية وخلف نظرته عن الإنسان وعن الدين وعن الحياة الاجتماعية البشرية قدمناها في الفصل الأول. وفي هذا الفصل نريد إظهار موقفه من موسى عليه السلام ومن مفهوم الدين.

إن «فرويد» يقلب التاريخ النبوي العام - بل والتاريخ البشري كله! - ويزعم أن عقيدة التوراة التي تقول بأن موسى نبي عبراني ورسول من عند الله كذب وتزوير وقلب للحقائق التاريخية!.. هكذا جملة واحدة!! وبفلسفته في التحليل النفسي يصل فرويد إلى أن الإنسان موسى ... لم يكن يهوديا بل مصريا»[1] إنها «النتيجة المستخلصة» أو التي مؤداها أن موسى كان عظيما من عظماء المصريين»[2]

فاليهود في زعمه هم الذين اخترعوا موسى العبراني لمصلحة إتجاهاتهم ما أدى إلى إخفاء حقيقته المصرية بوصفه مصري من أتباع إخناتون؟، يقول «وليس بوسع أي مؤرخ أن ينظر إلى القصة التي ترويها التوراة عن موسى والخروج بأكثر من أنها

---

(١) النبي موسى ورسالة التوحيد ص٣٦ . (٢) المرجع السابق ص٣٥ .

أسطورة دينية قلبت إحدى الروايات البعيدة لمصلحة إتجاهاتها»[1]

كما أنه يزعم أيضاً أن التوراة «نسجت أساطير الآباء إبراهام وإسحاق ويعقوب»[2] بيد أنه لا يكتفي بهذا الهراء بل يزعم أنه سيعيد بناء التاريخ البشري في روايته الكبرى وفي نموذج منها هو رواية تاريخ موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، يريد إعادة بناء الرواية[3] من جديد!

فيقول بأن موسى الحقيقي مصري الأصل ولم يكن قط من بني اسرائيل! «هذا هو ما تقرر تاريخياً، وعند هذه النقطة يبدأ العمل في الرأي الذي نراه، وربما كان هناك رجل من خلصاء إخناتون يُدعى تحوتمس Thothmes كما كان يدعى الكثيرون في ذلك الوقت ولايهم الاسم ولكن الجزء الثاني من اسمه لابد كان «موسى Mose» وكان يشغل منصباً كبيراً[*] وكان من المؤمنين المقتنعين بديانة آتون، ولكنه كان على نقيض الملك المتأمل، كان ذا قوة وعاطفة متدفقة، وكان موت إخناتون والقضاء على ديانته يعني بالنسبة لهذا الرجل نهاية كل آماله ولم يكن يستطيع أن يبقى في مصر إلا منفيا أو أن يرجع عن دينه ويُنكره. وإذا كان حاكماً لإقليم من أقاليم الحدود فمن المرجح(!) أنه اتصل بقبيلة سامية معينة كانت قد هاجرت منذ بضعة أجيال، وتحول في يأسه وفي وحدته إلى أولئك الأغراب(!) وبحث فيهم عن تعويض لما كان قد فقده[**]، واختارهم ليكونوا شعبه، وحاول أن يحقق من خلالهم مُثُله، وبعد أن غادر مصر

---

(١) النبي موسى ورسالة التوحيد ص٥٦ .

(٢) المرجع السابق ص٦٧ .

(٣) المرجع السابق ص٥٦ .

(*) يزعم فرويد أن موسى كان على الأرجح من كبار كهنة هيليوبولس أي «عين شمس» مركز عبادة «آتون» انظر قراءة سياسية ص٣٢٨، وتعبير أحمد عثمان «كما جادل كتاب فرويد الأخير موسى والتوحيد المنشور عام ١٩٣٩ أن موسى كان أحد المسئولين عن بلاط الفرعون إخناتون وكان يسمى تحتمس ، كان نصيراً للديانة «الآتونية» الأصول المصرية لليهودية لأحمد عثمان ص٨٧ .

(**) بالله عليك أخي القارئ هل هذا تحليل نفسي أو علمي أو حتى تحليل إنسان عاقل ؟!!!

معهم(٥) يصحبه أتباعه الملاصقون، باركهم بخاتمهم ومنحهم الشرائع ويشرهم بديانة آتون التي قد نبذها المصريون تواً(١) وربما كانت الشرائع التي أخذ بها موسى يهوده كانت أقدم من الشرائع التي استنّها سيده ومعلمه إخناتون، وربما كان قد ألغى كذلك الارتباط بإله الشمس في أون، الذي كانت ديانته إخناتون مانزال من المؤمنين به ويجب أن نحدد زمن الخروج من مصر بأنه جرى خلال الفترة التي وقعت بين حكم إخناتون وحكم من ولي العرش بعده سنة ١٣٥٠م. وتُغمض بصفة خاصة الفترات الزمنية التالية حتى إمتلاك أرض كنعان... ومؤداها أن اليهود الذين وصفتهم التوراة نفسها بأنهم كانوا عنيدين لا يطيعون مشرّعهم وزعيمهم، وتمردوا عليه آخر الأمر وقتلوه وطرحوا عنهم ديانة آتون التي فرضها عليهم... وأنهم هناك في بقعة خصيبة اسمها قادش وتحت تأثير قبائل مدين العربية، اعتنقوا ديانة جديدة هي عبادة إله اليراكون يهوة. وبعد ذلك مباشرة كانوا مستعدين أن يفتحوا أرض كنعان.(١)

وهكذا وضع موسى في «عهد اخناتون» وجعله أحد أتباعه وتلاميذه وقواده الأقوياء ثم زعم أنه كان يعتقد ديانة اخناتون، ديانة إله الشمس! ، ولما هزم اخناتون.. إضطر موسى المصري - بزعمه طبعاً! - أن يبحث عن شعب يحمل الفكرة الأتونية المصرية التي رفضها المصريون تواً، فوجد شعب اليهود الذين وافقوا على أفكاره الأتونية وعلى الخروج معه من مصر لتحقيق أحلامه وأحلامهم التي صنعها هو بنفسه لهم.. لكنهم ما لبثوا أن قتلوه وتخلصوا منه.. بعد الخروج بفترة.. تخلصاً من العقيدة الأتونية .. ولسبب نفسي غائر في النفس البشرية لابد أن يحقق تجربته المكررة وعودته العنيفة بقتل الأب البارز الطاغي المستبد وهو في هذه الحالة «موسى» ، فيتحقق تصريف الكبت المكتوم في الصدور ويتم «عودة

---

(٥) يقول فرويد «يمكننا أن نفترض (١) أن ذلك الخروج وقع بطريقة سليمة تماماً وبلا مطاردة» انظر قراءة سليمة للتوراة ص٣٢٧ .

(١) النبي موسى ص٨١-٨٢ .

المكبوت»! يزعم فرويد بناء على أفكار دارون عن الشعوب البدائية المزعومة التي زعم أنها كانت لا تعرف اللغة ولا الدين ولا الأخلاق ولا شيء من هذا القبيل، وبناء على أفكار «أنكنون» في مفهوم النظام الأبوي القديم الذي أدى - بزعمه - إلى تمرد الأبناء الذين اتحدوا ضد الأب وتكاثروا عليه وأكلوا جميعا جسمه يقول بناء على هذه المقدمات المزيفة «وقلت متابعاً نظرية روبرتسون سميث في الطوطم أن هذه العشيرة التي كان يحكمها الأب سابقاً، أعقبتها عشيرة أخوية طوطمية. ونبذ الأخوة المنتصرون النساء اللاتي من أجلهن قتلوا الأب(!)، ووافقوا على أن يتزوجوا من خارج عشيرتهم، وهكذا تبددت سلطة الأب(!)، ودخل التنظيم الأسري عن طريق النظام الأموي. وظل هناك إحساسات لدى الأبناء، يعارض كل منهما الآخر تجاه الأب... وبدلا من الأب أعلن عن قيام طوطم من حيوان معين، حل محل جدهم والروح الحامية لهم... وكانت العشيرة تجتمع مرة كل عام تحتفل بطوطمها ... وكان تكراراً مقدساً لاغتيال الأب الذي بدأ به التنظيم الاجتماعي والقوانين الأخلاقية والدين[٥]»[١]!!!

يقول «ويعد أن قام الترابط بين عشيرة الأخ والقبيلة الأموية والزواج من غير الأقارب والطوطمية، بدأ هناك تطور يمكن أن يوصف أنه دعوة بطيئة للمكبوت... إنني أعني هنا أنه شيء ماض، قد اختفى وأمكن التغلب عليه في حياة الشعب، وهو ما أخيراً على أن أعامله كمساو للمادة المكبوتة في الحياة العقلية للفرد... وينبغي أن نخلص من ذلك إلى أن المتخلف العقلي من تلك العصور البدائية صار ميراثاً لا يحتاج مع كل جيل جديد لمعاودة تحصيله بل لإيقاظه[٥٥]..

---

(٥) يقول «إن قتل الأب هو نواة التوطمية وبقطة البداية في نشأة الديانة» حياتي والتحليل النفسي ص١٠٢ ويقول « أنه قام في نفس الإبن صراع بين الشعور على أبيه وبين محبته له ... بغية التكفير عن فعلة الخيال الأب من ناحية ، وتدعيم المنافع التي تثمر عنها من ناحية أخرى » ص١٠٣ نفس المرجع .

(١) النبي موسى ص١٥٠ .

(٥٥) إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تتكرر التجربة ويقتل المسلمون نبيهم وكذلك الاتباع أنبيائهم !

ولا أستطيع أن أعطي إحصاء يسيراً للمراحل التي تسير فيها عملية العودة(!). لقد صار الأب مرة أخرى زعيم الأسرة، ولكنه لم يعد صاحب السلطان المطلق ... ويبدو أن فكرة الكائن الأعلى ظهرت مبكرة، وكانت في أول الأمر فكرة ضبابية وخالية من أي ارتباط باهتمامات للبشر اليومية ... نظمت الآلهة ... ثم اتخذت للبشرية في تردد الخطوة الثانية لعبادة إله واحد، وأخيراً تقرر التنازل عن كل سلطة لإله واحد فقط، وعدم قبول أي إله آخر إلى جواره وحيتئذ فقط أعيد مجد الأب البدائي. وكان من الممكن أن تتكرر العواطف التي تدور حوله(**)!!

وخلاصة هذا الكلام هو أن البشرية بدأت تعود إلى الحالة الأولى في تمجيد «الأب البدائي» الذي زعم أننا نحن المسلمون نعبده! كما تقدم من كلامه!، وفي هذا المناخ زعم أنه لابد أن يعود المكبوت للظهور ولابد أن تتكرر العواطف التي تدور حوله وهو ما يعني تكرار التجربة المبكرة - المزعومة!(*) - ويقتل الشعب الرجل البارز فيه(*) وفي حالة بني اسرائيل كان موسى هو المقتول(**)! و«كل ذكرى تعود من الماضي المنسي تعود بقوة هائلة، وتُحدث أثراً قوياً لايضاهيه أثر آخر على جماهير البشر»(٢)

ويزعم أن إمبراطورية إخناتون هي السبب الخارجي لظهور فكرة التوحيد «فإننا نرى

(*) إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تتكرر التجربة ويقتل المسلمون نبيهم وكذلك الاتباع أنبيائهم !

(١) النبي موسى ص١٥١-١٥٢ .

(**) يقول فرويد « قتل الأب الذي ساد في العصور البدائية، نُقل إلى اليهود كمصير مقدر وهو أن يكرروه على شخص موسى (!)، وهو بمثابة بديل للرب ولكنه بديل عظيم وكانت هذه حالة من الحالات التي يكون فيها فعل وليس تذكر، وهو شيء كثيراً ما يحدث عند العصابيين (!) خلال جلسات التحليل النفسي ص١١١ وقد استجاب اليهود للمذهب موسى - الذي لابد أنه أثار ذاكرتهم (!) - وأنكروا ما ارتكبوا فلم يتقدموا أكثر منه اختراقهم بالأب الكبير ... وهكذا صار مقتل موسى الذي ارتكب شعبه... همزة وصل هامة بين العقل المنسي للعصور البدائية ومعاودة ظهوره، في بالتالي في شكل الديانات التوحيدية » النبي موسى ورسالة التوحيد ص١١١ . يقول « إن الديانات المحمدية كانت تكراراً على نطاق ضيق للديانة اليهودية ص١١٤ .

(٢) المرجع السابق ص١٠٦ .

إن هذه الفكرة التي انتزعت من تربتها ونقلت إلى شعب آخر - قد تملكت هذا الشعب بعد فترة كمون طويلة... أضفت عليه افتخار أنه الشعب المختار، وهي دين الأب البدائي»[1]

وبعد أن قتلوا زعيمهم، كان لابد أن يحدث الكبت مرة أخرى، والنسيان للحادثة مرة أخرى واخفاءها مرة أخرى وذلك لأسباب نفسيه تشبه أسباب التجربة المبكرة للبشرية الأولى بزعمه، أسباب وجيهه «الكبت ذكرى المصير الذي وقع لزعيمهم ومُشرعهم ... واحتاجت الفكرة الوقت لتكتمل وتُكتب في الأسفار»[2] وهو ما يعني أن ما كتب في التوراة عن نبوة موسى هو تحريف وتغطية على حقيقته!!! فالنظرية كما ترى عبارة عن أفكار مضطربة، ونظرات مشوّهة عن الجيل الكريم الأول من البشرية الأولى ولمفهوم الدين والنبوة ولطبيعة وشخصية موسى ودعوته الكريمة، أفكار ليست لها أساس علمي أو حقيقة تاريخية، أو اكتشافات أثرية حقيقية! إنه يستخدم نظريته في «الكبت» و «عودة المكبوت» - وهي النظرية الكاذبة المزيفة للحقائق كلها - ليطبقها أولاً على الجيل الكريم الأول من البشرية ثم على الجيل الكريم الأول الذي آمن بموسى عليه السلام نبياً ورسولاً، وهو نفسه يزعم أنهم بجعلهم موسى نبياً ورسولاً أخفوا الحقائق لدوافع سرية .. إذاً هو لا يتكلم عن محرّفة يهود الذين ادخلوا بعض الأكاذيب على شخصية موسى وعلى جهاده وإنما يتكلم عن موسى نفسه فيجعل صورته التي اتفقت عليها الشرائع السماوية بجعلها كاذبة لأن المؤمنين بموسى «استعظموا أن يتخيلوا أن الإنسان موسى يمكن أن يكون شيئاً آخر سوى أنه عبراني»[3] لماذا استعظموا ذلك بجيب الآن «الشعب اليهودي كان في حاجة إلى أن يجعل منه يهودياً»[4]!!!

لكن فرويد ليس غبياً في طرح نظريته!، فهو يعرف أن القارىء عنده أسئلة

(١) المرجع السابق ص١٠٧ (٢) المرجع السابق ص٨٨-٨٩-٩٠ .
(٣) المرجع السابق ص٢٨ . (٤) المرجع السابق ص٣٦ .

كثيرة تشير إلى ثغرات خطيرة وقفزات عجيبة وخيالات مدهشة في نظريته، كذلك فإنه يحاول التغلب من ذلك بالقول بأن دراسة علم الاجتماع البشري والتاريخ القديم صعب على الإنسان العادي ومع ذلك يعترف أن في نظريته فعلا ثغرات يقول «وينبغي أن أعترف أن هذه النظرة التاريخية (!) تترك الكثير من الفجوات وتحتاج في كثير من النقاط إلى تثبيت أكثر (!) ومع ذلك فإن من يُعلن أن هذه النظرة التاريخية(!) التي تُعيد بناء التاريخ البدائي نظرية خيالية يسيء تقدير غناها(!) وقوة الدليل التي اسهمت في إقامته»[1]!

ثم يقول عن نظريته أنها ليست فنية «ولا أوافق أنا نفسي عليها من كل قلبي»[2] لكنه يعترف أن الفكرة كانت «لمع على كالشبح لا يهمد»[3] وهو يعترف أن نظريته خيالية من إيحاء منهجه التحليلي القاصر. «نعترف بأننا لا نملك حتى الآن أي دليل على وجود آثار متخلفة في الذاكرة لميراثنا البائد (!) أقوى من هذه البقايا في الذاكرة (أي ذاكرة فرويد!!) التي يستند عليها التحليل النفسي... وإذا كانت الأوضاع على غير ذلك، فإننا سنكون عندئذ غير قادرين على التقدم خطوة أخرى في طريقنا، سواء في مجال التحليل النفسي أو في مجال علم النفس الجماعي»[4] ثم يعترف بعدم توفر المعلومات[5] ويعترف أنه بعد كتابة نظريته في موسى صار بحثه هذا كخلق غريب عليه[6]!! وكلما إنتقل خطوة في البناء النظري لنظريته عن موسى يخترع موقفاً ليس له في التاريخ واقع حقيقي، انظر إليه مثلا وهو يتكلم عن مارعمه من قتل اتباع موسى لموسى يقول «ومن السهل(!) تخيّل(!) أن إحدى تلك التمردات إنتهت إلى خاتمة أخرى خلاف ما يورده النص» [7] ولشعوره بفراغات كثيرة في نظريته وفقدان الأدلة المادية على ما تزعمه تجده يقول «والذكريات غير الكاملة(!) والمضية للماضي،

---

(١) النبي موسى ص١٠٥ .
(٢ - ٣) المرجع السابق ص١٢٤ .
(٤) المرجع السابق ص١٢٢ .
(٥) المرجع السابق ص١٠٣ .
(٦) المرجع السابق ص١٢٥ .
(٧) المرجع السابق ص٧٠ .

والتي نسميها تراثاً، هي دافع عظيم للفنان، لأنه يكون حراً في ملء الفراغات في الذكريات طبقاً لما تمليه عليه مخيلته وأن يشكل طبقاً لما يقصد من هدف صورة الزمن الذي أتى على نفسه إحياؤه»[1]!!

ويقول بما لايدع مجالا للشك أن نظريته تحمل بذور تدميرها الذاتي وحقارتها الذاتية «وعند هذه النقطة أتوقع أن أسمع عتاباً بأني قد بنيت نظريتي - التي تضع موسى المصري في عهد إخناتون واستمددت من الوضع السياسي للبلد الذي كان فيه في ذلك الوقت قراره بحماية الشعب اليهودي[*] وسلّمت أن ديانة آتون هي الديانة التي أعطاها لشعبه، أو أنها الديانة التي انتقلهم بها»[**](1) والتي كانت قد أبطلت من مصر نفسها تواً. وعند هذه النقطة أتوقع أن أسمع عتاباً بأني قد بنيت هذا الصرح من التخمينات بيقين عظيم، لا توجد أسس كافية في المادة نفسها تبرهن عليه وأظن أن هذا العتاب لن يكون له ما يبرره. فلقد سبق لي في المقدمة أن أكدت عنصر الشك»[2]

كان أمام فرويد لغز نتج عن ضبابية قصته الخيالية وليس عن الواقع المادي الموجود على الأرض، أو عن ملاحظة أو تجريب أو استقراء لوقائع واضحة! واللغز هو كيف يمكن لمصري أن يسوق شعباً من الأغراب ويعطيهم عقيدة؟![3] للإجابة على ذلك يبدأ فرويد بالتخمين لا بالملاحظة التاريخية أو استقراء المادة المتوفرة أو باستقراء حادثة حقيقية ما، فليس عنده ثم مادة تعينه، إذاً فليلجأ إلى التخمين يقول «فليس من المصدق أن إنساناً عظيماً مثل موسى المصري (!) كان من الممكن أن يقترب من شعب غريب عليه بدون أن تكون له بطانة. فلابد أنه قد استجلب معه

---

(١) النبي موسى ص٩٢ .

(*) في موضع آخر يقول شيئاً آخر، يقول « بأنه فعل ذلك لتحقيق أحلامه هو».

(**) إن فرويد يؤمن بأن التحرر من الدين يحقق رغبات البشر لأن الدين بأخلاقه الفاضلة على النفس يمنع الإنسان من تصريف رغباته الحيوانية !!

(٢) النبي موسى ص٥٤ . (٣) المرجع السابق ص٣٧ .

حاشيته من اتباعه المقربين وكتبته وخدمه وهؤلاء كانوا اللاوريين الأصليين»[1] وهكذا يضع المشكلة ثم يحاول حلها وليس ثم واقعة؟!! ولقد قام هو نفسه بالهجوم على كثير من علماء الطب الغربيين الذين عارضوا نظريته وسفهوها وقالوا بأنها ليست جدية وأنها غير عقلية وغير ناضجة هاجمهم وقال إنهم كانوا على جهل تام بالموضوع «وإنه لعجيب ،حقاً، أن معظم الناس يسلكون مسلكاً غير أمين إذا اضطروا إلى تكوين حكم خاص على موضوع جديد»[2] وهل كل تخمينات فرويد هنا إلا أفكار لا أساس لها من الصحة ولا من البحث التاريخي والعلمي، لقد بناها على خلاصة فلسفات ونظريات غير صالحة للتعامل (نظريات التخمين!!) مع الإنسان وتاريخه كما شكلها بفلسفته الخاصة، الخيالية في تفسير الدين والمجتمع البشري تفسيراً مريضاً، عصابياً بالدرجة الاولى، وهو لم يطلق العنان لفكره لمدارسة الوقائع الحقيقية وإنما كما قال هو نفسه عن مؤلفاته اللاحقة «أطلقت العنان للميل إلى التفلسف الذي كبحته زمناً طويلاً»[3] وهو هنا مراوغ فمؤلفه موسى والتوحيد يظهر عليه أيضا أسلوب التفلسف كما تظهر عليه حيلة التدخل في تحريف بعض النصوص لجعلها تتمشى مع غرضه وهدفه المرصود الذي سخر له خياله المريض! وهو نفسه قال إنه قبل كتابته لهذا الكتاب كان قد تأثر بكتاب «و.رويرتسون سميث» ـ لديانة الساميين ـ وفيه بعض من أجزاء نظرية فرويد اللاحقة عليه وكذلك دارون وقد اعترف بأنه اعتمد على أفكارهما في بناء نظريته عن موسى والدين والبشرية الأولى!، كما أنه ولا شك قد قرأ كما قال هو أيضا «نيتشه» - وقد كان معاصراً لفترة معقولة من حياته - إلا أنه تحايل على قارئه فزعم أنه تجنبه زمنا طويلا!![4]

---

(١) النبي موسى ص٦١ سيأتي من كلام محمد سعيد العشماوي عند هذه النقطة وصفه أن موسى وكهنته اللاويين سيطروا على العبريين بالسحر !!، وهكذا يقومون بالتحليل العلمي الرصين القائم على قدم وساق !!!

(٢) حياتي والتحليل النفسي ص٧٧ . (٣) المرجع السابق ص٨٧ .

(٤) مع أنه قال بأن تخمينات نيتشه تنفق اتفاقاً عجيباً مع كشوف التحليل العلمي الشاقة!!! انظر ص٨٩ من كتابه حياتي .

ولو بقي فرويد في مجال تخصصه في مجال علاج مرض الأعصاب والعصاب والهستيريا وغير ذلك فلربما طواه التاريخ أو لربما أخذ من بحوثه الجيد وطرح منها القاصر[1].

لكنه ذهب يخلط الفلسفة التي يحاول التبرؤ من تأثيراتها على بحوثه النفسية مع هذه البحوث نفسها ليخرج على العالم بأحقاده الغائرة وتشويهات نفسه القاصرة التي تزيف التاريخ، وتحيون الإنسانية، وتخرب الدِّين، ويُقزِّم النبوة وتُفسد التوحيد، وتُشوه الإنسان، وتُغير معالم عالمه الأرضي فتنقله من عالم قائم على منهجية قيمية صحيحة تستمد مقوماتها وخصائصها من المنهج الرباني إلى فوضى القيم، وهمجية الحياة، وضياع الحدود، وإباحية الجنس، وانفتاحه المسعور! هذه هي جريمة فرويد حين أطلق العنان بلا قواعد لفلسفته الإباحية والتخريبية. إنه يقول إن تشويه النص لا يختلف عن الجريمة[2] في حين أنه هو نفسه قام بهذه الجريمة على أتم وجه، ما أنتج لاحقا جرائم بشرية في حق الله وحق الانسان وحق الأنبياء وحق القيم الإنسانية الفريدة!

هذا هو فرويد اليهودي الذي عبده العلمانيون العرب الذين زعموا ريادة الإبداع وادعوا الموضوعية.

أما الجريمة التي فعلها مجموعة من أقطاب العلمانية في العالم العربي والإسلامي، فهي أنهم إتبعوا فرويد حذو القذة بالقذة والشعرة بالشعرة.. ولم يخالفوه في قبائحه إلا ليتبعوا قبائح نظرائه ومساويء عقولهم الشائهة! وتكملة هذا الفصل ستكون إن شاء الله بعرض هذه النماذج الممسوخة من كبار مثقفينا!

---

(١) يقول :«عجبت في حلم(!) أي انفصام - في صميم الفلسفة» ص٨٩ من كتابه حياتي وفي الحقيقة فإن كلمة : في حلم، فاضحة، تكشف أنه دجّل الفلسفة في نظريته لكنه لم يظهر مصطلحاتها المعروفة !!

(٢) حياتي والتحليل النفسي ص٦٦ .

الباب الثانى

العلمانيون العرب
يخترعون الأساطير

الفصل الثالث

« لقد إفتتحت قضية نصر (أبو زيد) الملحمة »

سيد القمني: رب الزمان ص١٤٨

« أمانتنا العلمية ... الرصيد الوحيد الذي نملك ونتيه به إعتزازاً »

سيد القمني: الأعمال (١) الإسرائيليات

قال تعالى ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾

{المدثر: ١١-١٦}

الدكتور سيد القمني
وعلمانية تقلب الحقائق ببشاعة وحقد أعمى

ككل العلمانيين الذي يفرضون أفكارهم ونظرياتهم على العالم يؤكد الدكتور سيد القمني أنه يقوم بالبحث المدقق[1] كما أنه يدعو القارىء إلى مشاركته «متعة البحث والإستقصاء، ومتعة الفرح بالكشف العلمي»[2]! «هو خلاصة جهد استمر عشر سنوات أو يزيد»[3] قال ذلك في مقدمة مشروعه الممتد على ١١٦٢ صفحة في أربعة أجزاء[4]، والذي غيّر فيه حقيقة موسى عليه السلام، وحقيقة النبوة، وحقيقة الدين، وغيّر المفاهيم القرآنية والمعالم التاريخية التي أكدتها النصوص القرآنية، وقال وهو يقوم بعمله الغير علمي والسيء القصد إنه يهدف إلى «إعادة قراءة لوضع الأمور في تصحيح نصابها تمهيداً لطرح رؤيتنا في علاقة الموسوية بالأتونية وموسى بإخناتون(!)»[5]

إنه يخدع قراءه دائما بجرعة التهدئة المُركّزة «أول شروط العلم هو الأمانة فيما نعلم»[6] هكذا يقول!

فالكشف العلمي والرؤية الأمينة وإعادة الأمور إلى نصابها تتمثل عند الدكتور القمني في نظريته - أو بالأحرى فِريته! - عن موسى عليه السلام أعظم تمثيل! يقول متحمساً لعرض خياله الخصيب المليء بالأوهام «لقد كان قائد الخروج من مصر هو الفرعون (إخناتون) بذاته وكان هو من عرفت اليونان قصته باسم (أوديب) وهو ذاته ما دونت التوراة في قصتها الكبرى اسمه (موسى) وهذا ما سنحاول أن نقيم عليه الأدلة

---

(١) انظر مثلاً كتابه إسرائيل ـ التاريخ ص١٠٣ .

(٢) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه وهو أربعة أجزاء، جـ١ ص٢٠ .

(٣) المرجع السابق جـ١ ص٩ .

(٤) وهو كتاب النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه .

(٥) المرجع السابق جـ٣ ص٧٢٤ .

(٦) إسرائيل ... التاريخ ... ص٢١٩ .

من الآن وحتى نهاية هذا البحث»[1] البحث الممتد على مساحة ١١٦٢ صفحة كما قدمت!

ويبدو أنه من صناع الأساطير لتدمير - ثقافة التاريخ، فمهمته كما عبّر عن ذلك بنفسه هي «تضفير النسيج بين إخناتون وأوديب وموسى»[2]! ومفاجأة التضفير القمنية هي بحسب لفظة «أوديب هو إخناتون هو موسى النبي، شخص واحد في ثلاث روايات مختلفة، شخص مصري معلوم الشأن هو إخناتون، وشخص يوناني هو أوديب في تراجيديا اليونان، وشخص إسرائيلي هو موسى في رواية عبرانية مقدسة»[3]

إن الأصل - عند الدكتور القمني - الذي اقتبس منه محرروا التوارة - بزعمه! - هو إخناتون المصري ابن آمنحتب الثالث[*] والملكة المديانية (تي) وعلى ذلك فموسى إنما هو إخناتون معدّل، أُعطِيَ سِمات عبرانية وملامح إسرائيلية بعد أن تم إخفاء الأصل ونجاح العملية الإقتباسية القسرية!!! وهو إخناتون قبل إعطاءه في الرواية التوراتية اسم موسى وصفة نبي ورسول وجنسية إسرائيلية!!

يقول القمني «إن موسى كان ولي عهد مصر فعلاً بحسبانه إخناتون»[4] فالطفل الذي ولد في مصر «إخناتون» والذي قتل أباه وزنى بأمه ثم تزوجها - بحسب ما سيأتي عرضه من كلام القمني - إنما هو موسى فعلاً بحسبانه إخناتون!!

---

(١) النبي موسى آخر أيام تل العمارنة جـ٣ ص٨٢٨ .

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٩١٣ .

(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٢٨ .

(*) أما إخناتون فهو عند القمني آمنحتب الرابع يقول « أن آمنحتب الرابع / إخناتون كان ابن إله مزدوج، الأولى لأن والده آمنحتب الثالث قد نصب نفسه إلهاً وعبده الناس باعتباره الابن المباشر للإله آمون .. وعندما عاد إخناتون إلى مصر حاكماً على أبيه ... أعلن نفسه أيضاً مباشراً للإله الجديد آمون » جـ٣ ص٨٤٤ نفس المرجع .

(٤) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٢ .

وهو ابن فرعون وليس ابن لآب عبراتي وام عبراتية «كان هذا الطفل - يقول القمني - هو ابن فرعون بالميلاد والجنس»[1] العشماوي - كما سيأتي - لم يقل مثل القمني بأن موسى هو ابن الفرعون وإنما زعم أن الفرعون هو جده فهو ابن ابنته أي حفيده!! والمدهش أن القمني جعل والد إخناتون/ موسى/ أوديب هو الفرعون آمنحتب الثالث في الأصل المصري المزعوم!

أما العشماوي فإن الفرعون المزعوم أنه جد موسى وابن ابنته هو رمسيس الثاني وليس آمنحتب الثالث فالزمان مختلف والفرعون مختلف وحتى موسى لمختلف أيضاً وفضلا عن ما تقدم فهو عند القمني إخناتون نفسه أما عند العشماوي فهو غيره وليس هو وإنما نقل عنه كما سيأتي ذكره بعد قليل وكذلك فأوديب عند العشماوي لم يكن هو إخناتون ولا موسى!

ويعتبر العشماوي من يقوم بالربط بين إخناتون وأوديب إنما يلوي الحقائق ويحرف التاريخ مع أن العشماوي فعل أكثر من ذلك واشنع وأكثر تعسفاً إذ جعل - كما سيأتي- من فرعون جداً لموسى ومن ابنته أمّاً حقيقية له، ومن ديانته مصرية صميمة، ومن خروجه من مصر خدعة لإخراج بني اسرائيل منها باتفاقه مع جده الفرعون بزعم المستشار الذكي!!

وعلى كل فنحن نذكر قول العشماوي هنا يرد به على سيد القمني ومن شاركه القول في الربط بين إخناتون وأوديب! يقول «إن هذا الاتجاه التعسفي بدأ من بعض الباحثين الأيدلوجيين - الذين أرادوا(!) أن يقفوا على إخناتون وتوحيده الصافي(!) وشاعريته المرهفة فزعموا أنه أوديب الإغريقي، وظلوا يدللون على ذلك بأسماء طيه وأبي الهول[*] التي كان الإغريق قد استعاروها من مصر، كما استعارت كثير

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٢ .

(*) هذه طريقة أخرى في الاستدلال تختلف عن طريقة القمني .

من البلاد لفظ الإسكندرية حالا (حاليا) وأطلقته على مدن بها»[1]

وسأل العشماوي «فهل يجيز هذا لباحث أن يلوي الحقائق ويحرف التاريخ ليزعم أن الحضارة المصرية أو حضارة الدولة الحديثة على الأقل كانت في بلاد الإغريق[*]»[2] ومع ذلك فقد حرّف العشماوي التاريخ والحقائق وقال «... ومع الوقت بدأ يتضح أن موسى نقل كثيراً من عناصر اليهودية عن مصر، وعن إخناتون بالذات»[3] وسيأتي في الفصل القادم أنه زعم أن موسى هو حفيد فرعون على الحقيقة باعتباره ابن ابنته على الحقيقة!! لنرجع إلى موسى عند القمني، الذي زعم أن أمه (الأصل) هي (الملكة تي) التي تحولت فيما بعد في التراث الإسرائيلي إلى يوكابد وهي في الحقيقة إمرأة ميتانية يقول «إذا كان إخناتون/ موسى/ أوديب، يعود بجنسه من جهة الأب إلى مصر، فإنه من جهة الأم يعود إلى شرقي سيناء حيث المديانيين والعمالقة والكنعانيين (العموريين) والسكيت (الآراميين) وضمنهم الإسرائيليين»[4] إن قراءة التاريخ وقراءة النصوص المقدسة، وقراءة بعض الاكتشافات الغامضة واليتيمة أو الجزئية تختلف من باحث علماني إلى آخر، وفي فصلنا هذا سترى أخي القارىء أن لكل باحث علماني إدعاءات عريضة ونظريات عجيبة عن التاريخ والقصص التاريخي للأنبياء وغير ذلك .

ومع تناقضات هذه القراءات وتعارض نظرياتها تعارضاً شديداً إلا أن أصحابها يدّعون أنهم يقدمون الفروض الصحيحة والتاريخ الصحيح! والعجيب أن أحدهم

(١-٢) مجلة أكتوبر المصرية ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٠، ١٨ أكتوبر ص٣٠ .

(*) إن لي الحقائق خالياً ما تكون لإقامة هذه الترهات العنصرية والتي تبنى كلاً من العشماوي والقمني واحدة منها ..

(٣) مجلة أكتوبر الأحد ١١ مارس ٢٠٠١ العدد ١٢٧٢ ص٢٤ الأصول المصرية لليهودية(٢٦) (البداية والنهاية) .

(٤) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٩ سيأتي من النصوص التالية بوضوح تحديد القمني للأم بأنها مديانية وليست إسرائيلية!

إذا تناول نظرية الآخر وإفتراءاته لم يتركه حتى يطرحه أرضاً ويهشم رأسه!

وكمثال نُبرزه عند هذه النقطة وستأتي الأمثلة الكثيرة ، نعرض قول القمني في حكمه على بعض قراءات «إيمانويل فليكوفسكي» اليهودي للتوراة والتاريخ، يقول «يمكن لباحث مغرض أن يقرأه قراءة أخرى بأغراض بعينها، وفق أيديولوجيا خاصة، فينطق بأمور أبعد ما تكون عن الصدق والموضوعية العلمية وهو ما سنجده له نموذجاً مثالياً في الباب الثالث من هذا الكتاب»[1] الذي سماه «التضليل»[*] ويسمي بعض فروضاته «الفضائح»[2]

ويقول عنه «أي مهتم بالتاريخ الديني لمصر القديمة، سيعرف كم كان (فليكوفسكي) ملفقاً؟ وكم كان بارعا» [3]

وقال عنه أيضا «بأنه أبرع رجل علم، تمكن من استخدام أدوات البحث العلمي لإجراء أروع بل وأمتع عملية تزييف وتلفيق وتزوير في تاريخ العلم والعالم»[4]

وقال «للكاتب مقاصد غير أمينة، وانه قد عمد إلى الإسقاط والحذف لأن المحذوف كان ممكناً أن يتعارض مع فروض الكاتب وما يريد الوصول إليه، باختصار هي انتقائية وعدم أمانة واضحة»[5]

لكن المدهش في الأمر أن سيد القمني على الرغم من أنه نقد القومية الصهيونية التي كان فليكوفسكي يسعى لتدشينها بالدعم التاريخي!، إلا أنه تأثر بفليكوفسكي تأثراً عجيباً في أجزاء خطيرة من نظريته المهزوزة، فقد ألف فليكوفسكي كتاباً سماه «أوديب وإخناتون» فقال بأن أوديب هو إخناتون فأخذها القمني خبرة

(١-٢) كتاب القمني : إسرائيل ... التوراة ...ص٢١٢ .

(*) أي سمى الباب الثالث الذي ينقد فيه تضليل فليكوفسكي بالتضليل .

(٣) المرجع السابق ص٢٥٣ . (٤) المرجع السابق ص٢٠٤ .

(٥) المرجع السابق ص٢٢٠ .

تاريخية لإعادة بناء التاريخ النبوي بالطريقة العلمانية العوراء التي لا ترى من العالم إلا ماديته فقال القمني (بإضافته المدهشة) إن إخناتون هو أوديب هو موسى شخص واحد في روايات ثلاثة والأصل هو إخناتون، أما موسى وأوديب فاقتباسات عن الأصل! وقد صنع لذلك عنوانا سماه «الثلاثة في واحد»[1] ومع أن القمني إستفاد إستفادة كبيرة جداً من خرافات سيجموند فرويد الذي زعم أن موسى مصري الولادة والجنس وانه كان أميراً وأنه خرج بأتباعه الذين يتكونون من المصريين والهكسوس والإسرائيليين من مصر مطرودون وليسوا مطاردين[*] إلا أنه خالفه في جزئية إخناتون ففرويد قال إن موسى المصري كان كاهناً من رجال إخناتون فقال القمني: إن موسى هو إخناتون نفسه وليس كاهنا عند إخناتون!

وهكذا استفاد القمني من فليكوفسكي فكرة (أوديب هو إخناتون) ومن فرويد مصرية موسى بالولادة والجنس لكنه نحىّ فكرة فرويد التي تقول بأن موسى عليه السلام من أتباع إخناتون وقال انه إخناتون نفسه وليس من اتباعه ثم جمع خلاصات فليكوفسكي وفرويد بعد أن عزل بعض العناصر المتعارضة مع خياله الخاص وبعد إدخال إضافات عجيبة كإضافة أن إخناتون هو (موسى قبل اقتباس التوراة وتعديلها للنسخة الأصلية) فكانت خلاصته وفريدته ونظريته هي: إخناتون هو أوديب هو موسى ، ثلاثة في واحد!. ومع أن فليكوفسكي وفرويد يهوديان ويتمسان للفكر العلماني الالحادي النظرة إلا أن فليكوفسكي هاجم فرويد لكون فرويد قد زعم أن موسى لم يكن من بني اسرائيل بزعم أنه كان مصرياً من أتباع الفرعون إخناتون!

يقول أحمد عثمان ـ وسيأتي عرض أكاذيبه ـ «وكان إيمانويل فليكوفسكي أحد علماء النفس اليهود، الذي هاجر من روسيا إلى الولايات المتحدة هو الذي بدأ في

---

(١) النبي موسى وآخر أيام العمارنة جـ٣ ص٨٢٥ .

(*) يقول « رفض فرويد لقصة مطاردة المصريين للخارجين» جـ١ ص١٧٩ المرجع السابق .

سبعينيات القرن العشرين بمعارضة فرويد والهجوم على إخناتون، وكرّس فيلكوفسكي حياته في محاولة لإثبات خطأ ما ذهب إليه فرويد بخصوص الملك المصري عن طريق إثبات سبق موسى لعصر إخناتون »[1] .

يقول القمني في ذلك «ولا ينسى فليكوفسكي أن يحط من قدر فرويد لتجرؤه(!) على شخص موسى وعلى شعب الله المختار وتبجيله إخناتون تبجيلا عظيماً، ليقول بالنص عن كتاب فرويد: هذا الكتاب ليس سوى إنقاص لقدر موسى والحط من شأنه، فقد حط فرويد من شأن موسى عندما أنكر أصالته وحرمه إياها، كما هاجم شعب اليهود عندما حرمهم زعيماً يقود جنسهم، إذ جعل موسى مصرياً... على حين يمجد مرتداً مصرياً[*] معتبراً إياه مؤسساً لدين عظيم الشان. هذا بينما يرى فليكوفسكي وهو يقلب التاريخ رأساً على عقب(!) في بقية أعماله(!) أن موسى كان سابقاً على إخناتون بزمن طويل أما إخناتون نفسه فليس بمستحق لكل ما لاقاه من احترام، عندما ارتكب جريمته وهو يعلم ماذا يفعل»[2]

وقد قدمنا في الهامش مدى توافق أفكار فليكوفسكي والقمني عن إخناتون وأفعاله!! والفرق أن فليكوفسكي يجعل اخناتون متقدما على موسى في الزمان أما

---

(١) مقال لأحمد عثمان بعنوان «إخناتون نبي مصر المزيف » في مجلة الكتب وروجهات نظر، مارس ٢٠٠٢ العدد الثامن والثلاثون، السنة الرابعة ص٣٩ .

(*) قلت : ان القمني قد حط أكثر من فرويد من موسى عليه السلام ونبوته بجعله إخناتوناً معدّلاً، مع علمه أن إخناتون تزوج أمه! وهو لا يجعل إخناتون كما يجعله فرويد يقول عن إخناتون «إخناتون ... ارتكب ما هو أبشع من القتل بإلغاء أبيه نفسه بمحو اسمه من الآثار في كل أبدي، ناهيك عن تعصبه الأعمى الذي ملك عليه عقله وقلبه ضد كل آلهة مصر (!) وكهنتها، وانتهى بإغلاق جميع المعابد ومصادرة أموالها، وهو أمر لا شك - وإن لم يدونه لنا التاريخ أو فقدنا مدوناته - لم يتم بهدوء ودون عنف قد صحب تلك الحملة المخيفة على مآثور مصر الخليد(!) الذي عاشت عليه طوال تاريخها » من النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه جـ٣ ص٩٢٦ .

(٢) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه جـ٣ ص٨٢٣-٨٢٤ .

القمني فيجعلهما شخصاً واحداً (موسى بحسبانه إخناتون) فالزمن واحد!

وفي تعليق القمني على عبقرية فرويد الفذة[1]، يمدح فليكوفسكي ، فيقول عن فرويد «ومع ذلك أبداً - رغم عبقريته الفذة - لم يربط بين الشخصيتين: أوديب، إخناتون. وهو الدرس الذي وعاه (!) فليكوفسكي بقدرة عالية الجودة (!)»[1]

ولا أعرف كيف تكون القدرة عالية الجودة تلك التي تقلب التاريخ رأساً على عقب .. ويلا أمانة!

فخيال فليكوفسكي جمع إخناتون وأوديب في شخص واحد، وخيال الباحث أحمد عثمان .. وسيأتي التفصيل - جمع بين موسى وإخناتون في شخص واحد[*]، فجاء القمني واستفاد من فليكوفسكي وأحمد عثمان فجعل إخناتون وأوديب أو موسى وإخناتون شخصاً واحد ثلاثياً :إخناتون/ أوديب/ موسى. إن ذلك - بتعبير القمني - «صار شيئا مؤكداً»[2] مع انه ليس هناك من دليل على ذلك واحد يتيم عليه!

خيال سيد القمني وواقعة خروج مزيفة!

يخترع سيد القمني واقعة للخروج من مصر مخالفة للأحداث الحقيقية لم يأت عليها بأي سند تاريخي أو أثري أو مادي ملموس أو مكتوب فيقول «حدث خلاف عقائدي عند جبل الله حوريب بسيناء بين عبدة الأدون أو السيد أو الله ممثلاً في ثور الخصب[**] وبين عبدته بإعتباره الأدون أو السيد الأعلى فوق جميع

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٢٥ .

(*) يقول القمني « هناك كشف آخر ينطلق من فلتة فكرة فرويد تجده عند أحمد عثمان وهو أن موسى بالجنس والميلاد مصرياً، لكنه لا يربط بين أوديب وإخناتون، لكن بين موسى وإخناتون، ويوعز لنا عن بعد أن موسى كان هو فلتة شخص إخناتون بعد سقوطه عن عرشه» جـ٣ ص٨٢٥ .

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٣٠ .

(**) يقول « كانت أهم تجليات الإله السيناوي هي التجلي الخصبي متمثلاً في القضيب الذكر / الشروم / البركان»جـ٣ ص٨٤٥ .

الأرباب وهو الانشقاق .. الذي أدى إلى معارك دموية بين فصائل الخارجين (١) انتهت إلى انقسامهم فرقا(!) منهم من اتجه نحو بلاد الحجاز ومنهم من اتجه نحو بلاد اليونان، ومنهم الذين إنتصروا في الصراع وفرضوا عقيدتهم وهم من استمروا نحو فلسطين، ومع أولئك الذين اتجهوا نحو اليونان، انتقلت قصة الفرعون المارق الذي تزوج أمه وسقط عن عرشه، لكن باسم أوديب، بينما نقل المنتصرون ذات القصة إلى فلسطين لكن بطلها حمل اسماً آخر هو موسى»!!!(١)

هذا هو الأساس الذي بنى عليه سيد القمني نظريته وأكاذيبه، وعلى امتداد (١١٦٢) صفحة، حاولت أن أجد أي سند مادي أو أثري على هذا الكذب فلم أجد إلا خيال القمني الخصيب الذي ملىء صفحات الكتاب التي تجاوزت الألف صفحة! وكما ترى فهو من هذا المنطلق يبدأ بالزعم أن نفس قصة الفرعون المارق «إخناتون» الذي تزوج أمه وقتل أباه نقلها المنتصرون «ذات القصة!» لكن بطلها حمل اسماً آخر هو موسى الوهمي! ويقول بأن ذلك حدث بعد مقتل اخناتون عند جبل الرب حور المقدس «إبان فتنة العجل الذهبي» وأنه بموته هناك انتهى إخناتون وانتهت ديانته الآتونية وبدأت قصة موسى الوهمي(!) التوراتي كمرحلة جديدة هي التي شكلت فيما بعد الديانة اليهودية»(٢)

فهذا تصريح بأن قصة موسى وهمية وليس لها وجود حقيقي بصورتها التي في التوراة والقرآن وإنما هي اقتباس عن أصل مصري لإخناتون معلوم الشأن، أي أن موسى يمكن اعتباره (إخناتون) إذا نظرنا إلى مصدر الاقتباس أي أن موسى العبراني النبي الرسول ليس له وجود في التاريخ بزعم القمني وتلفيقاته واضطرابات عقله الهائجه علمياً!

كذلك فالذين خرجوا مع موسى لم يكونوا (بني إسرائيل) خُلَّص وإنما كانوا خليطاً من المجرمين! يقول «لقد خرج موسى التوراتي/ أوديب اليوناني/ إخناتون

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٣٠ .
(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٩٣٩ .

المصري(!) برجاله من مصريين واسرائيليين وأصحاب الهجمة الهكسوسية الثانية(!) المهزومين من مخرج للجرمين العبيد (!) الفارين مطرودين لا مطاردين»[1]

فمع زعمه أن (موسى التوراتي وهمي) ومع زعمه أنه خرج مع فرق مختلفة عقائدياً وعرقياً مطروداً لا مطارداً كما ورد في القرآن إلا أنه عندما يتكلم عن موسى النبي يتكلم بصورة الذي يعرف موسى فعلاً ولكن بإضافة أكاذيب مدهشة قلّد فيها فرويد وغيره يقول «ولا نظننا نجانب الصواب في افتراض أن موسى أبداً لم يصل إلى جبل (نبو) شرقي الأردن مباشرة مقابل أريحا ليموت هناك إنما مات تحديداً (!) فوق جبل يقع شمالي جبل كاترين مباشرة وأن ذلك كان السبب في أن ذلك الجبل قد حمل من يومها اسم جبل موسى وأن قاتله كان يشوع[*] تلميذه المخلص تحديداً (!) وعند تلك اللحظة المفصلية تتغير أمور كثيرة كانت سبباً في كثير من الالتباسات التي أدت إلى كثير من الألغاز التي استغرقت عمرنا ونحن نحاول فك طلاسمها»!![2]

وفي الحقيقة فإن ما استغرق عمره هو السعي في تلفيق النظريات بربط ما لا صلة بينه إطلاقا فهو وأصحاب النظريات الخرافية الضعيفة يحاولون وضع أصل مشترك لقصص لا رابط بينها، وحكايات لا مشترك بينها. وإن كان بعض نقاد الكتاب المقدس قد نجحوا في الوصول إلى أصل مشترك بين بعض الخرافات الدينية - كتأليه المسيح والفداء والخلاص والقيامة من بين الأموات - وبين أساطير الحضارات القديمة.

لقد فتح ذلك شهيتهم الملوثة بالجراثيم المادية والقاتلة للروح الإنسانية بهدم كل

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص١٠٦٦ .

(*) كيف يقتل نبي رسولاً يا دكتور ام ان تلفيقاتك اعمتك عن رؤية الحقائق ام أنك تعرف كيف تفسر الاكاذيب فيما تهدم النبوة وتقصف بالأنياء ؟؟

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٩٢٢ وانظر ص٩٣٠-٩٣١ .

ما يتعلق بالإيمان والدين والغيب والوحي فظهرت سخافاتهم المادية وأحقادهم الأسطورية واختلافاتهم المنهجية العميقة القاصرة، وعوراتهم الفكرية السافرة وتلفيقاتهم الخائبة الخائنة، ونظرياتهم القبيحة الهازلة!، وإلا فقل لي بالله عليك كيف يمكن الربط بين فرعون خائن، زنى أبوه بابنته، وزنت أمه به، واستبدل ديناً وثنياً بدين وثني آخر، أتباعه من الوثنيين الجدد، حكم مصر فترة من الزمان ثم طُرد منها مع جماعته المختلة العقل والعقيدة، وأصابه العمى في آخر عمره بعد أن قتل أباه! كيف يمكن الربط بين هذا العابد لقرص الشمس، والذي تمثله الرسوم المصرية عارياً مع أمه التي هي أيضاً عارية إلا من ثوب شفاف يكشف مفاتنها، مع موسى النبي العابد لله، الذي أرسله الله لتحقير الأوثان والآلهة البشرية الزائفة لفرعون وأمثاله، والذي خرج من مصر مطارداً هو وبني إسرائيل الذين أُمر بإخراجهم من مصر. أي مشترك بين القصتين وأي نسخ قامت به التوارة؟ أم أن الأمر إنما هو في استخدام كل أساليب المكر والخداع لتلويث شرف الأنبياء والنبوة وهدم الدين ونبذ الوحي والإستغراق في متاع الدنيا الهش.. وإلا فليقل لنا هؤلاء العلمانيون هل يستوي موسى الذي جاء معلناً الحرب على الفراعنة ورموزهم مع اخناتون الفرعون المرسوم عارياً الذي يحتفل بزواجه بأمه - كما وصفه القمني نفسه! - بعد قتله أبيه الفرعون المضاجع لابنته وسيأتي ذلك عن كلام القمني نفسه!؟

لقد زعم السيد القمني أن نبوة قتل طفل نبيل لأبيه الفرعون واستيلائه على السلطة وتزوجه لأمه إنما هي قصة إخناتون/موسى التي استبعدتها التوراة كاملاً وحملها القرآن بعد أن كانت منتشرة شفاهيا في الجزيرة العربية بعد إنتقالها إليها!

يقول أن «محرري التوراة قد استبعدوا قصة النبوءة بكاملها (!)، لأنها كانت تعني إبراز وإيضاح مصرية موسى بالميلاد والجنس»[1] وهو قول ليس عليه دليل واحد اللهم إلا العجز الذي ينتهي إليه هؤلاء الباحثون الذين يحاولون بكل طريق

(١) النبي موسى..... جـ٣ ص٨٦٠ .

إيجاد أصول مشتركة بين ما أسموه الملاحم. وعندما تفلت الأدلة المطلوبة من بين أيديهم يذهبون يطلقون الكلام على هواهم بلاجامع، وينطلقون مسرفين في الكذب والبهتان ويدل من الاعتراف بالفشل في إيجاد رابط بين قصة النبي وقصة الخائن تجرهم أحقادهم العلمانية إلى الإتهامات السهلة والصفحات المكتوبة المليئة بمعطب النظريات، وعفن الأفكار، وغثاء الاستنتاجات.

فعندما لايجد القمني رائحة (مُشَـرَك ما) بين القصص التى يحاول المقارنة بينها يذهب إلى الإتهام والشتائم والشنآن والهوى البغيض معرضاً عن الموضوعية التي يتشدق بها وعن العلم الذي يأبى هذه الأساليب الإلتفافية التي تنضح بالخداع وتمتليء بالكذب والضلال البعيد.

ولذلك نجد أخي القاريء كثرة هذه الاختلافات التي تظهر بين أصحاب هذه النظريات العلمانية الخطرة التي تدمر كل شيء وتحطم المقدس والنبوة وتتهم التوراة والقرآن بما هما بريئان منه ومن سخافات الماديين أجمعين.

القمني يقدح في القرآن الكريم:

فبعد أن دمر سيد القمني الحقائق التاريخية عن موسى عليه السلام وتاريخه ونبوته وتوحيده الخالص ونسبه الطاهر، وأمه وأباه ذهب يقدح في القرآن الكريم باعتباره دَوَّنَ ما أغفلته التوراة وأخفته مما كان متوارثاً شفاهياً - بزعمه! - ومنتشراً على الألسنة من نبوة القاتل لأبيه والمتزوج لأمه!!!

يقول «مايدو هو أن محرري التوراة قد استبعدوا قصة النبوءة بكاملها لأنها كانت تعني إبراز شخصية موسى بالميلاد والنبوة، لأن النبوءة تستبعد الطفل الملكي لخطره على أبيه(!) وقتله وإستيلائه على عرشه حسبما قالت، لكن هذه النبوءة لن يكون لها أي معنى مع أسرة حقيرة(!) غريبة مستبعدة في مصر، لكن الأصل

الحقيقي للقصة كان يحوي لاشك قصة النبوءة التي ظهرت في النسخة اليونانية (الوديب) كما ظل أصلاً فيما تواتر شفاهة وميراثاً غير مكتوب حتى وجد طريقه متدوين بالقرآن الكريم بعد ذلك بأزمان، ليبرز قصة النبؤة ويؤكدها»(!)

ياله من كذاب ومفتر، فالقرآن لم يؤكد أي نبوءة من هذا النوع، فليس في القرآن إشارة إلى شخصية مصري بالجنس والولادة والبنوة سيقتل أبيه ويتزوج أمه وذلك بعد رجوعه من منفاه وتدشين المؤامرة(٥) إن مقصد د. سيد القمني هو أن القرآن دوّن الأسطورة المكتوبة بزعمه في التوراة والتي زعم أنها نفت عناصر القصة الأصلية لصاحبها اخناتون ونسبت القصة لموسى مع تعديل وتحوير، كما أنه دوّن بقيتها الشفهية التي أخفتها التوراة بزعمه لأنها كانت ستكشف الأصل المصري لأعظم أنبيائها. وهو إتهام خطير ليس عليه دليل. فالأسرة المُتَبَعِدة لطفل الأسطورة ثرية وفرعونية وتمتلك عرش مصر كما في القصة المصرية أما قصة موسى فالأسرة فقيرة عبرانية مؤمنة بالله وحده لاتملك حتى حريتها! لكن القمني يقول لك لا تنظر إلى عدم المطابقة هنا لأن الإخفاء كان كلي وتام (من أخبره بهذا!!) مع أنه لا يملك أي دليل على افتراءه هذا.

والزعم بأن القرآن دوّن ما كان يتناقل على الألسنة من الأسطورة البشعة وجعلها قرآنا يتلى كذب وإفتراء عظيم.

فالقرآن عرض قصة الصراع بين موسى عليه السلام رسول الله إلى بني إسرائيل وبين فرعون وقومه ولم يدون روايات أسطورية مكتوبة أو شفهية مقتبسة عن أي أصل

---

(٥) التوراة كالقرآن تثبت نبوة مختلفة تماماً، الا وهي ان طفلاً عبرانياً أو من بني إسرائيل سيتسبب في هلاك فرعون وفي التوراة المصالحة أمر ملك مصر أن يقتل كل مولود ذكر من بني إسرائيل في الأصحاح الأول من سفر الخروج، اما القرآن فيقول ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾القصص: ٧-٨

أسطوري. وكذلك قصة موسى ﷺ بوصفه نبياً ورسولاً في التوراة فهي لم تخف مقاطع من قصة إخناتون التي زعم القمني أنها اقتبست منها الكثير ونسبته لشخصية عبرية هي موسى ﷺ.

يسير الدكتور القمني على هذه الوتيرة العرجاء في الاستدلال في فقده الخائب لخيط المطابقة المزورة، فهو يرى أن التوراة أصرت على التأكيد على تمتع موسى ببصره حتى نهاية حياته ما يؤكد بزعمه على أنها أيضاً أخفت المقطع من قصة إخناتون / أوديب وهو العمى الذي أصابهما في نهاية حياتهما!!

يقول «قامت التوراة تصر على نفيه، لنفي أي إشارات يمكن أن يكشف الأصل المصري لأعظم أنبيائها»[1]

فالتوراة عند القمني فيما يخص موسى إما أن تصوغ الأصل بقدر من الاختلاف وإما أن تخفي مقاطع معينة خشية إنكشاف الاقتباس وإما أن تقوم بعكس ما ورد فيها ففيما اخناتون عمى في آخر حياته فإن موسى كان قوي البصر شديد النظر!!

بهذه الاستنتاجات السخيفة يحاول القمني أن يُدَشِّن نظرية المطابقة وعن موسى/ اخناتون/ أوديب. ومعلوم أن لا التاريخ ولا الرويات الحقيقية تسعفه، ولا العقل والمنطق يؤكد ذلك ويبرهنه ، ولا الموضوعية تذهب إليه وتُمنهجه، وإلا لصارت كل القصص المولودة على الأرض مقتبسة مع تحويرات وإخفاءات ونفي لمقاطع وفي هذه الحالة تصير الشخوص واحدة ويصير الفرعون نبياً والإنسان حيواناً والملك إلهاً والمرأة رجلاً والقرد وثنا والعفة عُهراً وسيد القمني نبياً والعشماوي مصلحاً وهادياً!!!

وكما زعم أن التوراة استبدلت اسم إخناتون بموسى، زعم أيضاً أن أوديب أصبح بديلاً عن إخناتون «حملت القصة أسماء يونانية وأصبح بطلها هو أوديب

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٩٠٤-٩٠٥ .

بديلاً للاسم المصري إخناتون»[1]

والقرآن وقع في الفخ فدوّن ماهو رائج ومنتشر ومكتوب بلا أدنى نظر أو علم مستقل. هذا هو زعم القمني وكل الباحثين العلمانيين الذين يدرسون التاريخ النبوي والبشري!، وهو ما يعني أن القرآن إفراز بيئوي تاريخي اجتماعي سياسي اقتصادي وهكذا!!! والتوراة باحتوائها على قصة موسى وإثباتها لنبوته وتأكيدها لرسالته ولولادته لأم وأب من بني إسرائيل إنما هي تؤكد بنفسها أن لا دين ولا وحي في الحقيقة إنما هي كتابات محررين ملتوين من كهنة بني إسرائيل الذين سرقوا قصة إخناتون ونسبوها لموسى مع تلفيقات وحذف ونفي واقتباس! يقول «أما التوراة فقد صاغت قصتها بقدر من الاختلاف (!) لكن مع الاحتفاظ بالعنصر التأسيسي وهي فكرة استبعاد بطل الملحمة ونشأته في بلاد غير بلاده، ومرباه في قصر ملكي ثم عودته إلى أهله بعد ذلك كما عاد كل من أوديب وإخناتون»[2]

وعندما لا يجد القمني توافقا يقول بأن التوراة ومن ثم القرآن إما أنها غيّرت سياق القصة الأصلية لمصلحة إنجاحها وإما أن تعطيها ترميزاً يبقي على الأصل لكنه يتبدل نوعيا (وهذه الأخيرة رمى القرآن بها !).

«ثم عناصر الأسطورة يعود موسى إلى أهله الوضعاء ليخرج بهم من مصر في أكبر حدث ديني في المنطقة قيد التدوين»[3] وذلك بدلاً من أهله النبلاء الذين كانوا يحكمون مصر، وبدلاً من أن يقتل أباه ويتزوج أمه ويغلق معابد أبيه ثم يحدث الانقلاب عليه فيخرج من مصر مطروداً منبوذاً!

إن القمني مازال يُؤكد على أن القرآن احتفظ بعناصر الأسطورة التوراتية - بزعمه الخائب! - وفيما يخص نبوءة قتل إخناتون لأبيه وتزوجه من أمه فيزعم القمني أن القرآن عن طريق الرواية الشفهية الغير مكتوبة دوّن قصة النبوءة مع

(١-٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٣٤ .
(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٥٨ .

تحوير وترميز!!

يقول «قصة النبوءة وصلت جزيرة العرب لتدون في القرآن (!) رغم أنها استبعدت من التدوين في التوراة»[1]!! وهو ما يعني أن القرآن دون العناصر الأسطورية المكتوبة في التوراة لقصة موسى التوراتية كما أنه دون العناصر الأسطورية الأخرى التي كانت تتناقل على الألسنة (شفاهيا) مع بعض التعديل المناسب!

يقول «إن الأمر فقط يمكن أن يكون متسقاً(!) إذا احتسبنا ذلك ترميزاً للقصة الأصلية ظل محافظا على وجوده في القصة المعدّلة المزورة والمحرفة، ترميزاً واضحاً إلى أن موسى كان ولي عهد مصر فعلا بحسبانه إخناتون ... هذا الطفل هو ابن فرعون بالميلاد والجنس»[2]

فقصة موسى في القرآن بعناصرها كلها هي مزورة مُحَرَّفة مُعدَّلة بزعم الدكتور سيد القمني الذي لم يأت إلى الآن بدليل واحد على إثبات أكاذيبه وأضاليله![3]

لقد زعم العشماوي مثله أن موسى هو ابن بنت الفرعون وهو فرعون آخر غير فرعون سيد القمني أما القمني فإنه يجعل موسى/إخناتون ابن الفرعون وليس ابن إبنته!، واتفق القمني والعشماوي على أنه كان أميراً مصرياً لكن القمني زعم أنه

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٠ . (٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٢ .

(٥) كذلك زعم القمني أن القرآن هو خلاصة تطورات عقلية وتاريخية واقتصادية في عالم الإنسان خصوصاً في تطورات التاريخ والفكر اليهودي فالشيطان والملائكة والتوحيد وغير ذلك إنما هو نتيجة لتطورات وارتقاءات عقلية وصلت إليها مراحل العقل التطورية وكمثال، فالشيطان أو إبليس بزعم القمني، في العقائد القديمة كان إلهاً للبشر يحول مع التطور العقلي إلى ملاك عاص أو جني وذلك «إنما يعود إلى نزوع العقل البشري خلال القرون نحو التوحيد، ونعتقد أنه كان لليهود دور لا يطفل في ذلك» إبان الأسر البابلي» كيف :«تحويل اليهود الآلهة القديمة إلى ملائكة» انظر الأسطورة والتراث للقمني ص٧٣-٩١ «مقدمة هذا الكتاب «الأسطورة والتراث» ترمي عقائد الإسلام بأن لها صلة بعقائد الحضارات القديمة والتطورات التي طرأت عليها !!! ص٥٠-٥٧ .

قتل أباه الفرعون وتزوج أمه أما العشماوي فقال بأنه لم يقتل أباه ولم يقتله أتباعه فيما بعد - كما زعم القمني - ولكن اشترك مع جده الفرعون في الاحتيال على بني اسرائيل وإخراجهم من مصر. والعشماوي يجعل موسى بعد إخناتون بخلاف القمني الذي يقول: هو هو!!... موسى بحسبانه إخناتون!!! وطبعا على القارىء أن يقارن بنفسه هذه النظريات الخربة ويُمرِّن عقله على السخرية من هؤلاء الكذابين الذين يتناقضون في الروايات التي اخترعوها هم، ولم يأت أحدٌ منهم بأي دليل صغير يساند عقولهم الخيالية الضعيفة!

فيجعلون أساطيرهم هي الأصل مع تناقضها الشديد والقصة الأصلية لموسى هي الاقتباس المزور!! (ولم يخرج أحدهم بخياله ليقول بأن قصة موسى هي الاصل!!!) حتى يقول القمني متجرءاً «الأمر لم يكن مجرد أسطورة إنما كان تسجيلا بالأسلوب الأسطوري لأحداث وقعت بالفعل»[1]!

وهو ما يعني أن القرآن والتوراة سجلا بالأسلوب الأسطوري أحداثاً وقعت بالفعل مع تحويل البطل اسماً ونسباً وجنساً إلى صورة أخرى مغايرة للنسب والحسب والولادة الحقيقية للأصل المصري إخناتون الذي تزوج أمه وقتل أباه!

كما يعني أيضاً أن القرآن والتوراة غيَّرا ديانة البطل الأصلي!، وشريعته إلى بطل آخر وديانة أخرى وشريعة مغايرة!!

فالوجود التاريخي الحقيقي إنما هو للأصل الذي عاش في الواقع التاريخي أما موسى أو أوديب فهما شخوص لم توجد في الحياة إلا بقدر ما اقتُبس لها من الوجود الحقيقي للأصل الإخناتوني!!

هذه هي مقارنة سيد القمني وكشفه الذي يدعو القارىء إلى الاستمتاع به! ومع أنه لم يأت بدليل يتيم على مقاربته الخائبة ومطابقته المزورة إلا أنه يقول بكل

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٥٨ .

ثقة وأدب! «فإن الاستعانة بعمليات القياس والنقد والمقارنة بين النصوص (أية مقارنة يادكتور!!) المتعددة إزاء الحدث الواحد والتحليل ومحاكمة الوثائق على سياقها الداخلي والسياق التاريخي، يمكن الوصول بالمسألة إلى الوجه الأقرب إلى صدق ما حدث فعلاً»!![1]

صدقك الدكتور وهو كذوب!، لكنه لم يقم بشيء من ذلك كدليل على تحليله العلمي والروح التحليلية الرصينة. إن ما فعله هو الخبطة بين وقائع أو أحداث لا رابط حقيقي بينها وهو يتعسف في الوصول إلى مقارنة ومقاربة حقيقية ودليل عمى إخناتون/ أوديب - دليل المطابقة - والمفقود عند موسى يدلك على التمحل والابتكار المماكر والتحايل السافر!

لقد أخذ الرجل من فرويد ومن فليكوفسكي وكثيرين آخرين ذكر مراجعهم في كل كتبه أخذ منهم افتراءاتهم وليس من وقائع أو قياس أو تنقيبات فالقياس ليس على نصوص حقيقية وإنما اقتباس من النظريات المتعارضة واختراع أسطورة خاصة لها متعة ذاتية عند كاتبها وهو في حالتنا هنا السيد القمني الذي يحاول أن يظهر في الأمة أنه يخوض معركتها ضد القومية الصهيونية فيما يروج خططها التدميرية لتاريخ الأمة ومقدساتها والوحي الذي أنزل على الأنبياء والمرسلين.

إنه يقرأ قراءاتهم وقد يُعدِّل نظرياتهم ليبدو موضوعياً، صاحب روح علمية رصينة كما في قوله «وبناء على قراءته لما حدث، يرى سيجموند فرويد أن ما جرى لموسى بالفعل (!) في حقل أحداث التاريخ يسير على قوانين الأسطورة النمطية لكن محرري التوراة هم من قلب الأوضاع (!) وعكسوها تماماً، ليجعلوا من هذا المصري(!) الذي أسس لهم في التاريخ عقيدة وقومية / إسرائيلياً بالميلاد والعنصر استبعاداً لتلك السنة التاريخية العظمى/ فقاموا بعكس حقائق الواقع

---

(١) إسرائيل ... التوراة ... التاريخ ... التضليل ص٨٩ .

الفعلي ليؤكدوا إسرائيليته وليستبعدوا تماماً مصريته(!) وهكذا كان موسى من أصل ملكي وأبوه ملك وأبوه من أقارب أمه الأدنيين وهويلك يطابق قصة اخناتون مطابقة كاملة(!). من حيث التطابق مع العناصر الملحمية... بل ونزعم أن قصته بهذا الفهم تطابق جميع العناصر الملحمية التأسيسية(١)!!!

وقد قدمنا أنه ليس هناك أي تطابق لموسى من أسرة متواضعة من بني إسرائيل الذين كانوا يعيشون في مصر في ظل حكومة فرعونية مستبدة، أما إخناتون فكان أميراً ثم أصبح فرعونا وحاكماً عاماً للبلاد فيما بعد، بعد قتله لأبيه الفرعون فأي تطابق هنا؟!(٥)

وفي قصة اخناتون زنا ودعاره وإباحية أم وأب وابن وثقافة مديانية شاذة أما في قصة موسى فعفة ورحمة أم، أوحى الله إليها لمكانته عنده وقد اصطفى ابنها رسولاً، فأين هذا من ذاك؟! وأين الزنا والدعارة من العفة والطهارة؟!! وفي قصة اخناتون عمى مشاوم وفي قصة موسى نضارة وجه نبي وقوة بصر وبصيرة فهل تستوي الظلمات الحالكة مع الأنوار الزاهية؟

مالكم كيف تحكمون أيها العلمانيون .. لماذا ديدنكم الكذب والافتراء والخداع أيهذا تحاربون العدو، وتنورون الشعوب وتبدعون وتتقدمون! تباً لكم ولعقولكم الصبيانيه التي توقها شبهات قاصرة لفرويد وفليوكوفسكي وداروين وماركس

---

(١) النبي موسى وآخر أيام .... جـ٣ ص٨٥٨، ٨٥٩ .

(٥) إن المطابقة الصحيحة لا تكون بين أم فرعون غنى وأم نبي فقير خصوصاً إذا كانت الأم الفرعونية تزوجت ابنها المشرف والأم الفقيرة، قدمت ابنها لله في ثقة تامة وعبودية مدهشة، بيد أن المرء يمكنه أن يطابق - وهي غير مطابقاتهم!! - بين أمهات ثلاثة من أولي العزم من الرسل وهي أم عيسى وأم موسى وأم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد كنَّ فقيرات عفيفات طاهرات، يقول محمد الغزالي « إن من الغرائب المثيرة أن يكون ثلاثة من أولي العزم قد كفلتهم نساء ضعيفات، وأن يرعى كبار الأنبياء في طفولتهم نساء مجردات من القوى المادية، معتمدات على رب السماء» نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم إنها مطابقة في الخلق والعفة والفقر تظهر لك بينات الأنبياء وطهارة الأمهات، جـ١ ص٣٤-٣٥ .

وهيجـل ونيتشـه وأهل الضلال والإلحـاد والشرك! إن القـمني يقارن بـين موسى وإخناتون وأوديب ثم يخرج علينـا بأن الثلاثة واحد! وقد فـعل النصارى ذلك مع الله والروح القدس والمسـيح، الثلاثة واحـد! والقمني يجعـل الأم الزانية هي الأم الطاهرة أو بالأحرى الطـاهرة تحوير للعاهرة! فـهل يعقل هذا؟! كيـف يتطابقان؟! القمني يقول لا تطابق هنا ولكن التوراة أخفت القصة الأصلية للأم الزانية فحورتها لتصبح أمـاً طاهرة! فعنده «الملكة (تي) أم إخناتون زوجة آمنحـتب الثالث» هي أم موسى قبل التعديل! يقول «وهكذا فإن يوكابد زوجة فرعون، وهما أبوي موسى، بينهمـا قرابة واضحـة يفصح عنها المحرر التوراتي فيقـول: وأخذ عمـران يوكابد عـمته زوجة له فـولدت له هارون وموسى (خروج ١٦/ ١٠) ويلفت نظرنا هذا الاسم يوكـابد أو (يوكـابد)، الذي يلتقي بـشدة (!) مع اسم بنت الملك الميـتاني (جيلوخيـا) أو (يلوخيات) أو (يلوكيـا) التي اقترضناها هي ذات الملكة (تي) أم إخناتون زوجة آمنحتب الثالث، وتتـسق عناصر أطروحتنا وتتماسك (!) عندما نجد إسم (يوكابد) يلتـقي أيضا بتطابق واضح مع اسم أم أوديب فـي الملحمة اليـونانية (يوكاستا)!!... مما يعني أن محرري قـصتي موسى وأوديب قد حافظوا(!) بعض المحافظة على الأسـماء الأصلية لأبطال القصة»[1]

ليس الـسيد القمنـي هو الذي يلعب لعبـة تلفيق الاسـماء وجعلهـا تؤدي إلى أغراضـه الأسطورية!، لقد فـعل ذلك كل الباحثين العلمـانيين وبصورة مـضحكة وسخيـفة وليـست من العلم في شئ. فـعل ذلك العشماوي وكمـال صليبي وزياد مني واحمـد عثمـان وفرويد وغيـرهم ومع ذلك فنظرياتهم متعـارضه، كل منهم يخرج على التاريخ بآباء لموسى غير الأب الأصلي ولأمـهات - معظمهن زانيات! - غير الأم الأصلية، وحتى لأكثر من موسى يختلف عن النبي موسى ﷺ!

إن القمني يـخدعنا بمقارنات سـاذجة لا تنطلي على طفل من أطفـال المـسلمين

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٢-٨٦٣ .

مكيف بالصالحين من الرجال والعفيفات الحكيمات من المسلمات وغير المسلمات!!
وليخبرنا القمني أين هو الاسم (تي) من (يوكابد) - مع أن القرآن لم يذكر هذا الاسم لكن لنمضي معه إلى نهاية الطريق! - أو حتى اسم (جيلوخيبا) أو(يلوخيبات) أو(يلوكيا) وأين يوكابد من (يوكاستا) العاهرة!

حقاً إن الأمر كما قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله إن هؤلاء يقومون بالهجوم الثقافي الحقير الذي يتسلل خفية إلى السرائر والعقول وهو مليئ بالدس والختل لتدمير العقائد وإهالة التراب على معالم الإسلام كلها[1]

إن القمني لا يستطيع أن يحصل على أي تطابق بين ملك زان ونبي شريف أو أم كريمة وأم خبيثة أو أب مؤمن وفرعون جاحد، وأين هي المطابقة إذن بين تمنحب الثالث وبين والد موسى عليه السلام أو اسم أم موسى التي لم يخبرنا القرآن عنه وبين أسماء عاهرات في التاريخ المصري واليوناني القديمين!

هذا كله في كفة، وما استنتجه سيد القمني من اسم موسى في كفة أخرى!

فأنت أخي القارىء تعلم أن القصة المصرية عن الملك الذي قتل أباه واستحوذ على أمه!! ، لا تنطبق على موسى عليه السلام كما أنه ليس هناك أي اقتباس توراتي عن قصة ذلك الذي قتل أباه وتزوج أمه! لكن الدكتور سيد القمني يستنتج قصة هذا الملك الزاني والخائن والقاتل من إسم موسى عليه السلام ليثبت التطابق المدهش!!!

يقول «والغني عن البيان (!) هنا أن اسم موسى يتركب من شقين أو ملصقين هما (مو = ماء + سا = ابن) = موسى = ابن الماء ، وهو اللقب الذي أطلقته الأميرة الفرعونية على موسى(!) عندما عثرت عليه وصفا لحاله حسب الأسطورة التوراتية، وابن الماء هو لقب فرس النهر الذي قتل أباه وتزوج أمه(!) وبعد سنوات طويلة من التطور الارتقائي الطويل[2] (!) كتب المحرر التوراتي مُعَبِّراً عن انشغال

---

(١) انظر قذائف الحق للغزالي ص٩ .

(٢) تبدو رائحة المذهب الداروني والمذهب الفرويدي والماركسي ترف فوق كلماته !!!

بال يقف وراء ما كتب (!) «وعورة أمك لانكشف (لاويين ١٨/ ٧) ويقى فرس النهر في ذاكرة المصريين رمزاً للفسق الأعظم وعدواً»[١]

فيوكابد هي تحوير للملكة التي تزوجت ابنها وهي (تي) ! واسم موسى يدل على تاريخ سيء، تاريخ قتل الأب والاستحواذ على الأم!، لكن نتيجة للتطور الارتقائي في الدين والأخلاق والمجتمع استطاع محرر التوراة - بزعم القمني - أن يُغير الحقائق عن موسى وأمه!!! أما والد إخناتون ووالد أوديب فيقول عنهما «لقد حلت اللعنة على بيت لايوست اليوناني (والد أوديب) لأنه أول من أدخل اللواط إلى طيبة بحالة العشق التي مارسها بصحبة الصبي خريبوس، وقد تم تصوير آمنحتب الثالث في اللوحات المصرية في ملابس نسائية، وكانت الحالة الوحيدة الأولى والأخيرة في تاريخ مصر الذي يظهر فيه الفرعون بملابس نسائية»[٢] والد اخناتون/ موسى بملابس نسائية!!! ومحاولة من سيد القمني توسيخ - آسف لاستعمال هذا اللفظ! - صورة بيت موسى عليه السلام يقول: «وإذا كان (لايوس) هو النسخة اليونانية لأمنحتب الثالث المصري فإنه بحذف التصريف الأسمى تصبح لايوس هو (لايو) البيت الذي انجب أوديب، لكن المبهر حقا (!) حسب التوراة أن بيت السبط (لاوي) كان هو البيت الذي أنجب موسى؟!!!»[٣]

لاحظ تلاعبه بالأسماء وخلطه للبيوت!! ومحاولة من د. سيد القمني تغيير نسيج المطابقة المزعومة أو تنفيذ مخطط مخرِّب الأديان، اليهودي فرويد صاحب القول بأن التوراة قلبت حقائق الواقع الفعلي فجعلت من الفرعون نبيا ورسولاً، محاولة من سيد القمني إيجاد التطابق بين قصة إخناتون وقصة موسى فإن لم يجد

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٧١ .

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٣ فهل هذا هو التطابق يا فيلوكسي اليهودي ويا تلميذه أيها الدكتور المصري؟!!

(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٤ .

فبتخريب الحقائق وتشويه النبوة في وحل المقارنات المفتعلة، محاولة منه لتحقيق ذلك ذهب إلى التاريخ اليهودي ليجد منه صورة عن زنى إخناتون بأمه فلم يجد، فقام بالتلاعب التالي «لكن الإعتراض البدهي هنا هو المعلوم أن موسى في التوراة قد تزوج من صفورة بنت كاهن مديان (يثرون/ رعوئيل) أو رع إيل - رع إله) وليس أمه يوكاب. ومن جهة أخرى نعلم أن التوراة لم يكن لديها ملامة في زواج المحارم (بمنطق اليوم) فالبطريك إبراهيم تزوج شقيقته سارة(!) وعمران تزوج عمته (أو خالته) يوكابد، وكان بالإمكان التجاوز إلى بقية المحارم لكن التطور اللاحق منع من تسجيل الزيجة الأهم والصارخة(*) فقد عمد المحرر بعد تطور العلاقات الاجتماعية(**) إلى إخفاء هذه الحقيقة المروعة، لكن لتختلط الأحداث بين يديه وتلتبس فتفلت الحقيقة من بين السطور، في حكاية فضيحة. والحكاية في حديث التوراة عن زواج موسى من صفورة بنت (يثرون) في سيناء، وكيف انه لم يكن مختونا بعد. ومعلوم أن موسى قد هرب إلى مديان يافعا بعد قتله المصري ظلما، وهو الترميز التوراتي لقتله أباه بمحو اسمه(!) كما يرمز الهرب إلى مديان قصة إستبعاد اخناتون طفلا إلى هناك»[1] فهو يجعل حقائق التوراة والقرآن وهي هروب موسى بعد قتله المصري إلى مديان أنها ترمز إلى قتله أباه بمحو اسمه وأنه استبعد طفلا إلى مديان وليس هروب مزعوم في الكبر!

والقمني دائما ما يفتعل هذه التفسيرات إذا لم يجد المطابقة المرصودة بين

(*) ويسميها في وضع آخر «الفاجعة المحرمة» و«الفضيحة في القصر» جـ٣ ص٧٩٩-٨٠٤ ويقول ص٨٠٠ « كانت العلاقة الجنسية بين الأم والابن أمرا بديهيا في مصر والعالم القديم والمجتمع البدائي والحديث على السواء ... وهي الحالة التي تشبه حالة إخناتون وأمه (ي) من وجهة نظر فليوفسكي أفلت سيأتي تبني الفتى لهذه النظرة أيضا!! فقد كان يعرف أنها أمه وتعرف أنه ولدها وأن العلاقة كانت علنية، فجعل أمه شريكته على العرش والفراش وأنجب منها بكتاتن، وربما بدأت العلاقة سرية ثم انفشحت تلك السرية بسرعة »

(**) هذا هو التفسير المادي للتاريخ !!!

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٤-٨٦٥ .

القصتين! وهو يجعل من نص توراتي موجود في الأسفار الحالية ليهود سنداً لنظريته لتشكيلها كما يريد فيدعي أن زوجة موسى هي أمه!

والنص في سفر الخروج هكذا «وحدث في الطريق إلى المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله، فأخذت صفورة (زوجة موسى المديانية / تعليق القمني) صوانه وقطعت غرلة ابنها ومست رجليه، فقالت: إنك عريس دم لي فإنفك عنه، حينئذ قالت: عريس دم لي من أجل الختان» خروج/ ٤/ ٢٤-٢٦(*)

يعلق د. سيد القمني على هذا النص بقوله: «ونعود للنص الخطير عن ختان صفورة لموسى بالصوان، نجد النص يقول إن موسى يفع وكبر وتجاوز السن الشرعية للختان ولم يختتن ، فأخذت زوجته صفورة بنت رعوئيل/ يثرون/ سكينا مصنوعاً من الصوان وقطعت به قلفه أو غرله أي غلفة قضيب موسى. لكن المبهم أن موسى هنا يوصف بأنه ابن صفورة التي هي زوجته(**) وقبل علمنا هذا كان ذلك النص مدعاة لتخريجات وتحريفات ومحاولات تاويلية فاشلة غير مقنعة ، لتفسير كيف كانت صفورة زوجته وأمه في نفس الوقت، خاصة أن هذه الأم بعد أن ختنته كبيراً أعلنته عريسا لها؟!! لان لابد لكي يستقيم الأمر هنا ألا تكون صفورة هي الزوجة والأم لكنها بوكابد أمه التي تزوجها أبوه عمران في مصر. لكن لإخفاء ما حدث وستره كان لابد من هذا التمويه، فقد علمنا أن إخناتون قد تزوج أولاً من نفرتيتي التي افترضنا مع جاردنر أنها الجميلة تادوخيبا (الميتانية)، وأنها ذات صلة قرابة بأمه (تي) التي افترضناها الأميرة (الميتانية) جيلوخيبا التي سبقت تادوخيبا في الوصول إلى مصر وافترضنا أنهما ربما كانتا شقيقتين، مما يعني

(*) لصياغة سيد القمني لافتراضاته ووضعها في نظرية مكتملة يلعب لتصوص التوراة الحالية أو الأسفار اليهودية الحالية فياخذ منها ما شاء أو يحاول استخدامها كما أعلاه للقدح في موسى عليه السلام ونفي حقيقته وهدم سيرته ومن ثم هدم الدين تماماً .

(**) يقول فرويد « الله كان غاضباً على موسى لإهمالة الختان وأن زوجته المديانية أنقذت حياته بإجراء عملية ختان سريعة» موسى والتوحيد ص٦٧ .

لن إخناتون قد تزوج مرتين بزوجته نفرتيتي/ نادوخيبا/ والثانية بالملكة تي/ جيلوخيبا/ يوكابد(٥)/ يوكاستا/ التي هي صفورة أمه»(١)

وهكذا يجعل الدكتور سيد القمني من اخناتون/ موسى/ أوديب شخصاً واحداً ومن أمه الملكة تي/ يوكابد/ يوكاستا أم واحدة ثم يزعم أنها هي صفورة زوجة موسى التي زعم أن قولها «إنك عريس دم لي» أنها جعلته زوجها! فبرواية توراتية من الكتاب المقدس الحالي يلفق سيد القمني أسطورته عن زواج إخناتون/ موسى/ أوديب من أمه ويبني عليها أن إسطورة هذا الزواج المرتبط بقتل الولد لأبيه دونت في القرآن بعد وصولها لجزيرة العرب!

مع أن نص التوراة يؤكد أن صفورة هي بنت رجل مديان «فأعطى موسى صفورة ابنته فولدت له ابنا فدعا إسمه جرشوم. لأنه قال كنتُ نزيلا في أرض غريبة» خروج ٢: (٢٢،٢).

وقد يكون هذا الابن - ابن موسى - هو الذي ختنته أمه، وقد يكون في النص فراغات أو ثغرات خصوصاً ونحن المسلمين نؤمن أن في الأسفار (المدعوة مقدسة) الحالية لليهود والتي يؤمن بها مسيحيو العالم ثغرات وفراغات وانحرافات وطمس للحقائق وتغيير وتبديل وتحوير ، لكن لا يعني ذلك أن الحقائق التي وردت فيها هي إفرازات اسطورية ومواد خرافية واقتباسات كهنوتية هذا ما يقوله العلمانيون المادیون في تحليلهم للتاريخ وقلبهم للحقائق وتزييفهم للوقائع. إن المثير للدهشة حقا ، هو أن سيد القمني بعد أن انتهى من استخدام «صفورة» في بناء نظريته ذهب لاستخدام نص توراتي آخر يثبت زواج موسى من إمرأة أخرى «كوشية» ويخلص من ذهب أن ذلك الغضب لا يمكن أن يكون لأن موسى تزوج مرة أخرى

---

(٥) يوكابد اسم أم موسى في التوراة!! أي هي (تي) أم إخناتون / موسى وقد تزوجها بزعم القمني !!

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٦ .

أو من كوشية وإنما لأنه فعل جريمة خطيرة وهي زواجه بصفورة أمه!! أو بالأحرى زناه! فأين صفورة المديانية من الكوشية؟ وقد جعلها سيد القمني أيضا واحداً!!، يقول «وننقب في المقدس التوراتي بعيون الباحث والتحري علّنا نجد ما يفيد بزواج موسى من زوجتين تعادلان نفرتيتي ثم (نبي) في قصة إخناتون، نجد التوراة تلتوي وتشير بسرعة (!) إلى أن موسى قد اتخذ زوجة ثانية وأن تلك الزوجة الثانية هي صفورة المديانية، أما الأولى فيتركنا المقدس التوراتي بشأنها دون إفادة (!) واضحة. وفي قصة التوراة التي نقصدها (!) نعلم أن هارون شقيق موسى ومريم شقيقته بعد مساندة طويلة لموسى يغضبان عليه غضباً شديداً(*) ويُعلنان على الناس هذا الغضب مع تحريضهم وإثارتهم ضد موسى لسبب يتلخص في كلمات شاردة سريعة مغطاة لاتتكرر مرة أخرى بالتوراة إلا هذه المرة الوحيدة تقول تلك الكلمات الشاردة: وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها لأنه قد اتخذ إمرأة كوشية) عدد ١٢/ ١. أبداً لا يكرر الكتاب المقدس تلك الإشارة، ولا يفصح لنا عن هذه المرأة الكوشية(**) ومتى تزوجها موسى ولماذا أغضبت مريم وهارون؟ وليس مقبولا أن يكون كل هذا النزاع والغضب فقط لأنها كوشية/ سوداء/ زنجية (!) (ماذا تريد أن تقول يادكتور سيد؟!) ولا ريب أن لذلك الغضب الهائل مبرر آخر (!) أغمض المحرر التوراتي عينه عنه (!) أما تمثال (تي) أم إخناتون الذي عثر عليه في سيناء قرب الجبل المقدس كاترين

(*) لو كان الأمر كما سيذكر فلماذا ضربها الطاعون كما في الكتاب المقدس(عدد١٢: ١٠) وردا على اعتراضهما على زواجه من الكوشية يقول عدد ١٢: ٣ ولما الرجل موسى فكان حليما جداً، وردا آخر في عدد ١٢: ٧-٨ : أما عبدي موسى ليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي .... فلماذا لا يخشيان أن تكلما على عبدي موسى . ونحن لا نقبل لا روايات القمني ولا روايات الأسفار اليهودية ولكنا نرى هنا تزييف المعلومات من دكتور في التاريخ !! .

(**) لذلك يحاول القمني أن يتهزما فرصة خالية ليقول بأنها أمه !! بدل أن يقول أن هذه الرواية تخالف طبيعة العلاقة التي كانت بين الأنبياء موسى وهارون فوق أنهما أخوين فهما أيضاً نبيين وليست هذه هي سيرة الأنبياء، بدل أن يقول ذلك ذهب يخترع الأساطير .

فكان يفصح بوضوح عن وجهها السيناوي الأسود»!!![1]

إذن الكوشية ذات الوجه الأسود/ سوداء/ زنجية بحسب لخبطة القمني، هي أمه التي هي (تي) التي هي أم إخناتون التي هي (صفورة) المديانية (ثلاثة في واحد!!!) يقول «إذن يبدو أن إخناتون عندما عاد إلى مصر وكي يتزوج أمه (تي)(!) كان لابد أن يقوم بطقس الختان حيث لم يكن قد اختتن في مديان(!)، وهو ما جاء في النص التوراتي المذكور«فأخذت صفورة صوانه وقطعت غرلة ابنها! أما أن يرى الصليبي (يقصد كمال الصليبي) بعينه الثاقبة أن في التوراة صورتين لموسى واحدة باعتباره نبيا وواحدة باعتباره إلها، فهو ما يؤكد نظريتنا لان إخناتون كان نبي آتون وفي الوقت نفسه ابنه الإلهي ، لقد كان إلها ونبياً في الوقت ذاته»[2]

أما حفلة الزواج فيحكيها الدكتور سيد القمني عن «جارستاتج» فيزعم أن (تي) قامت بدور الأم الإلهية والكاهنة العظمى «هذه المرة كانت أمه تي - وهو ما تنطق به لنا لوحة الحائط الشرقي بمقبرة يويا التي يأخذ فيها إخناتون بيد أمه (تي) يقودها إلى المعبد تتبعهما ابنته بكتاتن فقط وحدها مع تدوين شارح يقول «يقود الملكة العظمى والأم الملكية (تي) لترى ظلها في الشمس» وفي اللوحة يرتدي إخناتون ثوباً شفافاً يسمح برؤية تفاصيله الداخلية، أما (تي) فتكاد تكون عارية تماما. ومن بعدها قرر أن تستمر هذه العلاقة في زواج صريح معلن دائم وليس فقط في حفل سري بالمعبد ... لقد أراد اخناتون كشف كل الأستار والتصريح بطقوس عقيدته فقرر أن يكون إلها ابن إله على الأرض قبل رحيله إلى عالم الآلهة بعد الموت بالزواج من الأم الإلهية»[3]

ويذكر القمني قول «فليكوفسكي»:«أما «تي» فتكاد تكون عارية واخناتون يمسك بيدها كما لو كانا عاشقين» ويذكر قول أوديب عن أمه يوكاستا «أمي

---

(١) جـ٣ ص٨٦٧ المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق ج٣ ص٨٥٧ .
(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٥٦-٨٥٧ .

التي هي زوجتي»[1]

وربما تقدم فقد حاول القمني أيضا أن يقول بأن موسى تزوج أمه التي زعم أنها صفورة التي هي زوجته!!!، هي تي العارية هي الكوشية السيناوية!!!

فهل هذه حقيقة المرأة الكريمة أم موسى التي أوحى الله إليها ووعدها وعداً حقاً؟! ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(القصص:٧) ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(القصص:١٠) ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(القصص:١٣) ويقول الله تعالى أيضا في سورة طه: ٣٧-٣٩﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ هل هذه المرأة الكريمة هي (تي) التي يقول القمني عنها «نفرتيتي و تي» وبناتهما يظهران عرايا الفروج أمام الناس. لقد كان إفصاحاً عن طقس يلازم العبادة الجنسية...»[2]

وهل موسى هو إخناتون نفسه الذي تزوج أمه ورزق أبوه بابنته؟

يقول القمني «وقبل زمن إخناتون بجيل واحد تزوج والده آمنحتب الثالث إحدى بناته عرض، وقد حذا إخناتون حذوه، وربما كان تأثر عادات الميتانيين في العلاقات الزوجية، هوالمسئول عن هذه النزعات التحررية... كذلك نزعة العرى في رسوم نفرتيتي وبناتها، والتي تكشف دوما عن الفرج، كما لو كان مقصوداً من عمله ربما تقديساً للفرج رمز الخصب[٥]، وعادة ما اشتملت عقائد عبادة الفرج على طقوس جنسية غير مألوفة، كزواج الابن من أمه أو الأب من ابنته فيما يُعرف

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٧٩٩ . (٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٤٦ .

(٥) لاحظ أن القمني جعل من الحارجين من مصر طائفة هم «عبدة الأدون أو السيد أو الله ممثلاً في ثور الخصب» !!! والنص جـ٣ ص٨٣٠ .

بالطقس السري، ويطلق على العقائد التي تمارس ذلك عموما «الديانات السرية»[1] .

وهكذا وجد القمني مقابل شخوص قصة موسى عليه السلام شخوص في القصة المصرية عن إخناتون حتى إنه جعل الأسماء هنا هي الأسماء هناك في احتيال تطابقي هش لا يصمد أمام التحليل البسيط.

بيد أن القمني عجز عن إيجاد شخصية مقابلة لشخصية هارون أو مريم أخته (كما في رواية التوراة) في قصة إخناتون المصرية فجاء بما يضحك منه الدهر يقول «سنجد في الملحمة التوراتية (!) شخوصاً غابة في الأهمية مثل هارون ومريم شقيقا موسى دون تواجد واضح لشخصيات مقابلة في الأصل المصري(!) أو في الملحمة الأوربية فمن كانا في تلك الملاحم ولو بالاستنتاج؟ (!) ثم الأهم من كل هذا تبقى ثغرات واضحة في نظريتنا لا تحتاج جهداً لكشفها وتتمثل في السؤال: كيف كان الفرعون إخناتون هو ذات شخص موسى بينما المفترض أن موسى ثائر ضد الفرعون ودخل معه صراعاً جدلياً استخدمت فيه أدوات لإدارة الصراع ومرت البلاد والعباد ناهيك عن كون أوديب قد مات أعمى وهو ما لم يحدث لموسى بل على العكس تماما كانت التوراة تؤكد طوال الوقت أن موسى عاش ثاقب البصر صحيح العينين... وعملياً من المستحيل على باحث أن يجد جميع العناصر والتفاصيل الصغيرة[*] بدقائقها ومنمنماتها متطابقة تمام التطابق بين أصل واقعي في حقل أحداث حدثت في مصر، ونسخة مروية من تلك الأحداث في كتاب موصوف بأنه مقدس عمد محرروه إلى أكثر من استبعاد وأكثر من تزوير لإستبعاد فكرة واستبقاء أخرى تتفق مع رؤيتهم القدسية»[2] ولا يظن القارىء أن د. سيد

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٠٦ .

(*) ألم يقل في نفس المقالة بأن أشخاصاً غابة في الأهمية كهارون ومريم مفقودون في القصص المصرية واليونانية فلماذا الآن يقول (التفاصيل الصغيرة؟!) فهل هذه تفاصيل صغيرة .

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٨٤ .

القمني يدافع هنا عن الاسلام وعن قصة موسى في الإسلام، فالرجل يرفض حقيقة قصة موسى باعتباره نبياً من بني اسرائيل وأنه أرسل إلى فرعون بعد هروبه من مصر وبعد أن عاش فترة في مدين وتزوج ابنة رجل مدين، فالقمني يرفض أن تكون قصة موسى كما هي في القرآن برفض اعتباره نبياً، تربى في بيت فرعون وهو غريب عنه، طفلا من بين إسرائيل وليس ابنا لفرعون لا بالولادة ولا بالجنس والعرق، ولا يؤمن بحقيقة المواجهة التي تمت بين موسى عليه السلام وفرعون الملعون ولا بطلب موسى من فرعون أن يترك بني إسرائيل يخرجون من مصر بسلام ولا أن فرعون بعد خروج بني اسرائيل قد طارد موسى وقومه فإنشق البحر فغرق فرعون، لا يؤمن د. سيد القمني بشيء من ذلك ، لأنه يعتقد أن قصة موسى، كما هي في القرآن انتقلت للتدون عن طريق الرواية الإسرائيلية، مع بعض التحوير، وأن قصة موسى التوراتية إنما هي نسخة محوّرة عن أصل القصة المصري لاخناتون الذي حدثت له أحداث في مصر، نسبت بعد ذلك لموسى بزعمه وقد أُضيف عليها نبوة موسى كما أضيف عليها أنه أرسل من الله لبني إسرائيل، لا يؤمن القمني بشيء من ذلك ولا أن موسى كان طفل بني اسرائيل تربى في بيت فرعون لم يؤمن بقصة هروبه بعد قتله للمصري إلى مديان ولا برجوعه لإخراج بني إسرائيل من مصر بأمر من الوحي الإلهي وغير ذلك من الأمور التي يرفضها هو والعشماوي وأحمد عثمان وغيرهم كثير من العلمانيين العرب الذين ذهبوا يقلدون خزعبلات فرويد اليهودي وإيمانويل فليكوفسكي اليهودي وجارودن (آلن هنري) وجيمس هنري برستد وغيرهم من الذين يزورون الروايات ويشوهون الحقائق والتواريخ والنبوات.

وقد قدمنا كيف كان يتلاعب بقصة موسى وكيف زعم أن محرري التوراة هم الذين صنعوها ونسخوها بطريقتهم الخاصة عن قصة إخناتون! وبدل أن يقبل القصة القرآنية بهدوء ذهب يتمحل ويعطي الأدوار لشخوصه حسب دورهم في

نظريته المفعمة بالضلال والشبق المدمر يقوم بذلك فيما هو يحاول أن يجد لكل شخصية صدى في الاسطورة إخناتون نظيرها في التوراة والقرآن.

إنه مازال يبحث عن دور لهارون عليه السلام فقد سبب له إشكال في نظم ونسج خيوط نظريته الهشة يقول «فربما كان هارون رفيقا لأوزرسيف وربما كان هو الوسيط العبري بين إخناتون وبين أسرى مدينة حواريس سواء كان حقيقة أم اختراعاً اخترعته التوراة كمترجم، وهو الوسيط الذي لم يأتنا ذكره في الأصل المصري لأن الأصل المصري قد عنى بالأسرة الملكية وحدها، خاصة أن ظهور هارون كوسيط يبدأ دوره بعد خروج إخناتون منفيا من مدينته(*) ومن ثم لم تجد أي ذكر في المدونات المصرية له فهو أمر طبيعي لأنه لم يكن قد ظهر بعد (!). وبالتالي لم يظهر أيضا في ملحمة أوديب لأنها قد استمدت وقائعها من مصر مباشرة(!) وليس عبر التوراة، لذلك كان طبيعيا أن يظهر في التوراة وحدها، ولتأكيد إسرائيلية موسى ونفي أصله المصري(!) ابتدع لهما أصل واحد(!) فهو شقيق موسى وكليهما إسرائيليان من بني عمران»(١)

وهذا قدح في الوحي، وقدح في القرآن الذي جعله القمني نتاج تطور ارتقائي وإفراز تاريخي وتكوين وتراكمات ثقافية لقرون طويلة!، ويعتبر قصة موسى التي - بحسب كلامه - دُوِّنَتْ في القرآن نتاج تحويرات ايديولوجية لكهنة التحريف اليهودي الذين نسخوا قصتهم عن موسى عن أصل مصري لا بمت لبني إسرائيل بصلة!!، فإذا كان فليكوفسكي - بحسب قول القمني - قد (زوّر علينا وعلى العالمين)(٢) فإن القمني فعل نفس الفعل - وهو يحاول، على طريقته الماركسية في

(*) منذ قليل كان يبحث عن دور ولم يكن متأكداً من وجوده التاريخي والآن بعد سطر واحد يتكلم كأنه متأكد من دوره بعد خروج إخناتون !!! يالله العجب !!! .

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٨٧ .

(٢) إسرائيل ... التوراة ... التاريخ ... التضليل ص٢٢١ .

التفسير، أن يجعل من آيات موسى عليه السلام موروثاً مصرياً وحيلة معروفة!!

يقول عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٢١، ٢٢] «أما وضع الملك يده في فتحة ملابسه في صدره وإخراجها ليريها للناظرين، مع ما جاء في التوراة والقرآن أنها تظهر في تلك الحال بيضاء مضيئة، فنعتقد ذلك يرتبط بما سبق وفعلته حتشبسوت(!) لتأكيد شرعية ملوكيتها المشكوك فيها وأرسلت لهذا السبب خصيصاً بعثتها إلى بونت لاحضار المادة المضيئة التي أسمتها النصوص مادة السام... ويبدو أنها كانت العادة التأكيدية لشرعية الملك في أعياد سد فكان الملك يخفي يده في جيب صدريته ويغمس يده في مادة السام المخفية في ملابسه ليخرجها مضيئة للناظرين، وهو بالضبط ما فعله إخناتون أمام (آي) وجماهير شعبه كآيات لملكه، وذكرته بعد ذلك التوراة كمعجزات قام بها النبي موسى أمام الفرعون. أما بقية المعجزات كضرب مصر بالبعوض والضفادع والجراد والذباب والقمل فهي أمور إعتيادية في أرض مصر التي تضج بالحياة(!)، وهي في ذات الوقت أمور غريبة على محرر توراتي يعيش في صحراوات جافة ضنينة بالحياة وشحيحة. ويبدو أن الأمر لم يحسم لصالح الدلائل السحرية للشرعية»[1]

وهكذا يجعل القمني من الآيات الكبرى - كما سماها الله في القرآن - حيل تصنع في الخفاء عن طريق مادة السام التي تخفي في الملابس وعند إخراج اليد منها تخرج مضيئة للناظرين!

لقد ساوى حيل السحرة بآيات الله، ونفي عن آيات الله أن تكون آيات حقا، وحسب اعتقاده فذلك يرتبط بما فعلته حتشبسوت بالمادة المضيئة المخفية في الملابس!

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه جـ٣ ص٩٠٨-٩١٢.

وأنا هنا أذكر ما قاله عبدالله النديم في أساتذة القمني القدامى الذين صنعهم الاستعمار الفرنسي ثم رعاهم الاستعمار الإنجليزي والذين أشاعوا في عالمنا العربي والإسلامي المادية والشك، والعلمانية، والإلحاد يقول النديم: إنهم إعداء الله وأنبياؤه ، الأجراء الذين أنشأوا لهم جريدة جعلوها خزانة لترجمة كلام من لم يدينوا بدين، ممن ينسبون معجزات الأنبياء إلى الظواهر الطبيعية والتراكيب الكيماوية، ويرجعون بالمكونات إلى المادة والطبيعة، منكرين وجود الإله الحق، وقد ستروا هذا الأباطيل تحت اسم فصول علمية، وما هي إلا معاول يهدمون بها عموم الأديان»[1]

وما هي إلا تكهنات خائبة وافتراضات خاطئة وتأملات منحازة وأيديولوجيات مبيَّتة مُتربِّصة تحاول صنع ما أسماه «أدونيس» العلماني: «انقلاب معرفي ونظري»[2] في عالم الإسلام والمسلمين وهذا الانقلاب المعرفي يقوم كما قال ابن القيم قديما على «زبالة الأذهان ونحالة الأفكار وعفارة الآراء ووساوس الصدور»[3] فهل نترك اليقينيات ونرمي وراء ظهورنا العقليات ونرفض الحقائق التاريخية الأصيلة لهذه الزبالات، ونتبع «مناهج العمى»[4] بحسب وصف سيد قطب.

مناهج العمي التي تسبب عمى البصيرة، وعَمى الطباع - يقول محمد الغزالي- «ذلك أن الطباع إذا فسدت فسد تصورها للأشياء، وفسدت أحكامها عليها. كالمرآة التي غاض ماؤها، وانطفأ نورها، وتساقطت القطع من سطحها وأطرافها، لايمكن أن تثبت صورة صحيحة لما يواجهها»[5] وكيف يفهم هؤلاء القضايا الكلية الكبرى «والصغار لا يستطيعون فهم القضايا الكبرى، كما تعجز المراصد البدائية عن التقاط

---

(١) من مقالة للدكتور محمد عمارة تحت عنوان «هذا إسلامنا» بجريدة القاهرة المصرية الثلاثاء ٨ مايو ٢٠٠١ص.

(٢) ديوان الأساطير، دار الساقي ص٨ .

(٣) إعلام الموقعين جـ١ ص٦٨ .

(٤) ظلال القرآن جـ٤ص٢٠٧٥ .

(٥) كيف نفهم الإسلام للغزالي ص١٣٨ .

صور الكواكب البعيدة[1] فبعد ما يقومون بالرصد البدائي بعيون فاقدة لنور البصر والبصيرة يخرجون على العالم بالنظريات الخائبة المشوّشة والخلافات الصاخبة المخَلْخَلَة والاستنتاجات المحيرة المظلمة التي سرعان ما يجري تبديلها وتغييرها كالثوب الوسخ البالي أو تعديلها بمجرد ظهور ضلالات جديدة فيُكرهون كما قال ابن تيمية رحمه الله فطرهم وعقولهم على التناقض والفساد والانحراف[2] على العكس من هؤلاء الأنبياء الذين بُعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا تبديلها وتغييرها أو إكراهها ومسخ طبيعتها. فإن «من خالف الأنبياء فإنه كما أنه مكذب لما جاؤوا به من النبوة والسمع، فهو مخالف للحس والعقل، فقد فسدت عليه الأدلة العقلية والنقلية»[3]

«يُفسدون الحس والعقل كما أفسدوا الأدلة السمعية والحس والعقل، بهما تعرف الأدلة، والطرق ثلاثة: الحس، والعقل، والخبر، فخالفوا الأنبياء أفسدوا هذا وهذا وهذا»[4]

والله تعالى يقول ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات: ١٠-١١] فالتخرص والإنغماس في الغفلة والسهو عن الواقع آفات - كما يقول الغزالي - لا تنتج حقيقة أبداً[5] والخراصون لا يؤيدون النظريات العقلية المناقضة للقرآن والواقع والتاريخ «إلا بمقدار ما تُعطي الشبهات حق الحياة، والخطأ حق الإنطلاق والفوضى حق التدمير فإذا أتاحت لهم الحرية ما يستغون سدوا على خصومهم أفواه الطرق ودفعوا بالمجتمع كله صوب ما يعتقون»[6]

وما الوقيعة في الأنبياء إلا إفساداً للحياة وتدميراً لحقائق الوجود، فحق الأنبياء تابع لحق الله، وإنما عظمت الوقيعة في أعراضهم لما يتضمن ذلك من الكفر

---

(١) الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ص١٤٨-١٤٩ .

(٢) انظر نقض المنطق ص٥١ . (٣-٤) النبوات لابن تيمية ص٤٤٩-٤٤٨ .

(٥) ركائز الإيمان ص٣٣ . (٦) ركائز الإيمان لمحمد الغزالي ص٣٥ .

والوقيعة في دين الله وكتابه ورسالته[1] «فإنه أصل لكل فساد في الأرض إذ هو إفساد للنبوة التي هي عماد صلاح الدين والدنيا والآخرة»[2]

إن سيد القمني من أقطاب المدرسة العلمانية التي تعمد إلى النيل من العقائد والشرائع السماوية والمقدسات الدينية بحجة حرية البحث والإجتهاد... تهتك المقدسات وتجرحها - كما يقول الأستاذ فهمي هويدي - تهدم في هدوء وبغير ألم وتتحدى ركائز عقيدة الأمة[3]

وكتابات القمني - كما يقول هويدي - «من نوع الكتابات الشيطانية العربية»[4] «أخطر من رواية سليمان رشدي، تباع في مكتباتنا وعلى أرصفة مختلف العواصم العربية»[5]

القمني وايمانويل سيمون فليكوفسكي:

قام د. سيد القمني بنقد فكر «فليكوفسكي» الهادف إلى تأسيس خطير للقومية الإسرائيلية «في كتابه الذي إكتسب شهرة عالمية في الأوساط العلمية كافة، والموسوم بعنوان (عصور في فوضى)، والذي إنتهى من كتابته في شهر فبراير من عام ١٩٥٢م»[6]

فـفليكوفسكي - في نظر القمني - «هو صاحب أهم وأخطر وأثرى تنظير تاريخي لما يسميه هو (القومية الإسرائيلية)»[7]

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٣٢٨ .

(٢) المرجع السابق ص٣٣٩ .

(٣-٤-٥) من مقالة «التعدد لا التعدي» للأستاذ الكريم فهمي الهويدي بجريدة الأهرام ٢٣ مارس ١٩٨٩م القاهرة، والمدهش أن القمني وضع هذه المقالة كاملة في مقدمة كتابه الثاني «الحزب الهاشمي» انظر الحزب الهاشمي ص٧ .

(٦-٧) إسرائيل .. التوراة.. التاريخ.. التضليل للقمني ص١٥٥ .

ويقول القمني بأنه عندما طالعت (عصور الفوضى) اكتشفت أن الأمر جد خطير، وأخطر بكثير من كتابات أسطورية قديمة كانت تلائم بنية التفكير في عصرها»[1]

فما أروع القمني هو «قدرة المؤلف على البحث الدؤوب الذي لا يكل، وإمتلاكه جلداً على التقصي لايبارى ، وسعياً لا يفتر - من أول كلمة خطها إلى الختام - وراء القرائن والبراهين التي تدعم فروضه وأطروحاته لتحويلها إلى بناء راسخ القواعد»[2] فقد سجل فليكوفسكي - يقول القمني - «أعظم نقطة في رصيد القوميات العنصرية، بقراءة موثقة وتنظير قلَّ أن يوجد مثيلا له لتاريخ إسرائيل المقدس»[3] ويعترف القمني أن فليكوفسكي كاد أن يحكم السيطرة على عقله تماماً! «وهنا أجدني مضطراً لتقديم اعتراف متواضع، مضمونه أني ما كدت انتهي من قراءتي لكتاب عصور في فوضى حتى كان (فليكوفسكي) قد أنشب كل إمكاناته وبراعته في دماغي، حتى وصلت إلى لحظة كادت تكون هي التسليم له بكل ما ذهب إليه[4] ومن ثم كان لابد أن أعيد النظر فيما سبق أن وصلت إليه في أعمالي المنشورة لي على الأقل ، وأن أعلن في أقرب مناسبة تراجعي الكامل عن كل ما وصلت إليه في أبحاثي من باب أمانة واجبة علمياً (!)، كما كان ينبغي إذا أردت الاستمرار أن أبدأ من نقطة الصفر مرة أخرى، وأعيد النظر في كل ما وصلت إليه حتى الآن في قراءتي للتراث ... ولولا محاولة أخيرة في قراءة رابعة لعصور في فوضى، تسعى للإطمئنان اليائس قبل أن أنفض يدي من شئون البحث، قصدت منها مراجعة أخيرة لمكمن سقطاتي البحثية قياساً على نتائج

---

(١) المرجع السابق ص١٥٦ لقد قام الدكتور عبدالنعم عبدالحليم سيد بنقد فليكوفسكي والقمني في آن واحد في كتابه المغالطات والافتراءات الصهيونية وهو كتاب مفيد .

(٢) المرجع السابق ص١٥٦ . (٣) المرجع السابق ص١٥٧ .

(٤) المرجع السابق ص٢٠٧ .

(٥) سيأتي أن القمني اقتبس جزءاً من نظريته من فليكوفسكي وقدمنا ذلك أيضاً !

(فليكوفسكي) لأضعها بين يدي باحث صديق أطمئن لإخلاصه ليأخذ الخطوة المناسبة أقول: لولا تلك القراءة ما كان ممكنا أن أكتب هذه الصفحات، فسرعان ما بدت تتالى إكتشافات لمكامن الشرك والفخاخ، وبدأ التلفيق يظهر ثم تزييف الدلالات آخذاً بعضه برقاب بعض، تلك الشراك التي تمت صياغتها وتربيتها بحرفية عالية الجودة وبإتقان غاية في الكفاءة»[1] اكتشف القمني أن فليكوفسكي طوّع مادته التاريخية لخدمة أغراض أبعد ما تكون من العلمية[2] إضافة إلى ذلك يحلف القمني بالأيمان الثلاثة أن فليكوفسكي يتلقى دعم مؤسسات أكاديمية عالية[3]

ومع ذلك فقد وقع د. سيد القمني في شراك فليكوفسكي المتقنة الكفاءة ففي حين قام القمني بنقد كتاب فليكوفسكي عصور في فوضى[*] لأنه يؤسس للقومية العنصرية الإسرائيلية نجد القمني من ناحية أخرى يغرف من طروحات فليكوفسكي المدشنة في كتاب آخر لفليكوفسكي هو «أوديب وإخناتون» الذي وصفه القمني نفسه بأنه عمل غير مسبوق! لقد استفاد القمني من هذا الكتاب استفاده قصوى، بل لقد خصص له حوالي ٤٠ صفحة من الجزء الثالث من كتابه (النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة) من الصفحة ٧٨٤ إلى الصفحة ٨٢٤، كند قوي له في بناء أطروحته الخربة. فيقول القمني في أول صفحة (٧٨٤): «في عام ١٩٦٠م انتهى إيمانويل فليكوفسكي من تدبيج عمله غير المسبوق «أوديب وإخناتون» الذي أوجز المسألة كلها في فقرة تقول: «لم يكن إخناتون موحداً أولاً، ولم يطلق عليه من خلفوه من فراعنة لقب المجرم من جراء محاولاته في ميدان الإصلاح الديني،

---

(١) المرجع السابق ص٢٢٨-٢٢٩ .
(٢) المرجع السابق ص١٥٨ .
(٣) المرجع السابق ص١٦٠ .
(*) أدلى فليكوفسكي بدلوه أيضاً في خيطة التاريخ، وبدلاً من أن يكون عصر إخناتون سابقاً لخروج بني إسرائيل من مصر، جعل الخروج سابقاً على إخناتون وسمى كتابه «عصور في فوضى» من الخروج إلى الملك إخناتون!! والمضحك أن فيلكوفسكي قال بأن حتشبوت المصرية هي ملكة سبأ اليمنية!! فانطبق عليه وعلى عصره العلماني اسم كتابه أي : عصور في فوضى !!

ولكن من جراء خطيئة أخرى تسرها صفحات هذا الكتاب»[٢٧١]

إن القمني ذهب كما ذهب فليكوفسكي إلى أن خطيئة إخناتون كانت جرما خاصاً وهو رواجه بأمه! كما ذهب إلى أن إخناتون لم يكن موحداً وأنا لا أعتراض على ذهاب القمني لما ذهب إليه فليكوفسكي في هذه المسائل كما لا أعترض على عملية الربط بين إخناتون/ أوديب التي استفادها القمني من فليكوفسكي، فهذا تاريخ بشري يأخذ منه ويُرد، ولم يكن اليونان بأعظم أخلاقاً من المصريين الأقدمين ولا المصريين في التاريخ القديم كانوا بأبعد عن الوثنية من اليونانيين لكن القمني يستغل المشاعر الإسلامية للإيحاء بأن فليكوفسكي يسعى في أبحاثه لإقامة تنظير تاريخي للقومية الإسرائيلية.

ولو نظرنا بدقة إلى ما ينقده القمني أثناء نقده لأفكار ومسلمات فليكوفسكي لوجدنا القمني ينقد أشياء كثيرة ثابته في التوراة والإسلام، ويكفي كدليل على ذلك ما هدمه القمني من الحقائق التاريخية التي يشترك في الإيمان بها المسلمون واليهود من نبوة موسى عليه السلام وإنه من بني إسرائيل وأن خروجه كان ببني إسرائيل مطارداً من فرعون وجنوده الذي أهلكه الله وجيشه في معجزة انشقاق البحر ونجاة جسده كاملاً كجثة هامدة تحتل الآن مكاناً في قاعة المومياءات الملكية في المتحف المصري بالقاهرة ويستطيع الزوار أن يروه[٥]

---

(١) فليكوفسكي : أوديب وإخناتون ، ترجمة فاروق فريد، ووزارة الثقافة بالمشاركة مع دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت، ص٦ نقلاً عن النبي موسى للقمني جـ٣ ص٧٨٤ .

(٢) النبي موسى وآخر أيام تل ... جـ٣ ص٧٨٤ .

(٥) يقول الدكتور بوكاي « في يونيو ١٩٧٥ سمحت لي السلطات المصرية العليا بدراسة أجزاء جسم فرعون التي كانت منطلة حتى ذلك الوقت ... الشاهد المادي الوحيد الباقي حتى يومنا هذا ... الشاهد على موت فرعون الخروج وعلى النجاة التي أرادها الله لجسده... إنها شهادة مادية في جسد محنط على من عرف موسى وعارض طلباته وطارده في هروبه ومات في أثناء هذه المطاردة، وأنقذ الله جثته من الهلاك التام ليصبح آية للناس كما هو مكتوب في القرآن » القرآن الكريم والتوراة والإنجيل ص٢٧١ .

لقد قام علماء المسلمين قديماً وحديثاً بنقد خرافات وافتراءات أسفار اليهود المعروفة لكنهم لم ينقدوا الحقائق التي مع الخصم ذلك أن الحقائق التي عنده هي حقائق نبوية ولا يمكن أن تتناقض مع ما أوحى إلى رسول الله محمد ﷺ . فلم يقوموا مثلا برمي موسى بإدعاء النبوة أو برمي كتبة الأسفار اليهودية بأنهم اخفوا أصلاً مصرياً لقصة موسى عليه السلام أو أنهم اقتبسوا قصة موسى من أصل مصري أو عراقي أو يوناني.

أما القمني الذي يؤمن بالماركسية والمذاهب الحديثة في تحليل النصوص المقدسة فقد نقد حقائق وأباطيل فليكوفسكي في نفس الوقت الذي استفاد منه نصف نظريته الجديدة وهي أن إخناتون هو أوديب وأضاف عليها أن إخناتون هو أوديب هو موسى، شخص واحد بروايات ثلاثة!

فكانت إفتراءاته أخطر بكثير من افتراءات فليكوفسكي، فقد قام بنقد حقائق آمن بها فليكوفسكي أو سلّم بها في نفس الوقت الذي أضاف إلى ما استفاده من فليكوفسكي «إخناتون هو أوديب» أباطيل رفضها فليكوفسكي نفسه ألا وهي أن موسى هو إخناتون وأنه ابن أمنحتب الثالث وزوجته تي اللذين كانا إياحيين في ديانتهما! وقد قدمنا من كلام فليكوفسكي الذي أورده القمني نفسه رفضه لفكرة أن موسى هو إخناتون بل ورد فليكوفسكي ونقده اللاذع لزعم فرويد بأن موسى مصري الجنس والميلاد ولتجرؤه على شخص موسى عليه السلام! في حين أن القمني زاد في جرأته الهمجية أكثر من جرأة فرويد فزعم أن إخناتون هو موسى هو أوديب ثم ذهب يسرد علينا تاريخاً فاضحاً لإخناتون وأمه وأبيه ، يستحي المرء من قراءته.

فإن كان القمني قد قال عن فليكوفسكي أنك «لا تلمس بطول كتابه نزوعاً إيمانيا حقيقياً، ولا يبدو الرجل كحبر من الأحبار، ولا حتى ذا ميول دينية ، بل إنك تلمس رغبة الرجل ألا يبدو رجل دين تقليدي، بل يكاد يفصح أحياناً

بإلحاده»(١) فإن كتابات القمني نفسها إنما هي أعظم افتراء من افتراءات فليكوفسكي، كما أنها أصرح منها في الكفر والإلحاد - وإن كان القمني أثناء قتله للجد الإسلامي يصلي على النبي!! - وأغرق منه في الخيال والكذب والبهتان. فعلى الأقل وقف الرجل ضد سيجموند فرويد لتحقير الأخير لموسى عليه السلام أما القمني فهو يمرغ صورته في الوحل ولا ينسى أيضا أن يصلي عليه!

زيادة على ذلك افترى القمني - كما قدمنا - على القرآن بزعمه أنه دون أساطير مكتوبة وشفوية ومقتبسة!، كما زعم أن هذه الأساطير - وقد جعل القمني من الحقائق التاريخية أساطير - وصلت جزيرة العرب لتدون في القرآن، فهي ليست وحياً فوقياً ولكنها تطورات وتنقلات لأساطير قديمة!! وقد رمى القمني القرآن بأنه دوّن بين دفتيه مفاضلة باطلة بين شعب مصر القديم وتاريخه العريق وفراعينه وبين جماعة إسرائيل وأنبيائها و المفاضلة بين ملوك إسرائيل وجماعتها وبين ملوك كنعان وشعبها الفلسطيني يقول «وهي المفاضلة التي يمكن أن تزرق الضمير الوطني أو تجرح الحس العقائدي في حال لزوم الاختيار ما بين فرعون وموسى، أو المصريين والإسرائيليين، وكذلك ما بين جالوت وداود، أو الفلسطينيين والإسرائيليين»!!(١)

ولا أعرف عن أي ضمير وطني يتكلم القمني؟

فكلنا يعلم أن الضمير الوطني اليوم هو ضد إسرائيل المفسدين وفرعون الماضي الظالم ، فالمسلم مع الحق أينما كان، فيوم أن كان فرعون يستخف قومه كان الإسلام في صف الإيمان وأهله واليوم يستخف اليهود بالعالم كله ونفس الإسلام الذي وقف ضد فرعون في الماضي يقف اليوم ضد يهود التحريف والإفساد.

فنحن المسلمين مع موسى النبي وقومه ضد فرعون وملئه المفسدين كما أننا مع داود عليه السلام ضد جالوت المتعالي واليوم نحن مع إخواننا الفلسطينيين ضد اليهود

---

(١) إسرائيل ... التوراة ... ص١٥٢ .

الكافرين والمفسدين والمحاربين لدين الله ولإنسانية الإنسان. في نفس الوقت الذي نسالم فيه ونعامل بالحسنى أي يهودي أو مسيحي مسالم غير معتد ولا محتل غاشم. هذه مسلمات في ديننا وفي ضميرنا الوطني وعقيدتنا الإسلامية.

لكن القمني يرفض التاريخ الموسوي كله، بل يرفض نبوته ورسالته فهو بزعمه كان اختاتون الوثني الإباحي غير أن التوراة غيّرت القصة الحقيقية بعد تحويلها من أصلها المصري لتأخذ شكلها العبري المزيف.

هكذا يفكر القمني وقد قدمنا كل الأدلة التي تظهر هذا الموقف المفسد للحقائق والمضيع للأصول بحجة الحفاظ على الضمير الوطني الذي يجب أن يحارب الصهيونية ومسلماتها!

لقد اتهم الرجل الاسلام بأنه خضع للأيديولوجيا الصهيونية ومنظومتها الفكرية بعد إلباسها لباساً قرآنياً إسلامياً!

يقول «في التجربة المستمرة للتعامل مع طروحات الأيديولوجيا الصهيونية، المؤسسة على أعمدة تاريخية ودينية قدسية، كنت على يقين دوماً بمدى تهافت كثير من أعمالنا الفكرية وترنحها إزاء تلك الطروحات، رغم كم الشعارات والجمل الساخنة، والإطالة المفرطة حيث كانت تلك الأعمال تلقى بنا في النهاية على حجر الفكر الصهيوني وقبضة منظومته الفكرية بعد الإقرار لها بكل تأسيساتها التاريخية والقدسية، برداء إسلامي يعيد إنتاج عناصر الأيديولوجيا الصهيونية، وهو ناتج ضروري، ولزوم حتمي عن التسليم الايماني بقدسية التاريخ الإسرائيلي، كمادة أولى وأساس في النص المقدس، وكمادة أولى في قانون الإيمان (بالله وملائكته ورسله وكتبه)، وكان الواضح أن أولئك الرسل جميعا من بني إسرائيل نسباً وشرفاً وعقيدة. وإن تم سحب المصداقية عن مقدسهم المتداول بين الأيدي الآن بعد وصمه بالتحريف، بعد إكتشاف (!) يهود يثرب والنبي محمد ﷺ اختلاف

توجهاتهم على البعد الإستراتيجي، ومن ثم تغير التكتيك المرحلي زمن الدعوة بالنسخ القدسي، ليتم الكشف عن الإسلام كبعد تاريخي قديم وأن الإسلام كان مستبطناً باليهودية التاريخية، ومن ثم تمت إعادة التاريخ دورة كاملة إلى عهد النبي محمد ﷺ كما تحول(!) جميع أنبياء وملوك دولة إسرائيل القديمة إلى أنبياء مسلمين كانوا يدعون بدعوة الإسلام ... وظلت الآيات التي تذكر بهم كشعب مختار متميز فضلهم الله على العالمين، وغير ذلك لامجد سوى تنويعات عروية نادرة ويتيمة(!) عن القرى العربية البائدة، وأنبياء مثل هود وصالح، أما النسب الإسلامي والعربي، فقد ظل بدوره إسرائيلياً، بإعلان نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، انه الحفيد النبوي الأخير لسلسلة اسرائيلية استعربت بعد إبراهيم باستعراب ولده إسماعيل... هذا ناهيك عن تطابق المتممات (!) الدقيقة حول الإله وقد رأته وقصص الأولين الأولى بدءاً من قصة الخلق وآدم مروراً بنوح والطوفان[1]

إن الدكتور سيد القمني يرى أن ذهابنا مع موسى النبي ضد فرعون مصر ومع داود النبي ضد جالوت الفلسطيني يجرح الضمير الوطني، كما يرى أن القصص الديني القرآني المرتبط بتاريخ موسى ونبوته بني إسرائيل إنما وصل إلى جزيرة العرب عن طريق الروايات التوراتية المزورة كما عن طريق الروايات الشفهية المتداولة. ولذلك خرج على العالم بنظريته الطائشة عن موسى عليه السلام بل وعن جميع الأنبياء وعن داود ويعقوب وإسحاق وإبراهيم، وهو أكثر جرأة من غيره في جرح المقدس ونسف الدين ويتمتع بعقل أقل ما يقوم به هو الاستخفاف والتعالي وتأليه الذات انظر إليه وهو يمسك بقلمه المهزوز المستخف وهو يقول عن مملكة سليمان وداود «مهما دققت النظر وأعييت الذهن، فلن تجد أية إشارة لا لمملكة وضيعة، ولا حتى في حفائر الدويلة الحالية، ولا أثر معماري واحد بقي يتيماً

---

(١) إسرائيل ... الدورة ... ص ٧-٨ .

كشهادة واحدة على تلك المنشآت التي صدّعت بها أسفار المقدس رؤوسنا(!)، بينما نجد ما يقف بلا ضجيج، بدل الشاهد ألف، في آثار فراعين مصر الذين سفهم ذلك المقدس(!) وأظهرهم في المراتب الدنيا من الإنسانية، فالمملكة التي تبجح المقدس(!) بعظمتها لا شيء عنها البته، لا في أثر على ظهر الأرض، ولا في باطن الأرض(!)(*) ولا حتى على الورق!! اللهم إلا ورق المقدس وحده، وهو في موازين التاريخ والبحث العلمي، مالم تخترع له وحدة قياس بعد»(١)

ويقول متأكداً مما على ظهر الأرض وباطنها «ومن المناسب أن نوضح من جانبنا أنه لم يكتشف نص واحد حتى الآن، لا في مصر، ولا في نصوص الرافدين، يشير من بعيد أو قريب، إلى ملك باسم سليمان أو داود أو شاؤول، وهو أمر غريب بالقياس إلى ما إدعته التوراة عن شهرة المملكة السليمانية!!»(٢)

إن الدكتور أحمد سوسة(**) لم ينف وجود هذه المملكة تماماً ولم يتبجح كثيراً في إنكارها كما فعل القمني، لكنه كان يضع الأساس الإلحادي لأمثال القمني الذي يتميز بالجرأة، اقرأ النص التالي - الذي أورده القمني نفسه - لأحمد سوسه وقارنه بكلام القمني الذي ذكرته لك آنفا «والحقيقة أن مملكة سليمان التي تبجح بعظمتها، كانت أشبه بمحمية مصرية مرابطة على حدود مصر، قائمة على حراب أسيادها الفراعنة»(٣)

---

(١) إسرائيل ... التوراة ... ص٥٣ .

(*) هذا هو التطرف العلمائي الذي يهدم الموضوعية التي يدعيها بحقده الأعمى ويغفل أن البحث العلمي الحقيقي لا يدعي معرفة كل شيء، حتى ما في باطن الأرض بهذه الصورة الساذجة الملطخة بالهوى، لقد أغلق القمني كل الأبواب في وجه الحقيقة في حين أن J.smilh قال بخلاف ما قاله القمني هنا قال «وليس بعيداً إن نكتشف أعمال التنقيبات الجارية الآن - فيما نكتشف - عن بعض الآثار التي تعين على مزيد من الإيضاح» انظر مرجعه في اليهودية لأحمد شلبي ص٦٥ .

(٢) قصة الخالق للقمني ص١٤٤ .

(**) هو أحد العلمانيين الذين يخترعون النظريات عن التاريخ القديم، ويلغون الوحي والدين، وقد وضعت نظريته في كتابي هذا ليرى القارئ حجم الدجل وخصوصية خيال العلمانيين !

(٣) آثار القمني إلى أن نص أحمد سوسة هذا موجود في كتابه العرب واليهود في التاريخ، دار العربي للإعلان والطباعة والنشر ط٢ ، دمشق ص٢٦٩ انظر قصة الخالق للقمني ص١٤٣-١٤٤ .

فما فعله القمني هو أن زاد على كلمتي «تبجح بعظمتها» كلمة (المقدس)!! في نصه الذي بدا تأثير كلمات سوسه عليه واضحاً جداً. لكن القمني زاد أن هذه المملكة لا وجود لها على ظهر الأرض ولا باطنها ولا حتى على الورق إلا ورق المقدس وحده في حين أن سوسه نقل المملكة من عظمتها إلى أنها أشبه بمحمية مصرية مرابطة على حدود مصر!

إن سيد القمني يجعل من العقائد والقصص القرآني خرافات ولا معقول، وأقاصيص اللاموضوعي الذي يَخدِّم له مناهج المدارس الغربية التي تجعل الدين أساطير أرضية.

وفي كتابه الأسطورة والتراث وهو أجرأ كتبه على الإطلاق ، ذكر جملة الباحثين الغربيين الذين إستفاد كثيراً من مناهجهم «وربما أشهر الباحثين هو (K.o.Muller) الذي إحتسب الأسطورة أحاديث مصورة لأحداث تاريخية حقيقية واقعية، تابعه في ذلك مع بعض الاختلافات الجزئية كل من (جاكسون Jachson) و (أولد نبرج Olden berg) وهم إلى حد كبير يتبعون المنهج البوهيمي القديم، الذي اعتبر الأسطورة قصة أبطال حقيقيين. . . أما أكثر المدارس أثراً فهي مدرسة (إ.ب تايلور (E.B.Taylar) أحد أعلام مؤسس المدرسة الأنثروبولوجية، التي هاجمت المدرسة اللغوية، وذهبت إلى منهج يجمع الأساطير المشابهة في مجموعات للحصول على علم حقيقي للأساطير، مع مقارنة تلك المجموعات بعضها ببعض لتتبع فعاليات عملية التخييل). . ومن أهم أتباع المذهب الأنثربولوجي (هربرت سبنسر). . .»[1] وبعد أن ذكر القمني مدارس علم النفس والمدارس المتعددة من (يوهيمر) حتى (مالينوفسكي) إلى ليفي شتروس) قال «وعليه فإننا نقرر من البداية أننا سنعمد إلى المنهج الذي يؤدي إلى نتائج تبدو صحيحة، دون الرجوع للمدرسة، بمعنى أننا على إستعداد للسير قدماً من الطريق مع أي من

(١) الأسطورة والتراث ص٣٢ .

هذه المدارس ، لكننا لسنا على إستعداد للسير مع أي منها الطريق كله»[1] فكانت النتيجة هي جعل الدين أسطورة نشأ مع نشوء علاقات اجتماعية تسلطية ، يقول «وظهر الدين مع التطور الطبقي وتقسيم العمل والكون إلى عقل وجسد، ومع التفرغ اللازم من العمل اليدوي تمكنت الطبقة المسيطرة مع تنمية ثقافتها الدفاعية، واستثمار التراث الاسطوري السابق بعد تفريغه من محتواه الموضوعي ، وتحويله إلى خدمة الأغراض الجديدة، وإحتساب التراث الاسطوري جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الجديدة المتمثلة في الدين»[2]!! وهو يطبق هذا الفكر الماركسي القاصر على قصة موسى عليه السلام وعلى القصص الديني عموماً، وقد قدمنا أن قصة موسى إنما هي قصة تم تفريغ محتواها المصري والخاص باخناتون وتم تحويله إلى خدمة الأغراض الدينية الجديدة ووصل جزيرة العرب فدُوِّن في القرآن!!

هذه هي خلاصة فكر الدكتور المصري سيد القمني الذي يتحلى بشجاعة نادرة وتناقض عجيب وتقليد مدهش للفكر الغربي الذي لا يرى إلا تحت قدميه ولا يتجاوز تصوراته الهزيلة التي نتجت عن ظروف أوربية بحته وأزمة وعي غربية مدمرة.

---

(١) الأسطورة والتراث ص٣٤ . (٢) نفسه ص٣١ .

الفصل الرابع

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٧-٩]

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾

[يونس: ٦٩]

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [الجاثية: ٧-٩]

المستشار محمد سعيد العشماوى
وتدمير حقائق الدين واختراع نظرية سخيفة

« كنت ذات عصر في نادى الجزيرة عندما وقفت إلى جوارى فجأة سيارة نزل منها من يُحيينى بمودة وحرارة، ورغم أنه كان أشيب الشعر والحاجبين، فقد تعرفت عليه على الفور، إذ كنا زملاء دراسة في كلية الحقوق .. نزل زميل الدراسة هذا من سيارته وهو يقول لى (لقد كبرنا يا فلان .. فاكر أيام كلية الحقوق، لما كنت أنت نوارة الدفعة(!) بيربقك وعيونك الزرقاء وشعرك الأصفر، عجبت بشدة من هذا الوصف، فأنا لم أكن قط بهذه الأوصاف ولا بأوصاف قريبة، لكن زميل الدراسة وهو شخص عاقل واع وله مكانة اجتماعية طيبة، يختلق لى أمامى وفي حياتي أوصافاً لم تكن ولا يمكن أن تكون لى، ولا بالتقريب. بطبيعة الحال لم أجادله، وإنما واصلت الحديث معه لأتأكد من سلامته العقلية(!)، ولما تأكدت (!) حييته بمودة وتركته إلى حال سبيلى، وأنا أعجب مما حدث، لقد رأيت فيه آلية الأسطورة، إذ يحتمل أن يصفنى آخر بأوصاف مغايرة، فيكون هذا الوصف وذاك مخالفاً لوصفى الحقيقي .. وبهذا تنشأ للأسطورة ثلاث صيغ تتناول كل منها شخصاً محدداً، في زمان ومكان معين، ومع ذلك تختلف في وصف شكله وبيان ملامحه»[1] .

في هذا المقطع النفيس يحكى المستشار محمد سعيد العشماوى ما حدث معه شخصياً من اختراع بعض من يعرفونه أسطورة عنه ليس له منها شيئاً إلا اسمه فقط! ويؤكد العشماوى أن دهدن صناع الأساطير أنهم يصنعون أوصافاً لأشخاص معروفين لا تمت لهم بصلة على الإطلاق لا يمكن أن تكون لهم ولا بالتقريب

---

(١) الأساطير المدنية، مقالة باسم المستشار محمد سعيد العشماوى بمجلة أكتوبر، الأحد ٢٢ يوليو ٢٠٠١ العدد ١٢٩١ صفحة ٢٢ .

فضلاً عن أنها مخالفة للحقيقة ومعارضة للأصل! من البديهي أن يذهب المرء ليتأكد من سلامة عقول هؤلاء الذين يخترعون الأساطير حول أشخاص حقيقيين عاشوا في التاريخ من أمثال العشماوي كمثل نضربه هنا !!

لقد أظهر لنا العشماوي مثلاً على التوهم والتلفيق الذي يُسَيطرُ على بعض الناس فيجرهم ذلك إلى وضع الأساطير بجرأة مدهشة وبراعة ثابتة الجأش!

لكن يا ترى هل نحا المستشار العشماوي من هذه الآلية التوهمية التي يستغرب أن تحدث من أصحاب العقول السليمة ؟! فضلاً عن أمثال العشماوي نفسه !!

إن الإجابة على هذا السؤال أضعها بين يدي قارئي الكريم على طبق من ذهب كما نقول في مصر المحروسة !

شيء آخر قبل أن أغوص في الموضوع واستخرج منه لآليء الحكمة الربانية، وغثاء الجهل العلماني لأعرضه أمامك أخي الكريم لتستقرئ التاريخ من نماذج عصرية تهيمن على منابر ثقافية كبيرة وتفتح لها أبواب الجامعات العالمية ويُرحب بها ترحيباً عجيباً وغريباً ؟!

لقد عرض العشماوي في مقالة له بعنوان (على منصة القضاء١٩) عندما يهتز اليقين) صورة إنسانية يزعم أنها له، وصفات يدعي أنه يتحلى بها، وقد وضعها على لسان أحد الأشخاص، الذي قال للعشماوي مؤكداً له « أمرك معروف وشهرتك تسبقك عن الكلام بالحق والحكم بالعدل »[1] .

فهذان شخصان، زميل دراسة قديم وضع له صفاتاً جسمانية عجب العشماوي منها !، لأنها كما قال لم تكن له ولو بالتقريب وأنها مخالفة لوصفه الحقيقي! والآخر رجل يصفه بأن أمره معروف ومشهور وذلك أنه يقول الحق ويحكم بالعدل! أما أنا فأقول بأن هذا الوصف المعنوي الأخير لا ينطبق على العشماوي في موضوع دراستنا في هذا الفصل !

---

(١) مجلة أكتوبر العدد ١٢٨٠ الأحد ٦ مايو ٢٠٠١ .

وذلك رغم وصف العشماوى لنفسه بأنه باحث متمكن ودارس قدير يكتب بسلاسة وسهولة، وفي وضوح لا تعقيد فيه وجلاء لا التواء به !![1] .

وغالباً ما يصف العشماوى نفسه بألفاظ عجيبة وصفات فريدة وأنه بحاثة رصين وعلامة سديد مبتدع للمناهج ومخترع للأدوات العلمية الموزونة، العلمية لا الإنشائية!!

فرغم أنه نقل عن فرويد وغيره الكثير، تقليداً ينافي العلم والدراسة، والفحص والكياسة إلا أنه دائماً ما يقول عن نفسه كلما سنحت له الفرصة ذلك، أن له منهجاً أكاديمياً حديثاً « الذى ابتدعناه واتبعناه منذ أول كتاباً نشر لنا عام ١٩٥٩ ويقوم هذا المنهج على عدة عناصر، تتحصل في أن تكون ثمة رؤية واضحة محددة تهيمن على الدراسة وتتكشف من خلالها، وأن تجرى الدراسة على عرض منظم مطرد متتابع ليكون مترابطاً ويكون متماسكاً (!)، وأن ينأى عن الأسلوب الإنشائي... ليتبع الأسلوب العلمي الذي يحقق ويوثق (!) ويلتزم الموضوعية والحيادية ما أمكن ... الذي لا يكون فيه تفاكك ولا تشاتت ولا تفاتت(!) هذا المنهج أشبه ما يكون بالموسيقى الكلاسيكية العالمية(!)[2] !!!

إذن علينا أن نختبر عقل علماني كبير يدافع عن بحوثه التنويرية الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة بمصر، وقد صنف العشماوى من قبل علماني آخر وهو محمد جابر الأنصاري بأنه من أصحاب ما يمكن أن نطلق عليه (المدرسة التاريخية العلمية!)[3] .

---

(١) مجلة أكتوبر الأصول المصرية لليهودية(ب) عبود الأباء، ٨ أكتوبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٠ .

(٢) مجلة أكتوبر (الأحد ٧ أكتوبر ٢٠٠١ العدد ١٣٠٢ .

(٣) يقول الأنصاري في مقالته المعنونة «معركة الإسلاميين وخصومهم » بجريدة الحياة اللندنية ١٦ يناير ٢٠٠١ العدد ١٣٨٢١ « برزت مدرسة يمكن أن نطلق عليها (المدرسة التاريخية العلمية التي أخضعت مصادر التاريخ الإسلامي لمنهجية البحث النقدى بتزعة مستقلة عن المثاليات الدينية والاعتبارات الأيديولوجية للإسلام السياسي(!)، ومن أبرز كتابها : محمد سعيد العشماوى، وخليل عبدالكريم، وسيد محمود القمنى، اللذين يعتبرهم أصحاب الاتجاهات الدينية كتاباً علمانيين»!!

لقد أنشأ المستشار محمد سعيد العشماوى أسطورة جديدة عن موسى عليه السلام تضاف إلى الأساطير العلمانية الحديثة التي لفقتها العلمانية الحاقدة للتاريخ ووقائعه ولشخوصه التاريخية، ومنها شخوص الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين.

لقد جعل العشماوى من موسى فرعوناً، ابناً لابنة فرعون على الحقيقة، وأنه حفيد الفرعون (رمسيس الثاني) على الحقيقة وأن خروج بنى إسرائيل من مصر إنما تم بناء على خطة استراتيجية تمت بين الفرعون وحفيده موسى المصرى المولد والجنس! لطرد بنى إسرائيل من مصر وتوطينهم بعيداً عنها للتخلص من مشاغباتهم المستمرة ومؤامراتهم المعهودة! وعلى ذلك فقصة موسى الدينية مزورة ومحاورها التوراتية والقرآنية دخيلة ولا حقيقة لخروج بأمر إلهى أو بمعجزات ربانية أو بهلاك لفرعون مصرى مماد لموسى ﷺ أو غير ذلك مما هو من حقائق التاريخ المعروفة التي يؤمن العشماوى أنها يقينيات طفولية وثوابت يرفضها العلم وتنبذها الموضوعية!!

يقول « وفي حالة الطفولة لدى الأشخاص أو عند الجماعات (الأمم يكون ثمة يقين لا يتزحزح ولا يتزعزع بكل شيء، وأى رأى أو (اعتقاد فإذا جمد الوضع ووقف النمو وظل الأمر عند حال) الطفولة صار من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن يتزعزع شيء مهما كان ظاهر الخطأ، أو يتغير رأى وإن كان واضح البطلان أو أن يتصحح اعتقاد على الرغم مما قد يبدو جلياً من انحراف تأويله أو اختلاف تطبيقه »[1].

والعشماوى بأفكاره الهدامة يريد كغيره من العلمانيين المنحرفين أن يزحزح اليقين ويدمر القديم حتى يتحرك الوضع ويستمر النمو ويتغير الرأى !

---

(١) مقالة « على منصة القضاء (١٩) عندما يهتز اليقين - الأحد ٦ مايو ٢٠٠١ العدد ١٢٨٠٠ ص٢٢ مجلة أكتوبر المصرية .

ماسونية العشماوي في صورة نظرية تدميرية (٥)

إن العشماوي يريدك أخي القارئ أن تلين له وتفتح له مجالاً للنقاش حتى ولو في نقاشه اللاعلمي التدميري الذي يقتل كل شيء حقيقي عن التاريخ والغيب والنبوة والشريعة والرسول والصحابة!

إنه يقول لك، لا عليك إذا قلت لك «موسى كان ابناً حقيقياً لإبنة فرعون[٥]»، أي أنه كان حفيد الفرعون، وقد كان اسم جده رع موسى»[١] .

يكتب العشماوي ذلك عابثاً بالتاريخ، مزيفاً لحقائقه ووقائعه وأحداثه الهامة وبعد أن يفعل ذلك يتوسع في الاتهام ويُسرف في القول ويقول « ما كتب في التوراة كان تضليلاً يرمي إلى قطع موسى من أية نسبة إلى مصر حتى اسمه»[٢] .

وهو يقصد أن موسى هو مصري لا باسمه فقط ولكن بنبه وجنسه وديانته يقول «قوام ذلك كله أن موسى مصري قح، مصري في نسبه، وفي ولادته، مصري في علمه وثقافته(!)، وأن كتاب التوراة حرصوا على إخفاء ذلك(!) بالتحريف مرة، والتزييف مرات، حتى تكون اليهودية أول الشرائع السماوية، ويكون ما قبلها وخاصة ما كان في مصر وثنيات وجاهليات، ولولم يفعلوا ذلك ، لكانت اليهودية استقرت واستمرت على أنها فرع من الديانة المصرية القديمة أو تطبيق لها في بيئة

---

(٥) اعتمد العشماوي في ذلك ولا شك على ما رواه فلافيوس يوسفوس» المؤرخ اليهودي في القرن الأول الميلادي الذي روّج لأسطورة يهودية تدعى أن موسى كان ابناً لبنت فرعون ! (انظر قراءة سياسية للتوراة ص٣١٧) يأخذ العشماوي هذا الجزء من الأسطورة ويترك جزءاً آخر وهو أن حفيد الفرعون سيصبح خطراً على عرشه ويجعل العشماوي بدلاً من ذلك أن الفرعون وحفيده حاشا في وئام يرسمون الخطط الشريرة لتطرد الأحفاد أي أن الحفيد لم يكن في أي وقت من الأوقات خطراً على الجد، ويوسفوس هذا وغيره من المؤرخين الأيديولوجيين لا يعتمد عليهم في هذه الأمور الهامة وإلا ضاعت الحقائق وتاهت الوقائع وخرب التاريخ .

(١) الأصول المصرية لليهودية (٧) (حقيقة موسى) مقالة للعشماوي بمجلة أكتوبر ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٣ ص٣٠ .

(٢) المرجع السابق ص٣١ .

صحراوية غير حضارية، أول من وصل إلى هذه الحقيقة سيجموند فرويد.. عالم النفس الشهير الذي ولد يهودياً ثم تحول إلى الحق (!) حتى أغضب قومه (!) وتلى فرويد عدد من العلماء يهود ومسيحيين حتى أمكن من دراستهم تقديم صورة كاملة(!) أو شبه كاملة عن حقيقة موسى»[1] . !!!

وهكذا ترك العشماوى حقائق القرآن التي أوردها عن موسى عليه السلام، وولادته ونسبه، ونبوته وشريعته، وذهب يقتات على موائد يهود العلمانية المنحرفة التي تسعى لتخريب التاريخ واهتبال الفرص والظروف لتضييع حقائق ذكرتها التوراة وأعلنها الوحي الإلهي في القرآن .

ذهب العشماوى وراء فرويد اليهودي ليقول لنا أن التوراتيون قلبوا حقيقة موسى فبعد أن كان أصله مصرياً حولوه إلى عبراني «فقد زيفوا اسم موسى»[2] !

هكذا زعم العشماوى وبناء على ذلك دشن نظريته بافتراءات لا دليل على صحتها ومنها قوله « موسى لم يكن عبرانياً قط »[3] !!

هنا لابد لى أن أعيد تذكير القارئ الكريم بقول العشماوى المتقدم الذى علّق به على ما حدث له مع زميل الدفعة الحقوقية الذي وصف العشماوى بأنه كان (نوارة الدفعة) ومجموعة أخرى من الأوصاف لا تنطبق بتاتاً على المستشار المغرور باقتباساته عن آخرين! يقول « لقد رأيت فيه آية الأسطورة، إذ يحتمل أن يصفنى هذا الزميل لمن يعرفني ومن لا يعرفني ومن لم يرنى بالأوصاف التي ذكرها، في حين يصفني آخر بأوصاف مغايرة، فيكون هذا الوصف وذلك مخالفاً لوصفى

---

(١) المرجع السابق ص٣١ .

(٢) الأصول المصرية لليهودية(١٢) الشرعية والقانون ، مقالة بمجلة أكتوبر للعشماوى، بتاريخ ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٨ ص١٥ .

(٣) المقالة السابعة من الأصول المصرية لليهودية وهي حقيقة موسى ص٣١ وهي كما تقدم سطرت كغيرها من مقالات الأصول المصرية لليهودية في مجلة أكتوبر المصرية .

الحقيقي ... وبهذا تنشأ الأسطورة ثلاث صيغ ... ومع ذلك تختلف ...» .

فقد وصف فرويد موسى بأنه مصري، فرعون بالميلاد والجنس ومن أتباع إخناتون ونفى عنه أن يكون عبرانياً أو نبياً أو موحى إليه من الله ، هذه أسطورة علمانية لو تأكدنا من سلامة عقل مفبركها لوجدناه شخصاً مريضاً ليس بتحليل أفكاره المريضة فقط ولكن بشهادة تلاميذه ومعاصريه وهي شهادات مشهورة ومعروفة مسطرة في الكتب .

والعشماوي أخذ أوصاف فرويد المزورة لموسى فحذف منها وأضاف إليها فنشأت أسطورة جديدة بملامح جديدة وصيغة جديدة لم تكن ولا يمكن أن تكون لموسى ولو بالتقريب !

ومع أن أسطورة فرويد عن موسى تختلف في بعض ملامحها عن أسطورة العشماوي إلا أن العشماوي يحاول أن يقنعك بأنهما رجعا إلى الحق ! وقدما صورة كاملة أو شبه كاملة عن حقيقة موسى !

والمثير للاستغراب هو أنه فيما يقوم العشماوي بمهاجمة علماء المسلمين ومفكري الحركة الإسلامية المعاصرة ورميهم بكل أنواع الضلال والغباء والجهل والهذيان والإنشاء والسطحية فيما يقوم هذا الماسوني البناء بذلك تجده يرص الألفاظ الجميلة والأوصاف العلمية لأمثال فرويد«وبريستد» «فريزر»ويعتبرهم «أولو العزم من العصر الحديث» الذين أحدثوا بحسب ألفاظه المنتقاه «انقلاباً» و«تحريراً» و«تغييراً لمكونات العقل» «بجهد عظيم» ومشكوراً طبعاً يقول، وذلك « بالعلم والثقافة فقد قدر على فحص التوراة (حتى من علماء شهود مثل سيجموند فرويد) وتحليل ما بها من نصوص، وإثبات صلاتها بالتراث البابلي والحضارة المصرية، وتأكيد تأثرها بالتراث الشعبي إي الفولكولور وهو ما سجله العالم الشهير فريزر في كتابيه

الغصن الذهبي ... والفلكلور في العهد القديم»[1] .

وفي نفس هذه المقالة العشماوية التي يكيل فيها المدح ليهود ويقوم فيها بالتسبيح لعقول تخريبية كما وصفها بعض تلامذتها يقول العشماوي كاذباً على التاريخ ومزيفاً لحقائق الوحي الإلهي أنه «خلال فترة الأسر البابلي عرف الإسرائيليون كثيراً من الفكر البابلي فأخذوا[*] منه قصة الخلق، وقصة الطوفان(ملحمة جلجميش وقصة أيوب(وهو أدومي غير إسرائيلي وغيرها»

وهذا الكلام الفارغ يقوله العلمانيون الماديون الذين يقومون بإعادة كتابة التاريخ بطريقتهم القاصرة وعقولهم الحقيرة الضعيفة بعيداً عن الوحي الذي نبذوه وذلك نتيجة للصراع مع الكنيسة في العصور الوسطى في أوربا ورد فعل غير علمي على أصول ثابتة في التاريخ ووقائع العالم، حقائق جاء بها الوحي الإلهي وأعلنها القرآن الكريم على البشرية.

إن نتائج العقل العلماني الغربي في علوم التاريخ والإنسان والمجتمع لا يمكن الاعتماد عليها لقصور أدواتها وخلل قواعدها وأسسها .

فقد ألغى هذا العقل الوحي وعبث به ولم يعتبره شيئاً، وأرجع النبوة إلى ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية وجغرافية وتاريخية وبيئية فأخفى وحرَّف، ومسخ وشوَّه ، وطمس وكتم، وعزل ونفى، وجزَّء وانتقى !

إن عقلاً بهذه القدرة على تعطيل الحقيقة عن الوصول إلى العالم لا يمكن أن يكون لنا قدوة أو أن يصير لنا أستاذاً في العلم والتاريخ والفلسفة فضلاً عن أن يكون عقل رجل من أولى العزم كما وصف العشماوي بعضهم .

كما أنه لا يمكن أن تكون نتائج أبحاثه التاريخية والدينية والإنسانية والتاريخية

---

(١) (*)مقالة «حقيقة موسى» ص ٣٠ .

(*) لقد اخذوا لكن لم يأخذوا ما ذكره هنا !

مرجعاً لنا في النظر إلى التاريخ والدين والإنسان والمجتمع، فمناهجه جزئية قاصرة، محدودة وشائهة ما فيها من قصور وضلال أضعاف أضعاف ما فيها من جدّية ومعرفة .. ولذلك فهي عاجزة عن تقديم صورة متكاملة حقيقية عن حقائق الوجود والغيب والإنسان والمجتمع .

ولذلك فهي لا تساوي الأدلة التي يقدمها علماء الإسلام « لافي سلطان العلم وبراهينه وأدلته، ولا في سلطان النصر والتأييد »[1] وهي دليل نفسها وبرهان ذاتها، إنها نظريات الكاسر والمكسور، نظريات الأزمة الغربية !

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً ، وكل كاسر مكسور

هذه الحجج التي هي هشة يتبناها العلمانيون العرب مسلمات ومطلقات وهي ضلالات جديدة للعقل الوثني الجديد، فكيف يطلب الهدى عند (فكر الأزمة!) ومعلوم كما يقول ابن تيمية أن طلب الهدى عند أهل الضلال من أعظم الجهل[2] فقد حذرنا الله عز وجل من اتباع الأهواء الجاهلة ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾[الأعراف:٣] فالمهارة الحرفية لتبرير الباطل وتزيين الهش هو فعل الأولياء من دون الله عز وجل، وهم لا يتسجون إلا سفالات الأفكار، وسخافات الأقوال، وعطب النظريات يقول العشماوي «وفي حديث لي مع توفيق الحكيم قال: إن كاتباً معيناً مشهوراً في مصر والعالم العربي يستطيع تبرير السفالة، قلت له : وهل يمكن وفقاً لأي معيار تبرير السفالة (!)؟ قال : إنها المهارة الحرفية التي يمكن أن تقلب الحق باطلاً وأن تقلب الباطل حقاً »[3] .

إن ذلك هو عين ما يقوم به العشماوي نفسه : تبرير السفالة .

وقلب الحق باطلاً والباطل حقاً كالطاغوت الذي يطغى فيغتال الحقائق وينفي

---

(١) النبوات لابن تيمية ص٣٨٩ . (٢) نقض المنطق لابن تيمية ص٢١ .

(٣) مقالة مجلة أكتوبر بعنوان «على منصة القضاء»(٢٣) موازين العدالة» الأحد ٣ يونيه ٢٠٠١ العدد ١٢٨٤

الأدلة، ويقهر البراهين، وينسف الموازين، ويدمر الاصول ومع ذلك يتبعه الناس المعجبون به على غير بصيرة وينساقون وراءه على غير هدى .

«وطاغوت كل قوم - يقول ابن تيمية - من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة . . فهذه طواغيت العالم»[1] .

واليوم هناك طواغيت كثيرون، منهم طواغيت الفكر وجبابرة الطمس والإخفاء وفى مجال علم التاريخ هناك كثيرون نذكرمنهم على سبيل المثال فرويد وبريد وجاردنر وفريزر وفليكوفسكى وغيرهم .

وهؤلاء صاروا مراجع لمجموعة ضخمة من العلمانيين العرب أمثال القمنى والعشماوى وصليبى وأحمد عثمان وزياد منى وغيرهم .

رجل الماسون المصرى المخلص !

وهؤلاء الطواغيت الغربيون هم الذين وسوسوا للعشماوى بأفكاره الوثنية التي يرجح بها الجهل على العلم، والظلام على النور، اقرأ له إنصافه للوثن وعبدة الأوتاد والقبور والصلبان في نصه الذى نشرته له مجلة أكتوبر المصرية، يقول «فالعقيدة، في حقيقتها، ولدى الصفوة أو المختارين أو المخلَصين (بفتح اللام أي الذين نالوا الخلاص)، غير العقيدة لدى العامة، إذ هى لدى أولئك الصفوة مجردة في عليا، وهى لدى هؤلاء العامة، مجسدة في شخوص أو مجسدة في واقعات، أو محددة في جسوم ، ولأن أكثر الناس لا يرون أنفسهم، وإنما يشاهدون الآخرين فإنهم لا يلحظون ما في الصيغة التي وصل إليها معتقد من مادية وتجسيد، لكنهم يتهمون غيرهم من أصحاب المعتقدات الأخرى بالمادية (التي يقال عنها إنها وثنية)، لأنهم يتعلقون بالمبانى أو القبور أو المشاهد أو الستائر، والعقلاء من الناس لا يرون

---

(١) إعلان الموقعين جـ١ ص٥٠ .

المادة التي يلتصق بها العامة من قبور أو شواهد أو صلبان، وإنما يرون أن هذه كلها وسائط إلى معانى أسمى ودلائل أرقى، فليس زائر القبور متشبعاً بالموتى، وثنى الطبع خلف القلب(!) لكنه في الحقيقة، يرنوا إلى ما وراء القبر ويسمو إلى ما بعد الموت، وليس لابس الصليب عابداً له، في الواقع ، بل يتخذ منه تذكرة إلى معانى العطاء والفداء (!)، التي يرمز إليها الاعتقاد في واقعة الصلب .. وفى هذا المعنى العظيم (!) يقول ابن عربى (لقد صار قلبى قابلاً كل صورة تواجهه، فالحب دينى وإيمانى)[٥] .. ويقول الفارض في معنى عدم استهجان صورة العبادة التي تبدو لدى الكثيرين في أشكال مادية (فلاوجه للإنكار بالمعصية)»[١] .

ولذلك فعقيدة الفرعون إخناتون عند العشماوى هى عقيدة توحيدية بناء على فكرة التوحيد المجرد الذى يجعل من عابد الوثن والصليب حباً وإيماناً لوسائط إلى معانى أسمى ودلائل أرقى فيقول « التوحيد العالمى الكونى المجرد، ذلك الذى آمن به المصريون منذ عصور ما قبل التاريخ المكتوب (٣٢٠٠ق.م) ثم تم ترسيخه في عقيدة إخناتون »[٢] .

وماذا فعل إخناتون ـ كما يصوره لنا العشماوى ـ «اتخذ الشمس رمزاً للإله، واتخذ من اسمها آتون بمعنى القوي اسماً للإله[٣] .

---

(٥) أورد العشماوى هذا الجزء بصورة كاملة في مكان آخر وهى : « ولقد صار قلبى قابلاً لكل صورة، فمرعى لغزلان، ودير لرهبان وبيت لأوثان وكعبة طائف والواح تورات، ومصحف قرآن، أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب دينى وإيمانى» ثم علب قائلاً « فهي هذه المعانى كلها ينبض الفكر الصوفى المصرى» ثم قال بأن من يضاده في فكره الذى يقدمه إنما يقف واحداً مع اليهودية السياسية (الصهيونية التي ترمى مصر بالكفر والإلحاد والوثنية والضلال) . راجع (البداية والنهاية) مقالة في مجلة أكتوبر ١١ مارس ٢٠٠١ .

(١) مقالة للعشماوى بمجلة أكتوبر باسم(صراع الأمم ٢٥) الأحد ١٣ يناير٢٠٠٢ ص٢٠ العدد ١٣١٦ .

(٢) مقالة الأصول المصرية لليهودية (١٢) الشريعة والفاتون، الأحد ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٨ بمجلة أكتوبر المصرية .

(٣) مقالة الأصول المصرية لليهودية (٧) الأنبياء الاجتماعيون ٧ يناير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٣ .

فالألوهية العالمية عند خواص الماسون كأمثال العشماوى تتمثل في عبادة الوثن كما في عبادة قرص الشمس (٥) كما في التوحيد، تتمثل في دير الرهبان ومعبد الأوثان وكعبة الرحمن يقول : « أما المفهوم الرائع حقاً فهو ذلك الذى يقول به المرء (إن روحى هى الإله هى الأبدية) فهو أمر يستحيل (يتحول) به الإنسان المؤمن بمعناه إلى ان يكون ربانياً أبداً فوق كل مكان وأى زمان، وذلك هو جوهر وأصل ولب الفكر المصرى الذى قدمته مصر إلى الإنسانية ويعاود تقديمه إلى العالم كله من أرض مصر، فتى مصر»(١) - أى العشماوى -.

فألهة مصر المتمثلة في أوثانها وأصنامها وفراعينها ورموزها السماوية والأرضية إنما هي المفهوم الرائع الذي يقدمه العشماوى (فتى مصر!) إلى العالم كما قدمته الفرعونية القديمة تماماً !

فمع ان أوزير يقول أنا الواحد أى الذي يفوق بصفاته وملكاته أي مخلوق آخر إلا أنه بحسب العقيدة المصرية تجسد للإله « كان المصريون القدماء يعتقدون أن الإله تجسد في شخص أوزير »(٢) والعشماوى يخترع تاريخاً لأوزير يعدده هكذا « ولد أوزير في أول يوم من الأيام الخمسة المضافة إلى أيام العام (١٢X٣٠) لتجعلها ٣٦٥ يوماً»(٣) وقد كان أوزير وزيراً ألّه كما هى عادة حكام مصر الأقدمين الذين يؤلهون فراعينهم ويؤلهون رموزاً سماوية كالشمس مثلاً وهي الأشياء التي يعتبرها العشماوى تمثيلاً للإله الواحد !

---

(٥) يقول «تعاليم إخناتون لم تزل حية فعّالة في نفوس الكثيرين، لما فيها من عبادة الألوهية العالمية ...» مجلة أكتوبر (شريعة موسى) الأحد ١٢ نوفمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٥ .

(١) مقالة العشماوى بمجلة أكتوبر (الأصول المصرية لليهودية(١٩) من كتاب الموتى، الأحد ٢١ يناير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٥ ص٢٧ .

(٢) مقالة العشماوى بمجلة أكتوبر (الأصول المصرية لليهودية(٢٠) التراث الأوزيري، ٢٨ يناير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٦ ص٢٨ .

(٣) الأصول المصرية لليهودية (١٩) (كتاب الموتى) مجلة أكتوبر ٢١ يناير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٥ .

«ذلك لأن رع وآمون وآتون وغيرها من أسماء كانت مجرد أسماء للإله الواحد الأحد، في حين كان أوزير هو كلمة هذا الإله التي خلق بها الكون، ويسير بها الكون»[1] !!!

فالآلهة الوثنية المصرية القديمة يعتبرها العشماوى أسماء للإله الواحد، وإخناتون عابد قرص الشمس هو صاحب التوحيد النقى، وأوزير المؤله جعله العشماوى كلمة الله، ويزداد فكر العشماوى خبالاً واضطراباً وعطباً عندما يقول إن هذه الوثنيات إنما هى تجلى للحقيقة الكبرى «وكان من اللازم تفسير هذا التوافق والتطابق بين شخصية وآلام وأوصاف كل من أوزير والمسيح على أساس كونى ينادى في أنه لابد أن يكون من طبيعة الكلمة وصميمها أن تتحرك في الزمان، وهى الزمان ، لتتجلى على مدى التاريخ في صور بشرية وأنها حين تتجلى تنشر من نور المعرفة حقيقة أوصافها وطبيعة أحرافها، فيدرك الكثيرون ذلك، وتتطابق الأوصاف والمظاهر والمعانى بين كل تجل وغيره (!) ... بدلاً من هذا الإدراك الصائب والصادق، فقد رفضت الكنيسة المعتقد المصرى تماماً، ووصفته بالزيوغ والوثنية، فوقفت في هذا الصدد في وجهة واحدة مع اليهودية»[2]!!!

فالتوحيد عند العشماوى هو تجليات وثنية يعتبرها تجليات كونية نورانية ذات مفهوم رائع! « عندما بدأ عصر التوحيد الأول، وفيه ظهر أوزير (كلمة الله وروحه وحكمته(!)) . فقد استطاع على التناقض ورفع التعارض، بمفاهيم دينية عظيمة، عن التجلى الإلهى في أشكال متعددة وأسماء متغيرة[3]»، وعن اعتبار أن الكلمة

---

(١) مقالة الأصول المصرية لليهودية(٢٠) التراث الأوزيري، مجلة أكتوبر ٢٨ يناير٢٠٠١ العدد ١٢٦٦ ص٢٨ .

(٢) مقالة الأصول المصرية اليهودية (٢٣) الانشقاق اليهودي، ١٨ فبراير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٩ ص٢٥ .

(٣) يقول بناء على ذلك «فقد ظن بعض العلماء، أن التوحيد الإلهى لم يظهر في مصر إلا عهد إخناتون... في حين أن الذى ثبت من الدراسات العلمية(!) والآثار الكشفية يقطع بأن التوحيد ظهر في مصر منذ زمن قديم جداً (حوالى ٦٠٠٠عام قبل الميلاد) وأنه كان توحيداً مفاده أن الله يتجلى في كل شئ» الأصول المصرية لليهودية (٢٦ب) يوسف الصديق، مجلة أكتوبر ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٠ ص٢٦ .

ثلاثة صور هي الكلمة والروح والحكمة، وأن الثلاثة في واحد، وهو ما وطأ لمفاهيم الثالوث والتاسوع، والأرباب ... وهكذا»[1] .

وهكذا فالعشماوى لا يرى غضاضة في الأوثان والأرباب والثواليث والصلبان والأوتاد والأصنام يزعم أنها صور للحقيقة على أساس كونى رائع !

وعلى هذا الأساس المشوه للحقيقة يجعل العشماوي من مصر أساس الفكر الديني وأن الدين صدر من مصر وإذا كانت الحقيقة ضاله الإنسان أنى وجدها احتفى بها، أو إذا كانت الحقيقة تثبت لمصر الريادة في الدين والأخلاق، فذلك أمر لا صارف عنه ، ولا يمكن تجاوزه أو تخطيه، وإلا تقطع العلم وتبدد العقل وتزيف التاريخ»[2]!!

فمصر هى الريادة ومركز الدين والتوحيد بزعم العشماوى، وأن اليهودية والمسيحية والإسلام أخذوا من مصر واقتبسوا وغيروا وبدلوا .

عود على بدء

فقصة موسى كما وردت في القرآن ليست قصة حقيقية تاريخية في تصور العشماوى وإنما هى قصة عقائدية، والحقيقة التاريخية عند العشماوى هى أن موسى هو ابن ابنة الفرعون المصرى «رمسيس الثانى» وهو مصرى بالمولد والجنس وليس عبرانى بزعمه !

لم يقف الافتراء بالعشماوى عند هذا الحد، وإنما اخترع سيناريو مختلفاً تماماً عن ما هو معروف في العالم كله عن موسى عليه السلام .

---

(١) مقالة الأصول المصرية اليهودية (٢٥) حكمة الإيمان والاستقامة، مجلة أكتوبر ٤ مارس ٢٠٠١ العدد ١٢٧١ ص٢٥ .

(٢) المرجع السابق ص٢٥ .

فقد زعم « أنه لقدرة موسى وقوته فقد عينه جداً(!) الفرعون (رمسيس الثاني) أميراً (أي حاكما) لمنطقة جاسان، وذلك لعلة معينة »[1] .

ولماذا عُين على منطقة جاسان ؟!

يزعم العشماوى أنه كان قائداً مصرياً ماهراً اتفق مع جده على تهجير بنى إسرائيل من مصر للتخلص من مشاغباتهم، وأنه رسم خطة محكمة لإدخال العبرانيين أرض كنعان، ولذلك فـ« الخروج ـ يقول العشماوى ـ الذى وافق عليه الفرعون ، تأمين لمصر من اتصال العبرانيين بالهكسوس»[2] وينفى العشماوى أي اضطهاد لبنى إسرائيل في مصر أيام الفرعون، ويقلب الحقائق بالزعم أنهم كانوا خطراً على مصر، ولذلك كان الحل «عملاً عسكرياً لموسى، قصد به ـ على ما سلف ـ تهجير العبرانيين ... من أرض جاسان في مصر إلى أرض كنعان (في موقع الأراضى الفلسطينية حالاً) وتبديد شمال البدو أو العبيرو (في القول المصرى) الذين كانوا يهددون أمن مصر، ويستمدون مع الهكسوس الذين طُردوا من مصر إلى العودة إليها »[3] . وبذلك يزعم العشماوى أن هناك خطة سرية تمت بين رمسيس الثاني وحفيده موسى للقيام بعمل عسكرى لتهجير العبرانيين وتوطينهم خارج مصر « مهمة موسى كانت في الابتداء مجرد إخراج العبرانيين وتوطينهم في أرض كنعان»[4] ، هذا أول عمل في الخطة المزعومة التي رسم ملامحها المستشار القاضى محمد سعيد العشماوى الذى تعجب من زميل دراسته عندما رسم له ملامح أسطورية لم تكن أبداً له في يوم من الأيام، أما ما يفعله العشماوى الآن من وضع نسب لموسى غير نسبه ورسالة غير رسالته وغاية في

---

(١) مقالة (حقيقة موسى « الأنفة الذكر» مجلة أكتوبر ٢٩ أكتوبر ص٣١ .

(٢) مجلة أكتوبر، الأصول المصرية اليهودية تفصيل الشريعة، مقالة بتاريخ ١٩ نوفمبر ٢٠٠٠ ص٢٥ .

(٣) مجلة أكتوبر،الأصول المصرية اليهودية (١٣) أرض المعاد، مقالة بتاريخ ١٠ ديسمبر ٢٠٠٠ العدد١٢٥٩

(٤) مجلة أكتوبر ،الأصول المصرية اليهودية ، مقالة بتاريخ ٢٦ نوفمبر العدد ١٢٥٧ ص ٢٤ .

الوجود غير غايته وجعله شخصاً آخر يختلف كلياً عن حقيقة موسى ، فهذا ما لا غبار عليه عند القاضى الذى يدقق في الوقائع ويسأل عن التفاصيل ويفحص الأدلة ويختبر البراهين !

وهو لم يأتِ على أقواله بدليل واحد صحيح وإنما أتى بدليل واحد من القرآن مقطوع عن سياقه، تماماً وفي موضوع لا يترابط بجسم القصة، العشماوي القائمة على التلفيق العلمي المرشَّد !

فجسم القصة عند العشماوى يتكون من نسب مزيف أقامه العشماوى، (هذا الرجل الذى يتربع على عرش « قمة التحريف العصرى ») بين الفرعون رمسيس الثاني وموسى عليه السلام وذلك بعد أن جعل موسى فرعوناً صغيراً وأميراً لجده على منطقة يسكنها بنى إسرائيل، ويتمى هذا الحفيد إلى ديانة مصر وليس إلى الدين الذى أوحى إلى موسى خصائصه ومقوماته، وعقائده وتشريعاته وهو دين الله كما وصفه القرآن وأعلنه الوحى الإلهى كما يتكون جسم القصة من خطة نمت بين الجد والحفيد الأمير، القائد العسكرى الماهر لجده الفرعون رمسيس الثانى « وكانت خطة تهجير العبرانيين مرسومة بين الفرعون رمسيس الثانى وحفيده وقائده موسى(!)، وتضرب عصفورين بحجر واحد (!)، فتخلص المصريين من العبرانيين(!) الذين غالباً ما كانوا قد عمدوا إلى التجسس على مصر ومساعدة الهكسوس في العودة إلى حكمها كما أنها كانت ترمى إلى إخلاء أرض كنعان من سكانها الذين تسرب إليهم الهكسوس وصاروا - كما كانوا - منهم، مع توطين العبرانيين في هذه الأرض »[1] .

ومع أن العشماوى كما سيأتى ذكره بعد قليل ادعى أن النواة حرفت نسب موسى وقلبته من مصرى إلى عبرى وغير ذلك إلا أن العشماوى يذهب ليسلم

---

(١) مجلة أكتوبر «الأصول المصرية لليهودية» مقالة بتاريخ ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٠ ص٢٤ .

للتوراة الحالية بما ينكره الإسلام عليها ورفض نسبته إلى موسى عليه السلام الا وهو الإبادة الكاملة لسكان كنعان، فيزعم العشماوى أنه « لأسباب سياسية، وأغراض أمنية لا لأهداف دينية، وأعمال شرعية، كان هجوم موسى بجنوده من اللاويين (العبرانيين ربما) على سكان كنعان، وإبادتهم ، وحرق مدنهم،وتدمير حصونهم، ومن ثم فإن فعله هذا يتعين أن يوضع في إطاره التاريخى الصحيح(!) وأن يوصف بوصفه العسكرى الظاهر حتى لا تختلط السياسة بالدين ولا تتدخل الحروب مع الشريعة »[1]!!

وهذا النص يحكمه التناقض، وتتكون لحمته من سخافات العشماوى وجنون خياله الفاشل، فموسى عليه السلام فوق أنه لم يرسم خطة مع الفرعون لتهجير بنى إسرائيل، فإنه أيضاً لم يقم بعملية إبادة عسكرية لسكان كنعان كما زعم العشماوى بناءً على التوراة المحرفة، التي يجعل حقائقها مزيفات، وتحريفاتها ثوابت تاريخية !

ولسبب محاولة العشماوى فصل الدين عن الدولة، والشريعة عن النظام فإنه يجد هنا فرصته الثمينة ومن نص توارتى مُحرَّف وليس حقيقياً وتاريخياً، ليقول لنا بأن ما فعله موسى من الإبادة المزعومة لكنعان لم يكن عملاً دينياً ولكن عملاً اقتضته السياسة والأمن وكان الدين لا سلطان له على الأعمال الكبرى السياسية والأمنية وما يفعله العشماوى هنا هو بسبب إيجاد المبررات العلمانية للدولة الحديثة لعزل الدين عن الحياة السياسية والاقتصادية وغيرها من الحيوات التي قطع صلتها بأصول الدين والشريعة وربطها بأصول وثنية ومعرفة ادعى أنها كونية وهى في الحقيقة ماسونية مغرضة تهدف في النهاية إلى القضاء على الدين والدولة والشريعة والنظام معاً !!

---

(١) مجلة أكتوبر ،الأصول المصرية اليهودية (١٤) أرض المنفى، ١٧ ديسمبر ٢٠٠٠ ص١٧ العدد ١٢٦٠ .

إنه يقضي على الصورة التاريخية والنبوية والإنسانية: لموسى عليه السلام - كما يقضي على كل الصور النبوية الأخرى! وذلك باختراع أسطورة عجيبة تفتقت حيله وخياله المريض الزيف عنها فطمس ولفق، وعبث وبتر، وغالى وخرف وقال بأشياء غريبة لا مصدر لها إلا أم رأسه وزيغ العقل العلماني الذي يسكنه الجنى الغربي !

تحت عنوان «موسى المصري» أكد العشماوي في جرأة القاضي المدقق أن أفكاره عن الدين والنبوات وعن قصة موسى لم تكن خيالية إنشائية، إنها أفكار «بعيدة عن العواطف الجامحة(!) والتطرفات اليقينية(!) والعنصرية الحمقاء(!) والاعتقاد الأعمى»[1]

إذن لنختبر أدلته اليتيمة وبراهينه العجيبة ! ، فمن مصرية موسى وأنه ابن ابنة فرعون رمسيس الثاني على الحقيقة وأنه حفيده على الحقيقة يلتمس العشماوي دليله من التوراة التي قال هو نفسه عنها بأنها زيفت أصل موسى فيقول « والذي يؤكد أن موسى كان مصرياً في الشكل والملامح واللغة والتصرف أن ابنتي كاهن مديان قالتا لأبيهما عنه (رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة) خروج ٣:١٩ [2] ولا يمكن أن تكون الفتاتان قد وصفتاه بأنه مصري لمجرد أنه كان يرتدي زياً مصرياً. فالزي وحده لا يكفي. ولي حالة موسى فإن هروبه من مصر إلى مديان لابد أن يكون قد ذهب بزيه المصري واضطر إلى لبس زي بدوي يتناسب مع البيئة الصحراوية ويخفي هويته عن شرطة فرعون (!) لكنه كان متهماً حكماً بأنه مصري، من قسماته وحركاته ولغته ولهجته»[3] .

وأنا أقول للقارىء الكريم: إن دليلي على عدم قبول العشماوي الحق وعدم

---

(١) مجلة أكتوبر، الأصول المصرية اليهودية (٦) حقيقة موسى ، ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٠ ص٣٢ العدد ١٢٥٢ .

(٢) الإحالة خطأ، فهو الإصحاح الثاني من الخروج وليس الثالث .

(٣) المرجع السابق .

حكمه بالعدل (الصفات التي وصف بها العشماوى كما أشار إليها هو في إحدى مقالاته) دليلى هو تلاعبه بالنصوص التي تتناقض تماماً مع السيناريو الأسطورى الذي رسمه لموسى عليه السلام .

ويمكنك أخى القارىء ضبط العشماوى متلبساً بالتلاعب بالأقوال والاستخدام الخفيف .

فموسى في أسطورة العشماوى إنما هو حفيد الفرعون وقائده المقرب والمتفق معه على طرد بنى إسرائيل من مصر فكيف يكون من هذا شأنه هارباً في الصحراء ومن شرطة جده وحليفه العريق !

إن المقطع الذى استشهد به العشماوى لا محل له من القصة الخيالية التي ذكرها، فهو مقطع هروب واختباء عن شرطة فرعون فكيف يجمع النقيضين، وتلتحم القصتان ويتوافق الحدثان؟!

أم أن العشماوى، القاضى، البارع في تلفيق القضايا الكبرى، وخداع الناس بفعلته هذه يستغفل قراءه والتاريخ في آن واحد !

كما هو شأن العلمانية دائماً، التواء وطمس، وتحريف وتزييف، وتبجح وغرور فارغ، إن الأكاديميين يبحثون عن الأدلة العلمية الرصينة، والقانونيين يحتاجون إلى براهين ساطعة كالشمس المطلة على الكون، والطلاب ليسوا مغفلين بهذه الصورة التي هى من الجهل بمكان !

والدليل الذى استدل به العشماوى على مقصوده متناقض مع سيناريو العشماوى نفسه كما أنه ليس دليلاً قرآنياً يمكن الاعتماد عليه، فضلاً عن أن الأنساب لا تؤخذ من ظنون الناس وأوهامهم، خصوصاً ظنون أمثال العشماوى الذي سرعان ما ربط بين قولة ابنة رجل مديان في التوراة وبين افتراءاته الشنيعة من أن موسى هو حفيد الفرعون رمسيس الثانى وهو مالم تنطق به هذه الابنة الكريمة أو حتى التوراة الحالية!

لكن العشماوى «فارس المتناقضات» يحتاج إلى دليل - أى دليل .. ! - على تثبيت خياله المريض على مرآة الواقع .. ما أدى إلى وقوعه في هذا الخلل العلمى وهذا الاضطراد التعسفى فأين الموضوعية والنقد العلمى البرئ ؟! وأين التمحيص الفعلى للحقيقة وعناصر الموضوع؟ وأين المصادر والمراجع التاريخية والحجرية والإجراءات العلمية والدقيقة؟

لا شيء من ذلك عند القاضى المستشار ولا عند العلمانى على العموم !! أليس العشماوى هو من قال بأن الخلل الذى يحدث الصراع ويديم النزاع وينشأ الاضطراب هو « تفسير النص الديني في كل الشرائع، بعيداً عن ظروفه التاريخية وفصله عن سياقه النصى »[1] فلماذا يفصل نص ابتى رجل مديان عن سياقه التوراتي أو القرآنى ولماذا يضع له ظروفاً أخرى يدعى أنها التاريخ الحقيقي لموسى عليه السلام ؟!

أم أن الضلال لا حد له كما قال ابن تيميه ،رحمه الله « الضلال لا حد له، وإن العقول إذا فسدت، لم يبق لضلالها حد معقول، فسبحان من فرق بين نوع الإنسان؟ فجعل منه من هو أفضل العالمين، وجعل منه من هو شر من الشياطين»[2]

وضلال العشماوى تجاوز كل ضلال، فهو يجعل من الوثنية توحيداً لا يفهمه إلا الخواص، ومعرفة كونية لا يطّلع عليها إلا المخلصين !

كما يجعل من موسى فرعوناً ومن فرعون موسى، أقصد يجعل فرعون على قمة الحضارة كما يجعله جداً لموسى وانعكاساً للإله على الأرض! ومعلوم « أن فرعون من أشد الناس كفراً بالله، بل لم يقص الله في القرآن قصة كافر باسمه الخاص، أعظم من قصة فرعون، ولا ذكر عن أحد من الكفار كفره وطغيانه وعلوه أعظم مما ذكر عن فرعون، وأخبر عنه وعن قومه أنهم يدخلون أشد العذاب»[3] .

إن المستشار العشماوى هو وطائفة من العلمانيين المنحرفين يقومون بأعظم عملية

---

(١) مجلة أكتوبر ، ٢٠ يناير ٢٠٠٢ العدد ١٣١٧ . (٢) مجموعة فتاوى ابن تيمية جـ٢ ص٣٥٧ .

(٣) مجموعة فتاوى ابن تيمية جـ٢ ص١٢٥ .

تخريبية للدين في التاريخ انسياقاً وراء الفكر العلماني الغربي الذي عبث بالوحي وألغى ثوابته وعزل مواده ونصوصه ويتر حقائقه ودلالاته ودمر مقدساته ورجالاته.

إنهم يقومون بمحاولات تبديل الدين، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله «والتبديل نوعان : أحدهما أن يناقضوا خبره ، والثاني أن يناقضوا أمره فإن الله بعثه بالهدى ودين الحق وهو صادق فيما أخبر به عن ربه - يقصد الرسول ﷺ - آمر بما أمر الله به كما قال «من أطاع الرسول فقد أطاع الله » وأهل التبديل الذين يضيفون إلى دينه وشرعه ما ليس منه ، وهم أهل الشرع المبدل تارة يناقضونه في خبره فينفون ما أثبته أو يثبتون ما نفاه »[1] .

إن العشماوي والقمني وغيرهما لم يسألوا أنفسهم كم كان تأثير الفلسفة الوضعية والمادية عليهم وهي المنبثقة من عملية صراع تاريخية مريرة جرت في الغرب، فجزأت الحقيقة وطمست وقائع العالم وتاريخ الوجود وهدايات الوحي وسياقات النبوات والرسالات بخيالات مريضة وعنف فكري مضاد لعنف الكنيسة الغربية القديمة وباستقطاعات تاريخية زيفت دلائلها ومسخت معالمها وبنظرة أحادية للتاريخ والإنسان والغيب والشرع .

حقاً، إن الأمر كما قال الشيخ محمد الغزالي - الذي لم يفهمه كثيرون للأسف![5] - فإن « الماديين يستطيعون أن يزعموا أي شيء، إلا شيئاً واحداً، هو أن تفكيرهم المعطل المظلم يعتمد على أثارة من علم »[2] .

---

(١) النبوات لابن تيمية ص١١٦ .

(٥) في أوروبا، يدمر شباب السلفية تاريخ وفكر هذا الرجل الفذ لوجود أخطاء اجتهادية عند الشيخ رحمه الله مع أن هؤلاء يقلبون موازين الأمور وينفضلون الحديث عن السن الصغرى ويتركون السن الكبرى ليخربها علمانيوا اليوم، فلا وجود لفقه أولويات ولا حفيت لفقه الواقع ولا وجود لمطاردة للكفر العلماني كما فعل ابن تيمية قديماً مع الفكر اليوناني والمتفلسفة العرب وأصحاب الحيل والمتصوف المنحرف والمخالفات أهل الكتاب، فقط يهتمون بتحبيب الغربة قبل تفهيمها وعزلها عن العالم وتلقينها ستاً يوجد ما هو أولى منها في التفهيم وهو غفلة عن منهج السلف الكرام.

(٢) ركائز الإيمان للغزالي ص٦٢ .

لقد شبَّه الشيخ محمد الغزالي هذه العقول السخيفة بالمداخن تنفث سوادها، هنا وهناك لكن في النهاية سوف يغلب الشعاع كل دخان (١) .

لكنه رحمه الله يحذر بأن « الغزو الثقافي أنكى من الغزو العسكري واحتلال العقول أمضى من احتلال الأراضي »(٢) .

إنهم يخترعون النظريات، ويرسمون ملامح فصولها وشخوصها بما يتناسب مع مخططاتهم التجريبية للدين .

إن العشماوي بعد أن ينسب لموسى عليه السلام نسباً فرعونياً، ودِيناً وثنياً يعتمد على السحر والكهانة وعبادة الأشخاص والرموز والأوثان، وبعد أن اخترع له خطة مدهشة بارعة لإخراج بني إسرائيل من مصر، زعم كذلك أن موسى عليه السلام رجع إلى مصر بعد أن سيطر عليهم بكهته وبالسحر أربعين سنة كاملة وأعطاهم أرض كنعان بعد أن قام بتدمير مدنها وإبادة شعبها .

« بعد أن قضى موسى على الرعاة (العبيرو) في أرض كنعان، وأمَّن مصر من كل هجوم، ونقل العبرانيين إلى أرض كنعان بعيداً عن أرض مصر، فقد انسحب في هدوء، واختفى دون أن يلحظ أحد اختفاءه، وعاد إلى مصر، وحده أو مع كوكبة من جنده »(٣)!!

لم يأتِ القاضي المستشار على خرافاته هذه ببرائحة دليل، فموسى قضى، وأمَّن، ونقل، وانسحب، واختفى، وعاد، في آلية أسطورية عجيبة، لكنه قد يستخدم نصاً من هنا ونصاً من هناك لإقامة نظريته التي ليس لها مصدر إلا مداخن عقله الأسود، وتفاهات فرويد وغيره ممن تأثر بهم العشماوي «وبعد أن أتم موسى تحقيق أهدافه ترك العبرانيين إلى تابعه يوشع(٥) واختفى بما تُعبِّر عنه التوراة بأنه

---

(١) علل وأدوية ص١٣٩ . (٢) المرجع السابق ص٢٠٦ .

(٣) مجلة أكتوبر نقلاً عن مقالة العشماوي الأصول المصرية لليهودية (٩) شريعة موسى ١٢ نوفمبر ص٢٩ العدد ١٢٥٥

(٥) زعم آخرون أن موسى قتل على يد يوشع كالقمني وفريد أما أحمد عثمان فيقول إنه مات في معارك !

انضم إلى قومه، وعاد إلى مصر دون أن يرى أحد موته أو رحيله»[1] .

وأنت ترى أخى القارئ، كيف أن العشماوى يقيم نظريته على تلفيق وخيال مريض، وبعض النصوص التي تُخبر عن أشياء مختلفة لتخديمها لمعطب فكره وزبالة عقله فما عبرت عنه التوراة هو أن موسى انضم إلى قومه أى أنه عند موته انضم إلى قومه من الأموات، لكن العشماوى انتزع النص من سياقه وزعم بأن مقصد التوراة من القول بانضمام موسى إلى قومه المصريين بعد أن حقق أهدافه المتخيلة في الذهن العشماوى الصبياني، يقول «كان موسى قد حقق أهدافه، فأمن حدود مصر من البدو الهكسوس، وأخرج العبرانيين من أرض مصر، وتوهمهم (!) في صحراء سيناء حتى مات كل من خرج معه ولم يبق إلا الأجيال الجديدة التي انقطعت كل صلة لها بأرض جاسان وأصبحت تتطلع إلى الأرض التي قيل لهم إنهم وعدوا بها .. وهو ما يبرر لهم التشرد في الصحراء زمناً، والإخراج من مصر رغم أنوف آبائهم. خاصة مع الأمل أن يكونوا مع الوقت، ومع الأجيال الجديدة، قد صاروا ن المؤمنين بالله وشريعته، فيصيرون بذلك مستعمرة مصرية»[2] .

فالخطة التي رسمها الحفيد مع الجد قد تحققت تماماً في عقل العشماوى وأرضيته الخصبة بالفكر الأسطورى والعقل الوهمى (أو بالحقيقة اللاعقل!) وهو يعتبرها دراسة علمية رصينة تؤيدها الدلائل العلمية والبراهين الكونية والحقائق التاريخية .

في حين أنها زيغ عقلى وخلل فكرى وباطل لا آخر له وشائعات علمانية وأساطير حديثة ومجموعة من الأوهام والتخليطات وخيال صيانى وكلام موغل في الكذب فأين في التاريخ ما يؤيد وجهة نظر الدراسة في أن المصريين أرادوا إخراج العبرانيين، وتم ذلك بواسطة موسى»[3] الذي زعم العشماوى أن جده هو الفرعون رمسيس الثاني وأنه تحرك بناء على خطة الفرعون ورضا الشعب! وضغط

---

(١) مقالة العشماوى في مجلة أكتوبر، الأصول المصرية(١٤) لرفض المفتى ١٧ ديسمبر ص١٧ .

(٢) مقالة الأصول المصرية لليهودية (١٢) الشريعة والقانون ص١٤ العدد ١٢٥٨، ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ .

(٣) مقالة العشماوى ،(الأصول المصرية لليهودية) (١٦ مزامير داود ٣١ ديسمبر ص٢٧ العدد ١٢٦٢ .

الجنود المصريين الذين - بزعم العشماوى ، طبعاً ! - كانوا تحت إمرة موسى فالعبرانيون « اضطروا إلى الخروج تحت تأثير قوة الجنود المصريين الذين كانوا تحت قيادته »[1] .

وهذا يعنى أن الخطة اشترك فيها الشعب والجنود والجد والحفيد، وكما عنى النص التوراتى الذى يقول بأن موسى انضم إلى قومه عند العشماوى بأنه انضم إلى جنسه وشعبه المصرى! فقد عنى نصاً آخر توراتى أيضاً أن مكانة موسى عند قومه المصريين - بزعم العشماوى تدل على أن موسى لا يمكن أن يخون وطنه وناسه وأهله، يا سلام عليك يا عشماوى يا فتى مصر ويا من يقف للصهيونية -هو والمنى- بالمرصاد !!

فتعقيباً على خروج ١١ :٣ (نص توراتى) يقول بأن موسى كان عظيماً جداً في أرض مصر يقول العشماوى « ومن كان هذا وضعه في مصر ولدى المصريين، لا يمكن أن يرتكب خيانة(!) ضد بلده، ولا جريمة (!) ضد مواطن له، لكن تقدير المصريين له كان على اعتبار أنه بطل قومي، وداعية ديني، ورجل سياسي، وأمير حربي، ولعل خروجه الأول من مصر إلى مديان كان عملاً للاستطلاع والاستخبار عما يفعله الهكسوس والرعاة، لإعادة غزو مصر واحتلالها واستمرار تملكها كذلك »[2] .

هكذا كلما احتل الخيال الواسع عند العشماوى مساحة كبيرة في رأسه كلما ضاق عقله وفقد رشده، فانقلب التاريخ عنده رأساً على عقب في ضبابية كثيفة تفاجئك دائماً بما لم تكن تتوقعه فموسى مصرى، وهو بطل قومي، وداعية ديني على الصورة المصرية الفرعونية القديمة التي هي تجليات وثنية وانعكاسات كونية وأصول أولية «فمصر أم الدنيا» على معنى أنها الأصول في الدين... وأنها

---

(١) المرجع السابق .

(٢) مجلة أكتوبر المصرية، مقالة العشماوى تحت عنوان :شريعة موسى، الأحد ١٢ نوفمبر ٢٠٠٠ ص٢٩ العدد ١٢٥٥ .

الفصل في الحكم على كل ما يتصل بالكونيات»[1] .

فالتجلى الإلهي ظهر في أشكال متعددة وأسماء متغيرة ووثنيات مصر لم تكن وثنيات وإنما هي هذه التجليات التي لا يفهمها إلا الخواص الملسون كالعشماوى القاضى نوارة الدفعة !

كذلك فهروب موسى من مصر لم يكن هروباً وإنما كان خطة تجسس!!

- هل تحتاج الخطة لهذا الزمن الذى قضاه موسى في مدين وتزوج فيه؟!

ألم يقل العشماوى منذ قليل « وفي حالة موسى فإن هروبه من مصر إلى مديان لابد أن يكون قد ذهب بزيه المصرى واضطره إلى لبس زيٍّ بدوى يتناسب مع البيئة الصحراوية ويخفي هويته عن شرطة فرعون »[2] .

وأنت أخى القارئ ترى أن أدلة العشماوى ضعيفة ومتناقضة وملتوية ومستخدمة لأغراضه المبيتة ، التدميرية !

وقد أريتك أخى الكريم كيف أن العشماوى لعجزه عن إقامة نظريته بالأدلة العلمية والوثائق المادية ذهب يلوى عنق نصوص حالية للتوراة كنص انضمام موسى إلى قومه المنزوع من سياقه وكذلك نص أن موسى كان عظيماً في مصر الذى استخدمه العشماوى للتدليل على نجاح الخطة التي وضع الشعب أمله في المخطط لها أي موسى البطل، الداعية والقومى، ابن ابنة الفرعون رمسيس الثانى بزعم مستشار محكمة أمن الدولة، القاضى العادل، فتى مصر الوفى !

ولاختصار المسافات، ولخداع القراء يلقى العشماوى - فتى مصر - القول الزور على عواهنه فيقول كذباً وزوراً « السياق التوراتى للتسلسل النصى، يقطع بأن ذلك

---

(١) من كلام العشماوى ، مقالة الأصول المصرية اليهودية (٢٤) مصر هى الأصل والفصل، ٢٥ نوفمبر ٢٠٠١ العدد ١٢٧٠ ص٢٥ .

(٢) مقالة «موسى المصرى» ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٠ ص٣٢ بمجلة أكتوبر للعشماوى .

كله كان في الأساس عملاً عسكرياً لموسى(!)(٥) ، قصد به، على ما سلف- تهجير العبرانيين ... من أرض جاسان من مصر إلى أرض كنعان»(١) .

أى تسلسل أيها المستشار ؟!

يبدو أن العيش ليس خاصاً بمرحلة معينة تكون على الأغلب مرحلة الشباب، فالعشماوى نوارة الدفعة يشطح كثيراً ويسرف ويهزى ويقول ما يعلم أنه زور وكذب فالسياق التوراتي هو على عكس خرافات العشماوى تماماً وعلى النقيض منه أبداً.

وليس هناك من عمل عسكرى لموسى قصد به إخراج العبرانيين من مصر بالاتفاق مع رمسيس الثانى، جد موسى بزعم فتى مصر المزوّر !

الداعية الساحر!

هل تفاجأ أخى الكريم عندما يقول لك أحدهم إن موسى كان ضليعاً في السحر، وإنه كمصرى استطاع أن يسيطر على بنى إسرائيل في عملية إخراجهم وتوطينهم بالسحر!؟ إن هذا هو ما يقوله العشماوي !

ثم ألا تأخذك الدهشة عندما يقوم أحدهم بمحاولة إثبات ذلك من القرآن يقول « وقد كان موسى ضليعاً فيما يسمى السحر، وفي ذلك يقول القرآن على لسان فرعون ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾طه:٧١ ومن ضروب السحر ما يسمى بالتخييل أي القدرة التي يملكها شخص قوي للإيحاء إلى الآخرين بما يخيل إليهم،

---

(٥) ومع ذلك يقوله الذي يثبت أن قصة موسى، على نحو ما كتبها كتاب التوراة، قصة خالية (!) إن لم تكن مختلق(!) بقصد قطع صلة ونسب وعقل وروح موسى من مصر، ويطهاها اختلاقاً واصطناعاً بالعبرانيين ... فنص الوارد في سفر الأعمال (العهد الجديد) منه أن موسى نبذ أى صار منبوذاً في بيت أبيه العبراني (افتراضاً) كانت تلك دلالة على أن موسى لم يكن عبرانياً قط ولأنه طرد من بيت أبيه، رمزاً لجماعة العبرانيين بسبب أنه ليس منهم » مقالة (حقيقة موسى) مجلة أكتوبر ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٠ص٣١ .

(١) مقالة العشماوى ، الأصول المصرية لليهودية (١٣) أرض الميعاد، ١٠ ديسمبر ص٢٤ العدد ١٢٥٩ .

وما يتخيلون وقوعه وتحققه، وما هو إلا إيحاء في رؤوسهم، وإلى جانب هذا الإيحاء وبعض أعمال السحر، فإن موسى استعان بمملكة الكهانة التي أنشأها ـ!) وحصرها في هارون وبنيه من اللاويين المصريين(١)[٥]، واستطاع سلطان الكهانة الطاغي أن يُشكم العبرانيين وأن يسكت ثوراتهم الواحدة تلو الأخرى[٦]!!!

فالسحر للسيطرة إذا فرغت القلوب من العقيدة، هذه هي نظرية المستشار الذي كان رجلاً مهماً في محكمة أمن الدولة، يقول «إن العبرانيين لم يريدوا الخروج ولم يقبلوه وجادلوا موسى فيه قبل أن يبدأ... ولو أنهم اعتقدوا أن الخروج كان بناء على رغبة وأمر إله آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، لما تراخوا عنه»[٧]! وفي الحقيقة فإن بني إسرائيل خرجوا مع موسى عليه السلام وهم يعلمون أن الله عز وجل هو الآمر وأن موسى عليه السلام هو النبي، لكن العشماوي يقلب الحقائق ويطمس معالم التاريخ فيزعم أنهم لم يكونوا يعرفون رباً للبشرية كلها ولا عرفه آباؤهم، وأن موسى بعد أن سيطر عليهم بالسحر ومملكة الكهانة التي زعم أنه أنشأها أعطاهم تصوراً مصرياً عن الدين أدنى من التصور الأصلي حتى لاتختلط الأديان ويكون العبد كالسيد! «ومع الوقت بدأ يتضح أن موسى نقل كثيراً من عناصر اليهودية عن مصر وعن إخناتون باللات»[٣] يقول ذلك باعتبار أن موسى حفيد رمسيس الثاني ودينه دينه وعقيدته عقيدته! رجع العشماوي إلى عادته الرديئة في استخدام النصوص التي ليس فيها واضحة دليل على خزعبلاته وخرافاته، فزعم

---

(٥) يزعم العشماوي أن «إخوته لهارون لم تكن إخوة دم بل كانت إخوة عقيدة ففي مصر كان أصحاب المعتقد الواحد يرون أنهم أخوة في الله، وهي الفكرة التي إقتبسها فيثاغورس الإغريقي وسمى مجموعته «الإخوان الفيثاغوريون» ثم سارت على هذا النهج «الإخوان المسونيون» و«إخوان الصفا» وغيرهم سلالات «حقيقة موسى» ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٠ ص٣١.

(١) مقالة العشماوي ، الأصول المصرية لليهودية (١٢) الشريعة والقانون، بمجلة أكتوبر ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ ص١٤ العدد ١٢٥٨.

(٢) مقالة العشماوي في مجلة أكتوبر ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٧ ص٢٤.

(٣) مقالة البداية والنهاية مجلة أكتوبر الأحد ١١ مارس ٢٠٠١ ص٢٤.

أن ما ورد في القرآن على لسان فرعون للسحرة الذين تابوا للتو، إنما هو حقيقة قالها الفرعون باعتبار أنه جد موسى ويعرف عنه أكثر مما يعرف السحرة عن أنفسهم!

إنني متأكد أن القاريء الكريم يعرف تماماً أن العشماوي يهرف بما لا يعرف، ويشاركني الرأي أنه إما أن يكون العشماوي قد أصابه الجنون والخبال وإما أنه مريض محتال! وإلا فما شأن تهديد الفرعون المزعور للسحرة، التهديد بإطلاق الأكاذيب التي منها - بزعمه - أن موسى هو معلمهم الكبير والمدبر معهم الخطة بليل للإنقلاب عليه ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(الأعراف:١٢٣،١٢٤). وهو قول الحاكم الذي يشعر بالخطر فيبدأ بنشر الأكاذيب والأراجيف والإشاعات والتهاويل ثم ينتهي بالقتل والتعذيب والتنكيل والتشريد، والسجن والحبس! لكن العشماوي يحجب ذلك كله، ويقوم بدور الفرعون، بل يجعل من قول الفرعون الذي قاله تهديداً وتخويفاً (وهو يعلم أنه يكذب) يجعل العشماوي من هذا القول (حقيقة تاريخية ودليلاً موضوعياً) لإضافته إلى أسطورته الخيفة وأطروحته الماكرة!

مدعياً أنه يقوم بتحليل علمي «في تفسير مهمة موسى تفسيراً جديداً»[1] ويظن العشماوي انه أتي بما لم تأت به الأوائل والمدهش انه يزعم أنه «فتى مصر» العلاّمة! ومنهجه هو منهج التلفيق والطمس، يقول «ومن ضمن ما تعلمه موسى... قواعد التأثير في العالم المادي الأسلوب الذي لا يعرف الناس أكثر قوانينه، ومن ثم سموه سحراً. وهذا العلم الذي يسمى بالسحر كان معروفاً، علمياً وعملياً لدى الكهنة المصريين ... وفي القرآن آية تفيد هذا المعنى، إذ يقول

(١) مقالة «شريعة موسى» ١٢ نوفمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٥.

فرعون للكهنة ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾[طه:٧١] وهو ما يعني أن موسى كان ضليعاً في السحر المصري القديم»[١]

إن ديدن العشماوي في كتاباته ضد ما أسماه الإسلام السياسي هو إتهامهم بنزع النصوص عن سياقها وإتباع قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وأنهم يكتبون إنشاء وليس علماً!

وهنا في هذا المثال - وعندي مثله عشرات الأمثلة بين العكس تماماً، فالعشماوي هو من يقوم بقلب الحقائق وعكس الأدلة ونزع النصوص على سياقها الخصوص! وفوق ذلك الكذب على الأنبياء، وذلك بعد تحويلهم إلى كهنة لديانات أخرى كما فعل علمانيون كثيرون!

إن ما جاء به موسى عليه السلام لم يكن سحراً تعلمه من مصر، ولم يكن هذا النبي الكريم ضليعاً في السحر والقرآن يؤكد أن موسى قبل قول الله «وما تلك بيمينك يا موسى» لم يكن قد عرف ماهية الآية الربانية ولا التمكن المزعوم في السحر! والعشماوي لم يأتي بدليل واحد على أن موسى تعلم السحر في مصر على كهنتها وسحرتها، والقرآن يذكر أن موسى كان يُصنَع على عين الله ومراقبته، فلا يمكن والأمر هكذا أن يجعله يؤمن بوثنية وسحر وكهانة وكفر، بل مثل موسى عليه السلام لا يمكن أن يكون حفيداً لطاغية مصر القديمة فرعون المشئوم.

إن الذي جاء به موسى هو الحق من الله عز وجل، كان نبياً رسولاً، مقرباً من الله ومخلصاً له، لا مقرباً من فرعون ومخلصاً له. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾[مريم:٥١-٥٣] .

---

(١) مقالة العشماوي «موسى المصري» الأصول المصرية للبهودية (٦) ٢٢ أكتوبر ٠ ٣٣ العدد ١٢٥٢.

إن الذي جاء به موسى لإبطال سحر السحرة كان «آية ربانية» و «معجزة إلهية»، هذه الآيات الإلهية كانت باهرة وتعجيزية إن صح التعبير لسحرة مصر فعلموا أنها من الله عز وجل وأن موسى نبياً ورسولاً، والساحر يعرف الفرق بين السحر وغيره، وكما قال ابن تيمية فإنه «ليس من جنس مقدورهم فآمنوا إيماناً جازماً»[1] ولا شك أنهم قد درسوا دعوة موسى وعلموا صدقها ولما رأوا الآيات المادية على صدقه آمنوا للتو ما جعل فرعون يستخدم أسلوب التهديد معهم.

وهم أدرى الناس بما في السحر من كذب وفجور وأن السحر يجد له مكاناً رفيعاً في الحضارات الوثنية، فالشرك والكذب والسحر والفجور يفرخون الدكتاتوريات التي لا تدع للنبوة والرسالة والدعوة طريقاً للإنسان وسبيلا لأبناء آدم.

إن الفرق بين النبي والساحر - كما قال ابن تيمية - أعظم مما بين الليل والنهار[2] والتسوية بينهما ضلال بيّن «ولهذا لما مثلوا الرسول بالساحر وغيره قال تعالى «انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا»[3] «فمن جعل النبي ساحراً ومجنوناً - يقول ابن تيمية - هو بمنزلة من جعل الساحر أو المجنون نبياً، وهذا من أعظم الغربة والتسوية بين الأضداد المختلفة... فإن الفارق بين النبي والساحر أو المجنون أعظم من الفرق بين العاقل والمجنون»[4]

العشماوي رجل القانون!، يجعل من موسى فرعوناً ابن فرعون «ابن ابنة الفرعون رمسيس الثاني»! بل يساوي بين الفرعون والنبي موسى في الاعتقاد!

فثقافة موسى الدينية مصرية - بزعم العشماوي، وقد زعم ذلك في يوسف

(١) النبوات ص٣٢. (٢) النبوات ص٢٧٧.
(٣) النبوات ص٢٣. (٤) النبوات ص٢٧٧.

عليه السلام وإبراهيم عليه السلام(*)، وقد استخدمها مع السحر في إخراج بني إسرائيل من مصر! «اضطروا إلى الخروج تحت تأثيره ... ولما بدأتمرد العبرانيين عليه وتكررت ثورتهم هذه إضطر إلى اللجوء إلى ثقافته المصرية (!) فقال لهم إن الإله قد اختارهم (!) شعباً له(**) وانه وعدهم أرض كنعان ليقيموا فيها، وذلك بلا شك مزج للفكر الديني بما له من دفعة وما فيه من دقة(!)، بالهدف السياسي والغرض القومي، مما كان له أثر عميق على اليهودية منذ البداية فأضفى عليها صبغة أيديولوجية»(١)

(*) فعن إبراهيم يقول «وهذا الختان كان معروفا في مصر أكثر من أربعة آلاف سنة قبل زيارة إبراهيم لها ... وقد عرفه إبراهيم من مصر، كما عرف تحديد الألوهية بالتجريد وعدم التشبيه ... إن الصابئة أبلغ وأصدق دليل على تأثير مصر على ابراهيم، إذ يستحيل أن يجيء إليها ويقيم فيها ثم يخرج منها دون ما أثر»!! مقالة «عهود الآباء» (ب) مجلة أكتوبر ٨ أكتوبر ٢٠٠٠ ص٣١ العدد ١٢٥٠ أما صاحب كتاب وحد التوراة «موسى مطلق إبراهيم» فيقول في كتابه هذا «إبراهيم كان شخصية مقدسة في ميثولوجيا بلاد الرافدين» ص٣٨. وعن يوسف عليه السلام يقول العشماوي «فثقافة يوسف ثقافة مصرية وعلمه علم مصري» من مقالة يوسف الصديق (ب) الأصول المصرية لليهودية (٢) في مجلة أكتوبر ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٠ ص٢٧ العدد ١٢٤٨ وفي نفس المقالة يقول «وثمة عبارة في التوراة تفيد أنه درس في معبد أون» ص٢٦. وفي مقاله أخرى بتاريخ ١٧ سبتمبر ٢٠٠٠ ص٢٣ عن يوسف أيضاً يقول «بل إنه اعتنق العقيدة المصرية السليمة عن التوحيد بالله»!! من هنا بدأ العشماوي في هدم حقائق التاريخ يقول في نفس المقالة ص٢٢ «ولأن يوسف الصديق هو أقوى الحلقات وأهم الصلات بين المصريين والعبرانيين الذين صار منهم اليهود ، فإن الابتداء بدراسته شخص وحياة وعمل وعقيدة، أمر لا صارف عنه في شأن دراسة تتعقب الأصول المصرية في اليهودية(!) وتترسم الخطوات المصرية، في الفكر الديني والاجتماعي لليهود» وفي ص٢٧ يقول «... ألا يعني ذلك أن يعقوب كان يقصد في الحقيقة سيناً للقبيلة أو سيناً لأبيائه دون أن يقصد الله الواحد الأحد الذي عرفه المصريون منذ قديم الزمان، وعرفه يوسف في معبد أون؟ وهو يعني أن إله يعقوب هو إله قبيلة!!!

(**) شفيق مقار ذهب أيضاً لهذا الافتراء فادعى أنها «كانت حيلة موفقة لإقناع شرذام موسى» قراءة سياسية للتوراة ص١٤٤.

(١) مجلة أكتوبر المصرية الأصول المصرية لليهودية (١٤) أرض المنفى للعشماوي ١٧ ديسمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٦٠ ص١٦.

يضيف «نوارة الدفعة» «فتى مصر» «القاضي العدل» : أنهم أدركوا أن موسى يداعبهم بهذه الفكرة وتلك ، ويلاعبهم بهذا القول وذاك، حتى يتم له نقلهم إلى أرض كنعان المنفى، فقاوموه وعارضوه وثاروا عليه وتمردوا ضده، ولم يؤمنوا بالإله الواحد الأحد الذي أطلق هو عليه ه. هـ و.ا لأنهم كانوا يعرفون أنه الإله الذي يؤمن به المصريون(!) وأن موسى يريد أن يفرض عليهم إله المصريين (مع أنه إله الناس جميعاً) كإتجاه منه لتمصرهم(!) ، أي أنهم رأوا فيما كان يفعله موسى ضرباً مما سمى بعد ذلك بالغزو الثقافي(!) الذي يمحو شخصيتهم ويُغير ثقافتهم ويفصلهم عن تراثهم القبلي(!)»[1] ويزعم العشماوي فالإله الذي عبده الأنبياء العبرانيون، يعقوب وإسحاق هو إله قبيلة وليس الإله العالمي الذي عبده يوسف من مصر - بزعمه طبعا - بعد أن تثقف بثقافة المصريين! لذلك يقول العشماوي «فالصراع بين موسى والعبرانيين من ثم، كان صراعاً على التهجير إلى أرض المنفى وصراعاً على الألوهية»[2]

وهكذا فالعشماوي في «خبطات» سريعة يهدم حقائق ضخمة، وفي أعرق المجلات المصرية مجلة «أكتوبر» (والآن يكتب في روزاليوسف!) توقف هنا وبدأ هناك!

أما عن الخصوصية التي زعم أن موسى المصري - في الأسطورة العشماوية! منحها للعبرانيين وهي قوله أن الإله قد اختارهم شعباً له فسببها اضطراره لمنحهم إياها وعزلهم فكرياً وشعورياً ودينياً لئلا يتهدد أمن مصر «والمقصد من ذلك إيجاد حاجز نفسي وحاجز ديني يمنع العبرانيين من الإنضمام إلى باقي القبائل والشعوب البدوية التي كانت في أرض كنعان، حتى لا يتهدد أمن مصر»[3]

(١-٢) المرجع السابق ، نفس المقالة، يزعم العشماوي أن تراثهم العقيدي هو اتباع التوحيد لإله القبيلة وليس التوحيد العالمي والكوني المجرد ذلك الذي آمن به المصريون منذ عصور ما قبل التاريخ المكتوب (٣٢٠٠ ق.م) ثم تم ترسيخه في عقيدة إخناتون» مجلة أكتوبر ٣ ديسمبر سنة ٢٠٠٠، الأصول المصرية لليهودية (١٢) الشريعة والفانون.

(٣) المرجع السابق نفس العدد ص١٧ على العكس من ذلك يزعم فريد أيضاً أنه كان يريد بذلك إعطاءهم الثقة بأنفسهم، انظر النبي موسى ص١٨٧.

فموسى عند العشماوي مصري، أمير فرعوني، وحفيد الفرعون رمسيس الثاني، رسم «إستراتيجية»(١) لنفي العبرانيين عن مصر ولئلا يتهدد أمن مصر عزلهم عن الشعوب البدوية بمنحهم أفكاراً عازلة كعقيدة أنهم شعب الله المختار، كما أنه بإعطاءهم عقيدة إضطر إليها موسى(٥) كاتجاه منه لتصييرهم أمكنه تحويلهم من بداوة آبائهم يعقوب وإسحاق إلى الحضارة!

بهذا الكذب العشماوي يظن المستشار انه استطاع قلب الطاولة على الإسلام السياسي وعلى المد الإسلامي العظيم الذي يقف لماسونيته بالمرصاد ومعلوم أن الماسونية حركة خطيرة أرجعها معظم الباحثين إلى الصهيونية العالمية وامتداداتها الفكرية والسرية!

لا معجزات في الخروج ولا آيات ربانية!

يزعم العشماوي أن خروج العبرانيين من مصر بقيادة موسى!، الذي جعله مصرياً وضليعاً في السحر ومنفذاً لخطة الخروج مع جده الفرعون!، يزعم العشماوي أن الخروج حدث بلا معجزات «حدث الخروج في سهولة ويسر، ولم تصاحبه أحداث مأساوية للمصريين. وهذا الذي يستفاد من النصوص(!) هو ما يقوله علماء التاريخ والدين المقارن(!)، إذ لا يجدون(!) في المخطوطات

---

(١) كما عبّر عن ذلك العشماوي في مقالته «الشريعة والفقهاء» بمجلة أكتوبر ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٨ وهي المقالة التي زعم فيها أن موسى كان ضليعاً في السحر وأن العبرانيين في التوراة نصلوه عن أصله المصري ونسبوه لهم؟

(٥) يزعم العشماوي أن بني إسرائيل الذين طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً(!) وليس هو الذي ابتدأ ذلك من عنده، الأصول المصرية للهوجية (١٠) تفصيل الشريعة، مجلة أكتوبر ١٩ نوفمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٦. وهذا الكلام خلط وتزوير للوقائع، فالله عز وجل هو الذي أرسل موسى إبتداء بعقيدة التوحيد في مواجهة العقائد المصرية الوثنية وهذا يهدم إفتراءات العشماوي من أن العقيدة التي أعطاها للعبرانيين إنما إضطر إليها وأنها عقائد مصرية يؤمن بها الفرعون الذي زعم العشماوي أنه جد موسى!

والمنقوشات والمحفورات المصرية أي دليل على وقوع أحداث بالصورة البالغة المأساة التي تصورها التوراة وهو أمر لو حدث لما أغفلته السجلات المصرية أبداً»(١)

لم يأت العشماوي على نفي معجزات الخروج بدليل صحيح مقنع، وإنما الذي أتى به بإعتباره دليل علمي وبحث موضوعي هو قوله أن ما يدعيه مستفاد من النصوص التوراتية ولم يذكر أي نص لتدعيم أكاذيبه وذلك لأن النصوص التوراتية صريحة جداً في إثبات معجزات الخروج ثم هو يعتمد على ما يقوله كثير من علماء التاريخ والدين المقارن، وأكثرهم ماديون، إذ لا يجدون دليلاً مكتوباً أو منقوشاً أو محفوراً في السجلات المصرية القديمة أو الرسوم الفرعونية المكتشفة على وقوع أحداث كهذه!، وهذا الدليل يعتبر دليلاً قوياً بالنسبة لعلماء التاريخ الغربيون الذين لايؤمنون بالدين والوحي والنبوة والشريعة فوق أنهم يحجبون الحقائق الناسفة لنظرياتهم ويعزلون الأدلة المدمرة لنتائجهم ويسترون البراهين الكاشفة لأهوائهم!

إن نفس هؤلاء العلماء أثبتوا أن كثيراً من الأسر المصرية الحاكمة آنذاك كانت تقوم بكشط التواريخ وإخفاء آثار من قبلهم ومحو أسمائهم وذكراهم وكأنهم لم يوجدوا في التاريخ قط والتاريخ المصري القديم مملوء بذلك، والعشماوي والقمني وغيرهما يعلمون ذلك جيداً لكنهم يرفضون إتخاذ ذلك دليلاً على إخفاء الفراعنة لمعالم هذا الحدث التاريخي العظيم، تكبراً وجحداً لحقائق التاريخ وإخفاء لمعالم الحجب والعزل والإخفاء والطمس!!! وذلك أنهم يعلمون أن الإيمان بمعجزات حقيقية للأنبياء يستدعي الإيمان بنبوتهم ومن ثم صحة الرسالات السماوية التي تهدم نظرياتهم العلمانية الهشة وتحرمهم من ولاء عجيب وتسليم مدهش وتقليد معجب للفكر الغربي الحديث، خصوصاً أفكار فرويد وفليكوفسكي اليهوديين

(١) مقالته في مجلة أكتوبر بعنوان شريعة موسى، الأصول المصرية لليهودية (٩) بتاريخ ١٢ نوفمبر ٢٠٠٠ ص٢٨ العدد ١٢٥٥.

اللذين أنكرا أيضاً معجزات الخروج بناء على كفرهم بالنبوات والرسالات وتبنيهم للمنهجية المادية الأحادية في التحليل القاصرة على حل ألغاز التاريخ وتفسيره تفسيراً علمياً حقيقياً!

إن كثيرين منهم أنكروا حدث الخروج، وكثيرين آخرين أثبتوا الحدث لكنهم أعطوه دلالات سخيفة ومعاني قاصرة هزيلة ومضحكة تبدو عليها آثار التلاعب الخائب والتحرّش المبيّت كما أنها تحمل في طياتها أسباب قصورها ووسائل تدميرها!

ولنضرب على ذلك مثالاً قريباً لا يذهب بنا بعيداً، وهو تعليق فليوكوفسكي على الحدث الذي زعم أنه لايوجد مصدر تاريخي صادق يدعم هذا القصص الديني(١) فيقول «إن دراسة موضوع الكوارث وترتيبها يجعلنا ندرك أنها شكل من أشكال تغير الطقس الذي يحدث عاماً بعد عام. ولا نعجب إذا كان ذلك لم يلفت نظر ولا إنتباه المصريين كحدث عادي، بالقدر الذي لم يثر انتباههم فيه حدث سنوي متكرر، لدخول وخروج البدو من حدودهم مع قطعان ماشيتهم أو ما سمي بالخروج. وربما كان الجيش المطارد قد تعرض لكارثة ليس بسبب إنشقاق البحر وانطباقه بعد ذلك، ولكن بسبب موجهة مد عاتية(!) قد ضاعفها الإعصار(!).
إذا كانت كل الوثائق والتسجيلات المصرية القديمة تجهل أن البحر قد التهم ملكهم وجيشه وعجلاته الحربية في حين بقيت أمجاد المعجزة حية في أذهان نسل الهاربين من الطغيان الفرعوني، وكرموا أنفسهم(!) بقصة عاصفة إعجازية وبحر منشق لم يشهد بحدوثه المصريون في أي من وثائقهم التاريخية؟!»(٢)

أما في كتابه «صوالم في تصادم» فقد قام فليكوفسكي بدراسة أحداث التاريخ بناء على القواعد المادية القاصرة والهزيلة.

---

(١) «صور في فوضى» من الخروج إلى الملك إيخناتون ص٤٧.
(٢) المرجع السابق ص٤٨-٥٠.

يشرح لنا الدكتور رفعت السيد(*) مترجم كتاب فليكوفسكي عصور في فوضى فلسفه فليكوفسكي ورؤيته للحدث «أول ما يخرج به فليكوفسكي من إعادة دراسة التاريخ على ضوء الكوارث الكونية هو أن حادثة خروج بني إسرائيل من مصر قد واكبت كارثة كونية وقعت بفعل حادث طبيعي كوني وهو ارتطام ذيل أحد المذنبات السيارة بالكرة الأرضية... يخرج بكل هذه الوقائع من دائرة الدين التي تعزوها إلى معجزات إلهية، إلى دائرة الكوارث الكونية(!) التي تعود إلى أحداث الطبيعة، فالخروج لا يمثل معجزة إلهية.»(١)

هذه هي أفكار الفكر العلماني الغربي والعربي، وهي كلها تصب في عملية تزييف حقائق التاريخ والتلاعب بأحداثه ووقائعه وإعطاءها تفسيراً هزيلاً له ارتباط عضوي بحقيقة الصراع المرير بين الكنيسة والفلسفة والعلم في القرون الأربعة الخالية.

بل هذه هي أفكار المستشار محمد سعيد العشاوي الذي يقوم بمحاولاته الهزيلة في نفي عقائد الإسلام وتحطيم مبادىء الإيمان وتغيير وقائع التاريخ النبوي على طول التاريخ.

إنه القاضي الذي تدل تلاعباته على ظلمه لا عدله، وعلى ظلمة أفكاره لا نورانية عقله وعلى طمسه للحقائق لا إظهارها وإعلانها في محكمة العدل البشرية إننا نذكره بقول الله عز وجل في الكفار المناوئين ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[النور: ٥٧].

فإنتظروا إنا منتظرون!

(*) رفعت السيد، من عمالقة الفكر المادي التخريبي وأحد رموز العلمانية في مصر.

(١) مقدمة كتاب عصور في فوضى ص١٨، ١٩.

الفصل الخامس

« إن صورة موسى عليه السلام، وأخيه هارون، عليه السلام في الثقافة الإسلامية - التي صاغها وصبغها القرآن الكريم - هي صورة حبيب الله .. الذي صنعه الله على عينه .. وقربّه .. واستخلصه لنفسه وجعله كليمه .. ونجيّه .. واستجاب دعاءه .. وسلّم عليه .. وجعله القوى الأمين .. وأتاه الكتاب والفرقان والسلطان .... وصورة هذا الكتاب - التوراة - في القرآن الكريم هي صورة : الإمام .. والرحمة .. والهدى .. والنور ... »

محمد عمارة

الإسلام والآخر

من يعترف بمن ؟.. ومن ينكر من ص٢٥

يذهب بعض الباحثين إلى نفي وجود الأنبياء في التاريخ، فالأنبياء عندهم ليسو أشخاصاً تاريخيين حقيقيين أي لم يوجدوا في العالم قط!

الباحث الدكتور احمد عثمان يذهب مع آخرين إلى إثبات وجودهم كأشخاص تاريخيين لكن تحت أسماء أخرى وأنساب أخرى وأهداف في الحياة أخرى أيضاً!(**) بحيث يؤكدون وجود شخوص الأنبياء في التاريخ باعتبارهم كهنة مصريين أو أمراء وملوك وجدوا في التاريخ بصفتهم مصريين أو عراقيين أو سوريين وليست لهم صلة من قريب أو بعيد بالنبوة أو الرسالة الإلهية أو الوحي الرباني!

وإذا سألتني أخي القاريء عن الفارق بين من ينفي وجودهم من التاريخ وبين الذين يثبتونهم لا أنبياء ولا مرسلين وإنما يثبتونهم أعضاء في كهانة مصرية أو عراقية أو أعضاء في مملكة أو إمبراطورية يديرون دفتها، فإن إجابتي التي

(*) أحمد عثمان من مواليد القاهرة عام ١٩٣٤ وقد حصل على ليسانس حقوق من جامعة عين شمس ثم عمل صحفياً في مؤسسة أخبار اليوم حتى نهاية عام ١٩٦٤ كتب خلالها خمس مسرحيات قدمت إحداها «بيت القياس» على خشبة المسرح الحديث قبل هجرته إلى المحترا وألفته في العاصمة لندن مع زوجته ابنة الموسيقار المراحل مدحت عاصم منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً التحق بمدارسات مسائية لجامعة لندن وشارك في أبحاث حرة في مكتبة المتحف البريطاني عن التاريخ المصري القديم كما درس علوم الكتاب المقدس وقام بتأليف ٤ كتب بالإنجليزية عن علاقة القصص القرآنية والكتاب المقدس في التاريخ المصري القديم نشرت له ٦ كتب بالعربية إحتملنا على خمسة منها هنا والسادس هو قصة الحضارة القرعونية.

(**) يقول أحمد عثمان «وبالرغم من أن بعض الباحثين الحديثين يتكرون أن يكون هؤلاء الأنبياء أشخاصاً تاريخيين حقيقيين، زاعمين أنهم مجرد شخصيات أسطورية إلا أن معاول الأثريين أخرجت لنا أخيراً العديد من الأدلة التي تؤكد تاريخية هؤلاء الأشخاص» الأصول المصرية في اليهودية والمسيحية لأحمد عثمان ص٣٣ فأثبت أحمد عثمان وجودهم باعتبارهم الأشخاص الذين لم يكونوا أنبياء قط والذين كانوا رشين على طول الخط!!

استخلصتها من هذا البحث هي أن النافي والمثبت سواء!

فمن أثبتهم كهنة وملوكاً وفراعنة قال بنفيهم أنبياء ورسلاً ورجالاً موحى إليهم من الله بحكمة وشريعة وعقيدة وعلم، ومن نفى كل وجود لهم فقد أثبتهم في الأساطير وأقر وجودهم في ميثولوجيات العهود القديمة!

والهدف النهائي هو نفي النبوة وطرد الوحي وتحطيم الرسالة وإلغاء الشريعة وقتل الإيمان وإرهاب المؤمنين وزلزلة الموحدين!

أحمد عثمان ويوسف عليه السلام !!

ادعى أحمد عثمان أن يوسف عليه السلام هو الوزير (يويا) وزير الفرعون أمنحتب الثالث، وأنه لم يكن إسرائيلياً أو عبرانياً أو نبياً أو موحداً! وهو ما يؤدي إلى إنكار وجود يوسف عليه السلام في التاريخ كما ذهب إلى ذلك صاحب الكتاب المشهور «فجر التاريخ» (عالم المصريات: بريستد) كما إنه يتساوى مع إثبات وجود زائف لهم بإعتبارهم فراعنة وثنيين أو إباحيين أو أشخاصاً مقتبسين من قصص حقيقية لها أحداثها التاريخية ما يعني أن لهم وجوداً ما في «الرواية الأصل!» أو «الأصل المقتبس منه»!!

لقد أمضى الدكتور أحمد عثمان ما يزيد على الثلاثين عاماً - في الغربة في لندن - أمضاها في دراسة التاريخ المصري القديم ومحاولة ربطه أو خلق علاقة له بما جاء في القرآن وكتب يهود (أسفار العهد القديم)، ربطاً خيشاً مغرضاً! بيد أن النتيجة المستخلصة من هذه الدراسة الطويلة الأجل والمتخصصة كانت مدهشة للغاية ومليئة بالشذرات والفجوات، ومفعمة بالتلوين، والتلفيق، والتحوير، والتبديل، وقائمة على الخيال، وفقدان السيطرة على جموح النفس، وشطط العقل، وهيجان الخيال (العلماني!)

لقد قمت بدراسة أفكار أحمد عثمان فلم أجد دليلاً علمياً واحداً يرضى به إنسان عاقل يعرف قدر نفسه وحجم الاكتشافات الأثرية وخطر صنع النظريات التي لا أساس لها ، والتي هي كثيرة كغثاء السيل وهشة كفقاعات الهواء!

إن عمل أحمد عثمان في قلب التاريخ رأساً على عقب وإعادة نسج رواياته وتفسير خيوطه بما يتناسق مع المنهج العلماني التاريخي القائم على تفسيراته اللاعقلانية وآلياته الأسطورية، إن عمله هذا يدل على فشل المناهج العلمانية كلها في فهم التاريخ وفقه مبادئه ومعرفة شروطه وأنظمته وسننه! فمادامت المناهج أحادية وجزئية وعوراء فإن النتائج ستكون قاصرة وشائهة وعمياء!، وبالتالي سيحدث خلل في صناعة الإنسان وصناعة المجتمعات!

إن الخطورة في الأعمال القائمة على هذه المنهجية الضعيفة إنما هو في استخلاص النتائج من شواهد غامضة، ومواد غير مكتملة، وأدلة لا صلة لها بتاتاً بموضوع ومادة البحث والأخطر هو طمئنة القارىء بأن البحث قائم على وثائق علمية وأدلة أركيولوجية ومصادر تاريخية. هذا هو الخداع الذي يتقنه كهنة العلمانية كما اتقنته قديماً كهانات الوثنيات الطامحة!

إن عمل أحمد عثمان الخطير هو إلغاء الصور الحقيقية التاريخية للأنبياء بادعاءات فارغة وكلمات ليست أكثر من دخان في الهواء وزفير أسود من الهباب! يقول أحمد عثمان «وكان أول ما توصلت إليه من أدلة، تتعلق بيويا وزير آمنحتب الثالث ويوسف الصديق. فقد عثرت على العديد من الأدلة والقرائن التي تؤكد أن الشخص الذي نعرفه من المصادر التاريخية باسم يويا أحد وزراء آمنحتب الثالث، هو ذات الشخص الذي وردت قصته في القرآن والتوراة باسم يوسف(٥). لم يكن

---

(٥) أما السيد أسامة عبدالمجيد يحيى فقد إدعى أن يوسف عليه السلام لم يكن يويا وزير آمنحتب الثالث وإنما هو آمنحتب الوزير المهندس الذي صمم هرم زوسر المدرج في سقارة كما في مجلة أخبار الأدب عدد يوم ١٩/ ١٠/ ١٩٩٧. انظر كتاب المغالطات للدكتور عبدالمنعم عبدالحليم سيد ص١٢٥-١٢٨.

يوسف الصديق يهودياً لأن الديانة اليهودية لم تظهر في بابل إلا بعد بضعة قرون من (عصر يوسف وموسى)، كما أنه لم يكن إسرائيلياً»[1]

فالإثبات وجود يوسف في التاريخ ذهب أحمد عثمان يبحث عن أدلة تاريخية على أساس التحليل العلماني القاصر للتاريخ بما يعني نزع أي علاقة للأنبياء بالوحي الإلهي، ونسف أي تصور ديني مبني على أسبقية عقيدة التوحيد على وجود الإنسان على الأرض!

إن الدكتور احمد عثمان يقتطع صورة مما كشفته معاول الأثريين - كما يفعل العلمانيون الذين ذكرتهم في هذا الكتاب! محاولاً ربطها بالأنبياء ثم تدمير صورهم بها، فيثبتهم وجوداً مصرياً وثنياً، ساعياً بذلك إلى تخريب وجودهم الحقيقي، وذلك بجعلهم أشخاصاً تاريخيين مصريين ليس لهم أي صلة بالنبوة والوحي والتاريخ الحقيقي لهم، أسماؤهم مختلفة وأسماء آبائهم وأمهاتهم لذلك مختلفة وعقائدهم مختلفة ومواقعهم في التاريخ مختلفة!

فيوسف هو (الوزير يويا) الذي روّج ابته للفرعون آمنحتب الثالث يقول أحمد عثمان «كانت مفاجأة لي أن أجد شبه انطباق تام(!) بين ما نعرفه عن يوسف الصديق من القرآن والتوراة، وما هو موجود في المصادر المصرية القديمة عن يويا»[2] وهو كذب سيأتي كشفه بالكشف عن حقيقة وسيرة آمنحتب الثالث!

أما ماذا يريد أحمد عثمان الوصول إليه بذلك الادعاء من التطابق التام بين يوسف عليه السلام والوزير يويا، فهو الشيء الخطير حقاً!! فأولاً يقول «أن يويا كانت له ابنة هامة في التاريخ، هي طاي التي تزوجها الملك آمنحتب الثالث وجعلها ملكته»

---

(١) الأصول المصرية في اليهودية والمسيحية ص٣٣، ٣٤ كذلك وضع هذه الأفكار في كتابه الصادر عام ١٩٨٩ بعنوان «الهروب في وادي الملوك - موسى، يوسف الصديق في المتحف المصري»!

(٢) المرجع السابق ص٣٩.

والتي أنجبت له ابنه اخناتون الشهير. ورغم أن التوراة لا تذكر صراحة أن يوسف كانت له ابنة ، فهي تحتوي العديد من الدلالات التي تؤكد وجود هذه الابنة»[1]!!! هذه الابنة طاي، صارت ملكة «طاي ابنة يويا التي صارت ملكة على مصر، عندما نعلم من القصة التوراتية أن يوسف كان يلجأ إلى الملكة يحاول التأثير على زوجها لتحقيق رغبة خاصة له»[2]!!!

وعلى ذلك يكون إخناتون حفيد يوسف مباشرة باعتبار يوسف هو يويا الوزير!! أما الفرية الخطيرة - والأخطر على الإطلاق! - لأحمد عثمان فهي أنه ادعى أن موسى هو اخناتون! أي أن موسى هو حفيد يوسف مباشرة! أو بالأصح الوزير يويا! وعلى امتداد صفحات (الفصل الرابع) من كتابه الأصول المصرية(!) لليهودية والمسيحية، وهو بعنوان (موسى النبي والملك إخناتون) حاول أحمد عثمان الوصول إلى تطابق بين موسى وإخناتون!!![3] وهو ما يعني أن (يوسف/يويا) جدّ (موسى/إخناتون) بإنجاب (طاي/تي) (إبنة) يويا/يوسف له وذلك بزواجها من الفرعون آمنحتب الثالث!

وهو ما يجعل عصر يوسف عليه السلام هو نفس عصر موسى عليه السلام وهذا في نفسه دليل قوي على سخافة وتهافت نظرية أحمد عثمان التي توصل إليها في إحدى ليالي شتاء لندن الباردة عام ١٩٨٤ وهو يقرأ أسفار العهد القديم لليهود كما ذكر هو[4] ذلك أن عصر يوسف عليه السلام سابق على عصر موسى النبي بقرون عديدة كما يعرف ذلك كل الناس!

---

(١) المرجع السابق ص٤١. (٢) المرجع السابق ص٤١.

(٣) كذلك فقد ألف أحمد عثمان كتاباً بالانجليزية ، ترجمت «موسى فرعون مصر» حل غموض شخصية اخناتون" Moses Pharaoh of Egypt, The Mystery of Akhenaten resolved" وقال فيه بنفس الفرية ، أن موسى هو إخناتون.

(٤) انظر المرجع السابق ص٣٦-٣٨.

لكن أحمد عثمان يتوصل إلى غير ذلك ببراعة يحسد عليها! يقول «وأدى التوصل إلى تحديد عصر يوسف الصديق في مصر بفترة حكم آمنحتب الثالث - الذي حكم مصر حوالي ٣٨ عاما من ١٤٠٥ قبل الميلاد إلى أن أصبح الطريق مفتوحاً أمامنا لتحديد عصر موسى ﷺ، بل والتعرف كذلك على الشخصية التاريخية لنبي التوحيد في مصر(*). فهل كان الشخص الذي نعرفه من كتب التاريخ بإسم إخناتون، هو ذات الشخص الذي عرفناه باسم موسى من الكتب الدينية، فكلاهما عاش في نفس الزمان والمكان(!)»(١)

ومع أن أحمد عثمان اختلف في نظريته عن كثير من الباحثين العلمانيين الآخرين إلا أنه يشترك معهم في الادعاء بأن نظريته تقوم على الاعتماد على التاريخ الحديث والمعلومات الدقيقة!

يقول «... فبدأ الباحثون يُعملون الفكر(!) في محاولة لإعادة تقييم الروايات القديمة... واستطاع علم التاريخ الحديث أن يعطينا معلومات دقيقة عن أحداث العالم القديم، من المصادر المصرية والبابلية والسورية والكنعانية واليونانية»(٢) وكلام أحمد عثمان هنا يحتاج إلى تدقيق شديد، فهو يحتال على قارئه بادعاء دقة نظريته وذلك بالإيحاء بأنها معتمدة على المعلومات الدقيقة والاكتشافات الأثرية. ولو نظرنا إلى هذه الإكتشافات لوجدناها تظهر معلومات عن ملوك وفراعنة، ودول وإمبراطوريات، وهذا في حد ذاته لا غبار عليه فهي نتاج عمليات حفرية وتنقيبات أثرية لكن ذلك لا يقول أبداً بأن موسى هو إخناتون أو أن يوسف هو يويا أو أن فرعون هو جد موسى أو أن حتشبسوت أو (تي) أو (طي) هي أم موسى(*) أو أن موسى هو إله وإنسان معاً أو أنه أخو الإله الشرير في الأسطورة المصرية،

(*) يقصد إخناتون الذي قال بأنه هو موسى وفي كتابه الأخرى كما سيأتي يجعل أحمد عثمان هذا التوحيد إفراداً وتطوراً تاريخياً وليس حقيقة كونية روحياً ربانياً ورسالة إلهية للبشر.

(١) المرجع السابق ص٥٥. (٢) تاريخ اليهود ص٤١.

• الإله سيت! فكل هذه خيالات وخرافات وأساطير الباحثين العلمانيين الذي يُخدّمون الاكتشافات لنظرياتهم ويحاولون تخريب التاريخ البشري وإضاعة الحقائق بتلفيقاتهم وإتهاماتهم المتطرفة حقاً!

يقول أحمد عثمان «فنصوص العهد القديم التوراتية مبنية على انتحال وقائع التاريخ المصري القديم، ليس هذا فحسب، بل إن عقائد التوحيد اليهودية وخلود الروح المسيحية، ظهرت في مصر القديمة. كما أن كثيراً من الشخصيات الرئيسية التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة، لم تكن كنعانية الأصل كما ساد الاعتقاد، بل كانت في الواقع تمثل أشخاصاً مصرية معروفة من مصادر التاريخ ... قصص القرآن تأتي من ذات المصدر الذي جاءت منه الكتب الدينية السابقة»(١)!!

ففي هذا النص ينسب التاريخ الحقيقي للأنبياء يإرجاع قصصهم إلى التراث المصري القديم كما يرجع عقيدة التوحيد لنفس هذا التراث كما أنه يتهم القرآن بأنه أتى من المصدر الذي جاءت منه الكتب الدينية السابقة التي انتحلت وقائع التاريخ المصري القديم!! (كما فعل القمني وغيره)

يقول ذلك بناءً على نظريته السخيفة في يوسف وموسى عليهما السلام والتي لم يأتي بدليل واحد منطقي ومادي لجعلها أقل ترنحاً وأكثر ثباتاً!!

تلويث صورة يوسف وموسى عليهما السلام

ويجعل أحمد عثمان من الملكة طاي ابنة ليوسف عليه السلام وأماً لموسى يكون إنتهى

(*) بل لقد ذهب الدكتور مراد محمد الدش أستاذ مساعد الهندسة الإنشائية بجامعة عين شمس إلى القول بأنه نشأ تناقس بين موسى والملك تحتمس الثاني على الزواج من حتشبسوت فقام بها تحتمس فسلطه موسى ثم هرب إلى سيناء، ومعلوم أن هذا كذب وخيال سخيف فلا موسى هرب لهذا السبب المزعوم ولا كان تحتمس هذا هو الفرعون الذي عاش موسى في زمنه. انظر عرض الأستاذ عبدالمحسن سلامة للحرر بجريدة الأهرام لخرافات الدكتور الدش في عدد الأهرام ١٩٩٧/١١/١٣ في الصحيفة الخاصة بالتحقيقات وتظر الرد عليها في المناقشات ... ص١٣٠.

(١) الأصول المصرية في اليهودية والمسيحية ص٢٥

إلى ما انتهى إليه سيد القمني من الإفك والزور وفواحش الكلام والغمز المبطن والإيحاء البعيد، فالملكة (تي) أو (طاي) زوجة آمنحتب الثالث والتي جعلها القمني أماً لإخناتون/ موسى/ أوديب، كانت تتجلى عباداتها في تاليه الإله السيناوي الذي يقول عنه سيد القمني «لعلنا نذكر كيف كانت أهم تجليات الإله السيناوي هي التجلي الخصبي ممثلاً في قضيب الذكر/ المشروم/ البركان، وأن البركان عندما يقذف بمصهوراته مع هيته المرتفعة كالقضيب العظيم ومقذفه القوي، وما يؤدي إليه من خصوبة عالية في الأرض أدى إلى تصوره قضيباً إلهيا عظيماً»(١)

وفي عيد (حب سد) قام إخناتون - بحسب القمني! - في العام الثاني عشر من حكمه في تل العمارنة بإعلان الطقوس الآتونية الإباحية وزوج أمُه الملكة (تي) يقول القمني «وهو ما تنطق به لنا لوحة الحائط الشرقي بمقبرة يويا التي يأخذ فيها إخناتون بيد أمه تي يقودها إلى المعبد تتبعهما ابنته بكتاتن فقط وحدها. مع تدوين شارح يقول: «يقود الملكة العظمى والأم الملكية تي لترى ظلها في الشمس» وفي اللوحة يرتدي إخناتون ثوباً شفافاً يسمح برؤية تفاصيله الداخلية، أما تي فتكاد تكون عارية تماما. ومن بعدها قرر أن تستمر هذه العلاقة في زواج صريح معلن دائم وليس فقط في حفل سري بالمعبد»(٢)!! هذا هو إخناتون الذي يفتخر به المستشار محمد سعيد العشماوي يقول القمني «ومن هنا نفهم السر في ذلك العري العجيب في فنون العمارنة، ولماذا كانت نفرتيتي وتي وبناتها يظهرن عرايا الفروج أمام الناس. لقد كان إفصاحاً عن طقس لابد يلازم العبادة الجنسية التي تقدس أعضاء التناسل ولا ترى في إظهارها عيبا ولا كارثة أخلاقية، بل لونا من الإحترام الواجب واللائق للمقدس»(٣)

فهل هذه هي ابنة يوسف وأم موسى يا أحمد عثمان؟

---

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة جـ٣ ص٨٤٥.

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٥٦، ٨٥٧.

(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٤٦.

فإن كان يمكننا أن نتعامى عن قوله بعدم وجود فارق زمني بين عصر يوسف وعصر موسى عليهما السلام، فهل يمكننا أن نتغاضى عن هذه الفواحش التي يرتكبها العلمانيون العرب علنا وفي كتب محترمة تباع في المكتبات العامة في العواصم الكبرى للدول العربية والإسلامية ولها إحترامها الخاص في كثير من الجامعات العربية التي تعتبر هذه السخافات هدايا في عالم الفكر والإبداع والبحث والفحص العملي!!!

البرهان القاصر في نظرية أحمد عثمان:

إن الشيء الرئيسي الذي جعل أحمد عثمان يربط بين الوزير (يويا) العاهر وبين يوسف الصديق النبي «أن كلا منهما - يقول عثمان - حصل على لقب كان نادراً في مصر القديمة، هو «أبا لفرعون» ففي إحدى ليالي شتاء لندن الباردة عام ١٩٨٤، إستيقظت من نومي وسط ظلام الليل (!)، فجلست بجانب المدفأة أتناول فنجاناً من الشاي في صمت حتى لا أوقظ ابنتي وزوجتي. ورحت أطالع سفر التكوين من العهد القديم، الذي سبق لي قراءته عدة مرات. وبينما كانت عيناي تنتقلان بين الصفحات، استوقفتني فجأة بعض الكلمات في قصة يوسف، فقد أدركت عندئذ - للمرة الأولى - أهمية دلالتها التاريخية ... «أنا يوسف ... وقد جعلني أبا لفرعون» الإصحاح ٤٥ (٤-٩) ... وكان لقب الوزير في مصر القديمة دائماً هو «ابن الفرعون»[1]

فوجد أحمد عثمان قول يوسف في العهد القديم «أبا لفرعون» دليلاً تاريخياً فأسرع يربطه بلقب يويا الوزير «لقب نادر لم يحصل عليه خلال هذه الفترة التاريخية سوى شخص واحد هو يويا، الذي أصبح أحد وزراء آمنحتب الثالث

---

(١) الأصول المصرية في التوراة ص٣٦، ٣٧.

عند بداية القرن الرابع عشر قبل الميلاد»[1]

هل هذا هو كل ما في جعبة أحمد عثمان؟ (بقية الأدلة أخذها من فرويد وغيره!) فمن أجل لقب وَجَدَه في كتاب لم يتعبَّدنا الله به يربط بين صدّيق رسول ووزير عاهر ؟! ويزعم أن الثوارة انتحلت وقائع التاريخ المصري وهو ما يعني أن الأصل هو يوبا وليس النبي يوسف عليه السلام فهو إنتحال توراتي بزعمه! بل وقرآني كما تقدم من كلامه!

وأحمد عثمان لا يختلف في أدلته الدقيقة وبراهينه المتينة وخياله الخصيب عن بعض العلماء الذين زعموا أن على المريخ مدناً كبيرة!!! وأن علامات الخطوط عليه إنما هي تقسيمات تمت على يد جنس مريخي وذلك بمجرد رؤيتهم لخطوط وعلامات مريخية تشبه تقسيمات المدن الأرضية!!! هذا إذا افترضنا حسن نيته!، أما والرجل ضليع في الإفساد التاريخي كالقمني والعشماوي وزياد منى وغيرهم فلا افتراض لذلك فنظريات التخريبية تمنعنا من ذلك، وقد أسسوها على مبادىء لا تمت للإسلام بصلة بل تقلب معالمه رأساً على عقب.

مطابقات عثمانية متعسفة!!

أخذ أحمد عثمان من فرويد مصرية موسى والزعم بـ «تعمد كتبة القصة التوراتية إخفاء الأصل المصري للبطل الذي كانوا يعتقدون فيه، وجعله عبرانياً»[2] وأخذ من «مانيتون» الباحث المصري القديم الذي كان مسئولاً عن تنظيم مكتبة

---

(١) المرجع السابق ص٣٧ يقول «والسبب في حصول يوبا على هذا اللقب النادر هو أنه أصبح حما للملك، عندما تزوج أمنحتب الثالث ابنة طاي، فصار بمثابة الأب للملك» ص٣٧.

(٢) الأصول المصرية ... ص٥٧،٥٦ ويقول «لم يكن النساري سيجموند فرويد الذي عاش في النصف الأول من القرن العشرين هو أول من قال بأن موسى كان مصرياً. فقد ذكر مانيتون المؤرخ المصري الذي كتب تاريخ الأسرات باللغة اليونانية بناء على طلب بطليموس الثاني خلال القرن الثالث ق.م مؤكداً هذه الحقيقة بل إن مانيتون يجعل غالبية أتباع موسى كذلك من المصريين» ص٥٧،٥٦ نفس المرجع.

والملحوظ أن الفترة التي حددها مانيتون لوجود موسى (وقد أعطاه أيضاً اسماً آخر)، سابقة على الفترة التي اصطفاها له أحمد عثمان نفسه بزمن طويل.

الإسكندرية في التاريخ المصري القديم، تحديد الفترة التي عاش بها موسى بذات الفترة التي عاش فيها إخناتون ووالده آمنحتب الثالث[1]

فعثمان / كالقمني والعشماوي / يلفق نظريته من أفكار الآخرين وليس بإقامة بحث علمي صحيح ومُجرَّد أو ببحوث بعيدة عن الأيديولوجيا الحاقدة والأهواء المغرضة والعنصرية البغيضة. إنها كشوفات الآخرين المصنوعة في معامل الأحقاد التاريخية ، والنزعات المادية والأجواء العلمانية!

إن د. سيد القمني الذي اقتبس من باحثين كثيرين دعائم نظريته الهشة، يرسم لنا هنا نقاط الإتفاق والإختلاف بين نظريته ونظرية أحمد عثمان مع ذكر المصدر لاقتباساته هو وعثمان يقول «هناك كشف آخر ينطلق من ذات فكرة فرويد لمجده عند أحمد عثمان وهو أن موسى كان بالجنس والميلاد مصريا، لكن لا يربط بين أوديب وإخناتون[2] ، لكن بين موسى وإخناتون. ويوعز لنا عن بعد أن موسى كان هو ذات شخص إخناتون بعد سقوطه عن عرشه. وحتى يوصل ذلك للقارىء دون مؤاخذات من رجال الدين(!) المتشددين يعمد إلى التلميح لا إلى التصريح، فهو مثلاً يُسرِّب لنا أخباراً تاريخية عن النبي موسى تلتقي مع ما حدث للفرعون إخناتون»[3]!!

ويشجاعة الباحث المفتخر بنتائج عمله يقول سيد القمني وهو يقوم بدراسة منطلقات وتوجهات أحمد عثمان «الرجل الشديد الحصافة يترك لقارىء أريب الوصول إلى ما يريد أن يقول، ربما خوف التحريمات الدينية في بلادنا بهذا الشأن. ومن جانبنا كنا قد وصلنا إلى أن موسى ربما كان إخناتون نفسه قبل سنوات طويلة من الآن، منذ بدأنا جمع المادة العلمية(!) لبحثنا. وقد أعلنا عن هذا الظن في أكثر من منتدى ثقافي(!)، لكن ذلك لايعني سوى أن عثمان قد وضع يده على الظن

---

(١) المرجع السابق . (٥) كما فعل القمني.

(٢) النبي موسى وآخر .. جـ٣ ص٢٨٦.

ذاته(!) وأقام له(!) السناريو اللازم والنظرية، وأنه سبق إلى إعلانه المنشور في كتاب(!) هنا فقط نقطة اللقاء(!)، لكن نقطة البداية للوصول إلى هذه الفكرة المركزية تختلف تماماً[1]

إذن سبق عثمان القمني في وضع النظرية في كتاب، وسبق القمني عثمان في إعلانها في المنتديات الثقافية المحترمة!

وبينما أحمد عثمان يلجأ إلى التلميح لا التصريح فإن القمني غالباً ما يلجأ إلى التصريح وقليلاً إلى التلميح.

ويلتقي الرجلان في الأخذ من مصادر غير موثوق بها وإعتمادها مراجع لهما كما يحرصان على الوصول إلى إثبات المطابقة بين موسى وإخناتون وتختلف قصتيهما لكنهما تؤديان إلى هدف واحد وهو مخاصمة الوحي وهدم الدين ونفي موسى والأنبياء وإرجاع ذلك كله إلى تطورات اجتماعية وسياسية ودينية في مناطق التاريخ القديم.

بيد أن أحمد عثمان يختلف عن القمني في طريقة الحصول على المطابقة المزعومة بين موسى وإخناتون. وقد قدمت طريقة القمني في الوصول إلى غايته فيما تقدم في الفصل الذي وضعته لنظريته الملفقة والمهلهلة.

وهنا أعرض سبيل عثمان في الحصول على مطابقة مزورة لا ترقى إلى المستوى العلمي الرصين فضلاً عن المستويات العقلية المنطقية المجرّدة! فنحن نعلم أن أم موسى ويوحي من الله ألقت طفلها في اليم حرصاً على نجاته وثقة في الله كما نعلم سبب خروج موسى من مصر وهو قتله للمصري وقد تأسف موسى على فعل ذلك وتاب إلى الله عز وجل قبل نبوته وقبل بعثته. أما أحمد عثمان فقد سعى لإيجاد التطابق بين هذا السرد التاريخي وبين رواية بعيدة كل البعد عن هذا

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٢٨.

السياق الذي ورد في القرآن والتوراة، ففي قصة إخناتون يجد الباحث أنه قبل ولادة إخناتون قتل كهنة آمون أخاً له ما جعل أمه (تي) تتوجس من قتل الولد الثاني وهو إخناتون الذي كان على وشك الظهور إلى الحياة والذي يرفض - الكهنة فيما بعد جعله ولياً للعرش لسبب مخالفة أبيه آمنحتب الثالث للتقاليد السائدة في مصر، والتي يخبرنا أحمد عثمان هنا بقوله «كان الأمراء المصريون يتزوجون أخواتهم حتى لا يخرج الملك عنهم(!). ولأن آمنحتب الثالث لم يلتزم بهذه التقاليد عندما أصر على إعتبار طاي هي الملكة، فقد رفض الكهنة والحكماء اعتبار الولد الذي تنجبه له ابنا شرعياً لآمون. وبالفعل أنجبت طاي ابنها الأول تحتمس والذي عثر على اسمه منقوشاً في مقبرة توت عنخ آمون - فإنه سرعان ما اختفى هذا الصبي في ظروف غامضة بعد أن عينه أبوه ولياً للعهد[٥]، ولهذا كان من الطبيعي أن تصاب الملكة طاي بالقلق عندما حل موعد ولادتها الثانية»[١]

فكانت الولادة الثانية بإخناتون فحمته أمه بعزله في قصرها الجديد البعيد عن كهنة آمون «تركت القصر الملكي في منف «عند منطقة سقارة» وذهبت لتعيش في القصر الصيفي في زارو ... وخافت الملكة طاي على ابنها الثاني - الذي سمته آمنحتب مثل والده [٥٥] أن يقتله الكهنة مثلما فعلوا بابنها الأول، فلم تسمح له طوال طفولته أن يغادر قصرها الذي وضعته فيه داخل أوار مدينة زارو في شمال سيناء ثم أرسلته ليتم تعليمه عند أخيها الأكبر «آنن» الذي كان يقيم في مدينة عين شمس، بخلاف التقاليد التي كانت تقضي بأن يتم تعليم الأمير في مدرسة منف مع أولاده النبلاء»[٢]

فالطفل هنا مهددة حياته من قبل الكهنة لأنه ليس (المولود حسب التقاليد!)

ولذلك تركت الأم القصر الملكي في منف وذهبت بعيداً عن كهنة آمون

---

(٥) أن عينه عند صغره قبل البلوغ.

(٥٥) إخناتون هو آمنحتب الرابع.

(١) الأصول المصرية لأحمد عثمان ص٥٨، ٥٩.

(٢) تاريخ اليهود جـ١ ص٥٦.

وتهديداتهم فحبس الطفل إخناتون داخل القصر ولم يغادره إلاّ إلى خاله في عين شمس[1] ليتعلم وليبتعد عن الكهنة زمناً.. ثم رجع وعمره ستة عشر عاماً فأشركه أبوه في الحكم «وثارت ثائرة الكهنة المصريين ولم يتمكنوا من إخفاء مشاعرهم... وتحت ضغط أبويه ترك الملك الشاب العاصمة واختار موقعاً بمحافظة المنيا قبالة مدينة ملوي - يعرف الآن باسم تل العمارنة - وبنى فيه مدينة جديدة ليعيش بها هو وأتباعه بعد أن غيّر إسمه إلى إخناتون. ومادام آمنحتب الثالث على قيد الحياة كانت سلطة إخناتون مقتصرة على حدود تل العمارنة. ولكن عند موت أبيه - في السنة الثانية عشرة من الحكم المشترك وجد إخناتون نفسه الحاكم الاوحد لكل أرض مصر»[2] بعد سنوات طويلة استطاع كهنة آمون تدبير المؤامرة من داخل الجيش للإطاحة بإخناتون ونظامه ما أدى إلى خروجه «من مدينة العمارنة ليعيش في المنفى، بينما يوجد العديد من الأدلة التي تشير إلى أنه كان لايزال حياً بعد نهاية حكمه فهو لم يدفن في المقبرة التي أعدها لنفسه وسط الصخور المحيطة بمدينة العمارنة»[3] وهكذا فبعد رجوعه من عين شمس حيث يعيش خاله (آنن) في السادسة عشر من عمره اشترك في الحكم مع أبيه وبعد ضغط أبويه ترك العاصمة إلى أخرى عاش فيها هو وأتباعه وبعد موت أبيه ثم الضغط عليه بعد حكمه لمصر فترة طويلة فخرج إلى المنفى الأخير - بحسب عثمان - على بعد بضعة كيلومترات إلى الشمال الغربي من دير سانت كاترين وجبل موسى[4] فالبون شاسع بين القصتين، كما أن سياق الأحداث التاريخية تختلف تماما في الروايتين والأهداف التي عاشت من أجلها الشخصيتان، والبيوتات اختلفت وكذا الأمهات والخروج . فموسى خرج مره لسبب قتله للمصري وإخناتون خرج أكثر من مرة خرج من قصر منف وأمه حامل فيه ثم خرج من قصر أمه البعيد عن سطوة كهنة

(١) انظر الأصول المصرية ص٩١. (٢) تاريخ اليهود جـ١ ص٥٨.
(٣) تاريخ اليهود جـ١ ص٦٠ لم يذهب عثمان هنا إلى قتله كما ذهب كثيرون!.
(٤) انظر الاصول المصرية ص٥٦.

آمون إلى منطقة عين شمس عند خاله بحسب أحمد عثمان ثم خرج بعد اشتراكه في الحكم مع أبيه سنوات طويلة إلى مدينة اتخذها مقراً له ولأتباعه ثم بعد موت أبيه واتساع سلطته على مصر كلها وهدمه لمعابد كهنة آمون انقلب عليه الجيش فخرج مرة أخرى إلى منفاه الأخير!

فأي مطابقة يزعمون، وأي تماثل بين الشخصيتين؟!!

لقد اعتمد أغلب هؤلاء العلمانيين على فكرة فرويد، الذي عجز عن إثبات التطابق المزعوم. وهي الفكرة التي ذهبت عند عجزها عن الإتيان بدليل المطابقة إلى رمي التوراة بأنها عملت على إخفاء الأصل ووضع القصة البديلة!!! ولقد نظر فرويد في عائلة موسى عليه السلام وعائلة إخناتون فوجد الأولى فقيرة والثانية ملكية غنية فما كان منه إلا أن اتهم التوراة في ذلك بتغيير الأصول وقلع الجذور!! وهو أسهل شيء يستطيعه فاقد الدليل: الاتهام الجاهل القائم على الهوى والأيديولوجيا المتربصة!

يقول أحمد عثمان شارحاً فكرة فرويد عن هذه النقطة «فبينما الطفل في جميع تلك الحالات يولد لعائلة ملكية ويهرب من القصر الملكي لتقوم عائلة فقيرة بتربيته، فإنه في حالة موسى يتم تهريبه من بيت العبرانيين الفقراء الذي ولد فيه ليتربى في القصر الملكي. وفسّر فرويد هذا الاختلاف بأنه دلالة على تعمد كتبة القصة التوراتية إخفاء الأصل المصري للبطل الذي كانوا يعتقدون فيه، وجعله عبرانياً»[1]!

إن البحث العلمي الرصين هو إثبات الأدلة الصحيحة بقياس صحيح تدل عليه القرائن القوية. أما فرويد فقد بنى كل شيء على خياله المريض وعقله الوثني الذي ورث وثنيته من الإرث الوثني الإغريقي واليوناني - بل واليهودي ! - والتي اتخذته

(١) الأصول المصرية لأحمد عثمان ص٥٦.

أوربا بديلاً عن الإسلام في تطوير رؤية جديدة للعالم، بل رؤى متناقضة جزئية وقاصرة للكون والحياة والإنسان، لقد وضع فرويد لنفسه رؤية خاصة للتاريخ الإنساني ولتصوره للدين والغيب والأنبياء فكان تاريخ الإنسان عنده هو نتاج عقدة قديمة بدأت بعصر الأب المسيطر على كل شيء والذي هو قانون نفسه، وليفوز أبناؤه بأمهم قتلوه ثم بعد مضي الوقت تم تقديس الأب ومن هنا نشأت القداسة والدين والشرائع والأخلاق الكابتة لدوافع الإنسان الحرة!!!، وكان المرض العصابي المتمثل برجال ادعوا أنهم موحى لهم من الله، وتم اقتباس القصص لعقد أهمية ومنها قصة موسى التي اقتبست - بزعمه - من أصل مصري! وكما ترى فهي فكرة مسبقة من محلل نفساني، اضطرب عقله واختل منهجه فخرج على العالم برؤية حيوانية شهوانية تحقر الدين وتطلق الشهوات والإتهامات الغير مبررة وهي رؤية كانت مرتعاً خصباً للباحثين العلمانيين العرب الذي اعتدوا وسائل النقد الحقيقي وذهبوا يغترفون من روث وخراء فرويد اليهودي!

ولاكتمال الرؤية نقول إننا نحن المسلمين لا نؤمن بالأسفار المقدسة التي لليهود والنصارى ولا بالتلمود. لكننا عندما نقوم بتحليل موادها - كما فعلنا على امتداد خمسة عشر قرناً (فتيح عن ذلك آلاف الكتب والرسائل الجيدة) - لا نُسرف في النقد ولا نلوي رواياتها أو نطمس موادها كما فعل هؤلاء الباحثون العلمانيون وتم نعْدِل مع كل شيء. ولنضرب على ذلك مثلاً مهماً. فالتلمود يحكي أن موسى تصارع مع ملك الموت في الجبل. فهناك موسى وهناك ملك الموت وهنا الجبل المعين فهل يمكن أن ينتج عن ذلك أن أتباع موسى قتلوه أو أن يوشع تلميذه قتله قتلة بشعة؟! أي تحليل يؤدي إلى هذا الاتهام؟ ليس من واحد!! ليس هناك أي دليل يدعونا إلى الذهاب هذا المذهب الطائش! لكن باحث التوراة الألماني «أرنست سيلون» استفاد من رواية التلمود هذه أن موسى مات مقتولاً ... هنا بدأ الخلل الذي أضافه فرويد لمخططه! يقول فرويد «وطبقاً لأرنست سيلون كانت توجد مع ذلك

رواية تتعلّق بنهاية موسى وتعارض معارضة تامة الرواية الرسمية وكانت أقرب إلى الحقيقة»[1]!

ويعتبر فرويد ذلك بحثاً تاريخياً نزيهاً يقول «ومن الظلام الذي تركه نص التوراة هنا أو الذي خلقه بالأحرى بوسع البحث التاريخي لعصرنا أن يميز واقعتين(!). الأولى اكتشفها أرنست سيلين ومؤداها أن اليهود الذين وصفتهم التوراة نفسها بأنهم كانوا عنيدين[*] لا يطيعون مشرعهم وزعيمهم، وتمردوا عليه آخر الأمر، قتلوه وطرحوا عنهم ديانة آتون التي فرضها عليهم كما فعل المصريون من قبلهم»[2] احمد عثمان قال بأن موسى مات في أثناء معارك[3] ولم يقل لنا هل مات مقتولاً أم لا؟ لكنه عرض نتائج سيلين وفرويد وعقب عليها. يقول عثمان: «ويحتوي التلمود على رواية تختلف عن ذلك - بقصد عن رواية التوراة - بخصوص الطريقة التي مات بها موسى. فهي تقول إن موسى تصارع مع خصمه فوق الجبل قبل أن يموت. وهي تسمي هذا الخصم «ملاك الموت» وهذا هو الذي جعل باحث التوراة الألماني أرنست سيلين يقول «إن موسى مات مقتولاً»[4]

ويقول أيضاً مزوداً لنا بأشياء أخرى! «ظهرت فكرة مقتل شخصية قيادية من بني اسرائيل أثناء وجود موسى في سيناء في المانيا في الجزء الأول من القرن العشرين. فلقد أدرك عالم الدراسات التوراتية أرنست سيلين وجود دلائل في سفر العدد تشير إلى أن فينيحاس الكاهن قتل أحد زعماء بني إسرائيل وقتل معه زوجته، لأنه تزوج من أجنبية حسب الرواية التوراتية بينما هو داخل قدس الأقداس بمعبد الخيمة، الذي بناه موسى عند جبل سيناء، في نفس الموقع الذي بني

---

(١) النبي موسى ورسالة التوحيد ص٩٠.

(*) هل لأن التوراة وصفتهم بذلك نقول بأنهم قطوا موسى وليس من دليل!.

(٢) النبي موسى ورسالة التوحيد ص٨٢.

(٣) تاريخ اليهود جـ١ ص٩٤. (٤) تاريخ اليهود جـ١ ص٩٠،٩١.

عليه دير سانت كاترين فيما بعد. واعتمد سيجموند فرويد على هذا التفسير فقال بأن بني اسرائيل قتلوا نبيهم، لأنه كان صارماً في محاولته فرض دياته التوحيد عليهم. ولأنني اختلفت مع فرويد، وذهبت في كتابي «بيت المسيح» الذي صدر في لندن بالانجليزية عام ١٩٩٣، إلى أن الضحية الذي قُتل كان هو يوشع بن نون الذي عينه موسى ليكون خليفته!![1]

على عكس عثمان ذهب القمني إلى مقتل إخناتون/ فرويد/ أوديب وفيما يذهب عثمان إلى أن موسى مات أثناء معارك - مع أنه لم يقل لنا هل مات مقتولاً في أثناء هذه المعارك أم لا! - يذهب العشماوي إلى أن موسى لم يمت على يد يشوع أو فينيحاس الكاهن، وإنما انسحب في هدوء واختفى دون أن يلحظ أحد اختفاءه. وعاد إلى مصر وحده، أو مع كوكبة من جنده ... انضم إلى قومه، وعاد إلى مصر دون أن يرى أحد موته أو رحيله، رجع واستقبل موسى كبطل قومي نجح مع جده الفرعون في التخلص من بني إسرائيل بإخراجهم من مصر!!!

وهكذا يختلفون في ولادته وفي موته وفي أمه وفي دينه وفي خروجه وفي أصل قصته وفي مصدر إقتباسها المزعوم!

ثم يزعمون أن معلوماتهم دقيقة تفوق في بعض الأحيان، ما نعرفه عن العصور الحديثة!!!

يؤكد ذلك أحمد عثمان لدعم خرافاته بأنه «منذ أن أصبح علم التاريخ الحديث يعتمد على الوسائل العلمية والتكنولوجية للتحقق من صحة الروايات القديمة. بدأت صورة جديدة تظهر أمامنا لتاريخ بني إسرائيل ... فأرض فلسطين مثلها في ذلك مثل معظم الأرض العربية، خضعت منذ نهاية القرن الماضي لمعاول رجال الآثار الذين جاءوا من كل جامعات العالم للحفر في أرضنا واستخراج بقايا

(١) الأصول المصرية ... لأحمد عثمان ص٩٩.

العصور القديمة. وتمكن هؤلاء من التوصل إلى معلومات دقيقة عن التاريخ القديم لمنطقتنا تفوق في بعض الأحيان ، ما نعرفه عن العصور الحديثة»[1]

ونقول مرة أخرى بأننا كمسلمين: ومنهجنا سبر أغوار الأرض وكشف مجاهيل الحضارات القديمة. هو دفع التنقيبات الأثرية إلى الأمام ذلك أن دراسة التاريخ ومعالم المدنيات البائدة هام لبناء إنسانية كريمة وخلافة بشرية رشيدة، فالماضي هام لصناعة المستقبل! لكن الذي يزعجنا من كثير من الباحثين الذين اتخذوا العلمانية أيديولوجيا والمنهج المادي قاعدة ينطلقون منها لرؤية العالم وتحليل التاريخ هو أنهم يعزلون حقائق ضخمة لا تناسب منهجهم في التفكير الجامد والأحادي والعاجز ويطمسون أدلة قوية لتفريغ التاريخ من محتواه الحقيقي ونظرية العشماوي أكبر دليل على ذلك، وقد قدمناها! وكذلك النظريات الأخرى التي تنسف معالم التاريخ بأساطير العقل الوثني الغربي وتقليده تقليداً أعمى كتقليد القرود للقرود والحمّار الزاعق للحمار الناعق. ولقد حاول علماء غربيون كثيرون تأييد النظرية الداروينية عن حيوانية الإنسان ونسبته إلى أجداد من عالم القرود من فصيلة «الأورانج»!!

فماذا فعلوا ؟!

لقد استخدموا اكتشافات وآثاراً قديمة وحديثة (اعتبروها قديمة) وصنعوا منها ما سموه «إنسان بلتداون» وهو عبارة عن تركيب اصطناعي بين جمجمة إنسان وفك قرد الأورانج. فهو جمع بين مفترقات كانت نتيجتها أن قالوا «علينا أن نُقر أن هذه الجمجمة هي أقرب الجماجم الإنسانية لجماجم القرود المكتشفة حتى الآن»[2] وقال العالم الإنجليزي المعروف كرافتون اليوت سمث (١٨٧١-١٩٣٧) «إن أهم نقطة في إكتشاف «رجل بلتداون» هو إثباته للرأي القائل أن الدماغ هو الجزء الذي تطور أولاً في الإنسان عند مراحل تكامله، وأن الإنسان تجاوز مرحلة القردية بفضل تطور

---

(١) تاريخ اليهود جـ١ ص٩

(٢) من قول «كرافتون اليوت سمث» العالم الانجليزي المعروف.

وتكامل دماغه، فبالرغم من احتفاظ هذا الانسان بخشونة فك وملامح وطبعا جسم أجداده القرود، بدرجة كبيرة، فإن دماغه وصل إلى مستوى الإنسان، وبعبارة أخرى، فإن الإنسان كان قرداً من فصيلة «الأورانج» لما دماغه بشكل كبير. وهكذا فإن أهمية جمجمة «بلتداون» هي في إثباتها لهذه الحقيقة إثباتاً لا يأتيه الشك»[1]!

فاعتبروا قردية الإنسان المزعومة وحيوانيته المتطورة المتوهمة! - عن فصيلة الأورانج القردية ، حقيقة ثابتة لا يتطرق إليها الشك!

وهكذا استطاعت الجمجمة المُلفقة أن تخدع ولمدة أربعين سنة أشهر العلماء المدافعين عن نظرية التطور إلى أن قام «كنث اوكلي» و «سرولفرد لي كروس كلارك» من جامعة اكسفورد قسم التشريح مع «ج. س. وينر» سنة ١٩٥٣ بإجراء تجارب أكثر دقة على العظام المكتشفة ووصلوا إلى النتيجة التالية في تشرين الثاني سنة ١٩٥٣ «إن «إنسان بلتداون» ليس إلا خدعة تزوير وخداع، تمت بمهارة ومن قبل إناس محترفين. فالجمجمة تعود إلى إنسان معاصر، أما عظام الفك فهي لقرد أورانج بعمر عشر سنوات. والاسنان هي أسنان إنسان فرست بشكل اصطناعي، وركبّت على عظام الفك. فظهر كذلك أن العظام عوملت بمحلول ديكرومايت البوتاسيوم لاحداث آثار يقع للتمويه وإعطاء شكل تاريخي قديم لها»[2]

ويقول أحد أعضاء اللجنة «لي كروس كلارك» متسائلاً بحق «لقد كانت علامات المحاولة المقصورة لإظهار العظام قديمة ومتآكلة ظاهرة وواضحة إلى درجة أن الإنسان ليحتار كيف أنها لم تلاحظ حتى الآن من قبل أحد»[3]!!

---

(١) Stephen Jan Gould, Smith woordwards Folly, New Scientist (5 april 1979) p.44 نقلاً من داروين أو نظرية التطور ص١٢٩، ١٤١.

(٢) انظر داروين أو نظرية التطور ص١٣٩.

(٣) Stephen Jan Gould, Smith woordwards Folly, New Scientist (5 april 1979) p.43 نقلاً من داروين أو نظرية التطور ص١٢٩، ١٤١.

فللبحث العلمي والتنقيب، الأثري نقول نعم، أما الخداع والتحريف وصنع أساطير وبناء رؤية للإنسان والعالم والتاريخ والغيب والدين والشريعة والجيل الأول من البشرية بناء على ذلك فهذا ما نرفضه لأنه تدمير لحقائق الوجود ومكانة الإنسان في الكون وإخفاء لمعالم الدين القيم الذي ندين لله به. إن العلمانية تقوم بنهب حقائق كل شيء بهدف نزع سلطة الدين من الوجود وهذا ما يدعونا كمسلمين للوقوف لتلفيقاتها بالمرصاد وهذا هو هدف هذا الكتاب.

* * *

الفصل السادس

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ الذاريات ٧-٩)

* * *

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝١ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد: ١-٣]

على الرغم من أن الدكتور «سوسة» قد قال بأن قصة موسى مأخوذة عن قصة الملك الاكادي - حضارة وادي الرافدين - سرجون الاول، إلا أنه ادعى أيضاً أن موسى كاهن مصري من أتباع إخناتون!!، فموسى مصري مئة بالمائة - بزعمه - باعتباره كاهنا مصرياً كما أفاد «مانيتو» المصري فكيف يجتمع النقيضان؟!

لقد نفي «سوسة» مطاردة فرعون لموسى النبي وقومه، وادعى كبديل لذلك أنه ليس هناك وجود لبني إسرائيل في مصر! وعليه فإن الذين خرجوا مع الكاهن المصري موسى كانوا مصريين وبقايا من الهكسوس «وما هؤلاء الذين خرجوا من مصر تحت قيادة موسى إلا جنود مصريين، وفلول من بقايا الهكسوس (الرعاة) الذين اندمجوا مع المصريين بعد طرد الهكسوس من مصر، كما تدل هذه الآثار التاريخية(!) ، على أن جميع هؤلاء الذين جاء بهم موسى كانوا يتكلمون اللغة المصرية، وعليه فإن هؤلاء هم الموسويون (قوم موسى) ولا دخل لهم بإسرائيل، ولا دخل لإسرائيل بهم»(١)

فالجماعة التي كانت تعيش بمصر عيشة المضطهدين المنكوبين - بحسب تعبير سوسة - والتي تقول التوراة عنهم إنهم إسرائيليون لم يكونوا إلا من جنود مصريين، ومن المؤمنين بدين (إخناتون) ومن بقايا الهكسوس وليس لهم دخل ببني اسرائيل «وهذا ما جاءت تنقله الكتابات المنقوشة في الآثار المصرية وتنفي أن يكون لبني إسرائيل كيان في مصر(٥)(٢)»!

يجادل سوسة بحرفة بالغة السخافة فيقول «فمن غير المعقول عقلاً(!) أن يكون

---

(١) الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ لجعفر الخليلي ص٧٢ .

(٥) لم تنفي اي آثار مصرية وجوداً لبني إسرائيل في مصر، ومعنى انها قامت بنفي ذلك أنهم كانوا موجودين فعلاً.

(٢) المرجع السابق ص٧٢،٧٣ .

لإسرائيل وجود في مصر خصوصاً وان ليس هناك أي دليل من الآثار ما يثبت هذ الوجود»[1]!!

غير أن سوسة نفسه اعترف بوجود أول لبني إسرائيل في مصر يبدأ بهجرة إبراهيم، لكنه سرعان ما انتهى إلى أن هذا الوجود ذاب في المجتمع المصري حتى لم يعد له كيان حقيقي أو وجود يمكن تمييزه!

لذلك ينفي خروج إسرائيليين من مصر مع موسى الذي قال عنه أنه كاهن مصري كما تقدم ، يقول القمني «ويذهب في ذلك إلى رأى فرويد، فيقول: إن رحلة الخروج التي أسهب في رواياتها الكتاب المقدس، وتعتبر حجر الزاوية في البناء التاريخي لإسرائيل بكامله ليست سوى «حملة مصرية» مؤلفة من جماعة من المصريين، وبقايا الهكسوس، يدينون بدين التوحيد الذي ورثوه عن إخناتون فرعون مصر، واضطروا تحت ضغط الوثنية واضطهادهم إياهم إلى الهروب من مصر، والتوجه إلى أرض كنعان»[2]

ويزعم سوسة أن التوراة نسبت هذه الحملة لبني إسرائيل بغية ربط هذه الجماعة بيعقوب وبإبراهيم الخليل كما نسبت موسى إلى كهنة بني لاوي بن يعقوب في حين أن الرأي الغالب لدى الباحثين في هذا العصر بزعمه، هو أن موسى كان قائداً مصرياً في بلاط إخناتون، يدين بدين التوحيد الذي دعا إليه إخناتون»[3]!!!

ويعلق القمني «ولنلحظ هنا، أن القول بمصرية موسى عليه السلام سبق إليها أعلام مثل (جيمس هنري برستد) و (سيجموند فرويد) . . الخ، هذا إضافة لما يتمتع به رأي

---

(١) المرجع السابق ص٧٧.

(٢) إسرائيل التوراة التاريخ المفصلي.. لسيد القمني ١٠٥.

(٣) المرجع السابق ص١٠٦.

(سوسه) في جملته من وجاهة، تضعه في إعتبار أي باحث جاد؟![1][*]

باحث جاد! ألم يقل القمني نفسه - كما سيأتي بعد قليل - إنه سيعالج أفكار سوسه ليس بسبب علميتها ولكن بسبب انتشار كتابه الواسع! كما إنه قام بفضح سقطاته وأخطائه الفاحشة؟

يقول القمني عن كتاب سوسة إنه كتاب واسع الانتشار بين قراء العربية، معنون باسم (العرب واليهود في التاريخ) وفيه قام (سوسه) بمزج النظرية التي أسسها (جارستانج) بآرائه الخاصة[**]، التي توصل إليها بشأن جنس هؤلاء الخارجين من مصر، وهو ما يستحق المعالجة، فقط بسبب الانتشار الواسع للكتاب المذكور وليس لأي سبب علمي (!)؟ يقول القمني «ثم يقول (سوسه): إنه قد بقي بعد تحرير مصر من الهكسوس شراذم أسرى لا يمكن تصنيفهم جنسيا، كما إنه لا يمكن القول أن هؤلاء الباقين هم تحديداً بني إسرائيل فقط، ويرى (سوسه) أن هؤلاء قد أخذوا بديانة التوحيد الآتونية التي تدعو إلى عبادة إله واحد باسم (آتون)، والتي دعى إليها الفرعون (أمنحتب الرابع/ إخناتون، وقد أدى سقوط (إخناتون) وانهيار ديانته إلى اضطهاد تلك الجماعة، فحاصرهم (تثموزيس) كما قال (مانيتو) في مدينتهم (حواريس). وقد احتسب (سوسه) أن (تثموزيس) هو (تحتمس الثالث ١٥٠١-١٤٤٧ ق.م) الفاتح المصري المظفر، وهنا أول سقطاته الشديدة، وخبطه، وسوء تقديره. لأنه بمقارنة بسيطة مدققة في قوائم الملوك المصريين، كان يمكنه أن

---

(١) المرجع السابق ص١٠٧.

(*) إنا كنا نريد أن نعرف لماذا قال القمني بوجاهة باحث الجاد سوسة؟ فعلينا أن نراجع المشترك بينهما أو بالأحرى تأثير (سوسة) على القمني في نظريته اللاحقة! والقمني يرد على سوسة في بعض مارأى أنها أخطائه القليلة كرأيه باحتساب زمن الخروج بزمن الفرعون «تحتمس الثالث» شريك «حتشبسوت» في الحكم وخليفتها المباشر !

(**) إن القمني فعل مثل ذلك أيضاً، فقد مزج نظرية فرويد مع نظرية فليكوفسكي وصنع منهما نظريته الهشة أيضاً!.

يعلم أن (تحتمس الثالث) سابق لإخناتون بحوالي ثمانون عاماً، وليس بعده»[1]

ثم يزعم سوسه أن تحتمس الثالث لم يستطع التغلب على المحاصرين من أتباع إخناتون فلجأ إلى مصالحتهم على أن يخرجوا من مصر!

ويلجأ (سوسة) كما لجأ العشماوي إلى النص التوراتي خروج ١٩:٢ لابنتي كاهن مديان - بحسب وصف التوراة! - (فقلن رجل مصري أنقذنا من يد الرعاة) يلجأ إلى هذا النص ليزعم أن موسى مصري مائة بالمائة، يقول سيد القمني «وهو ما يتفق أن أكده (مانيتو) عن (أورسيف)»[2]

وزعم (سوسه) أن الكاهن موسى المصري - وكذب سوسه - قد ذهب إلى هؤلاء العبيد المصريين وبقايا الهكسوس وعلمهم النظافة، وخرج بهم من مصر، يقول القمني «وإعمالاً لتلك المقدمات، ينتهي (سوسه) إلى أن الخروج كان مصرياً خالصاً، وأنه كان حملة كأي حملة مصرية معتادة على فلسطين، وكان الفارق بين تلك الحملات جميعا، وتلك الحملة بالذات، هو أن حملة (موسى) كانت منشقة على الدولة الفرعونية الأم، ولا تتمتع بالتنظيم العسكري المألوف، ولا بإسناد الدولة، كما لم تكن ضمن أهدافها مصلحة الدولة المصرية، إنما كان فراراً من اضطهاد المجتمع المصري الوثني. وعليه، فإن جماعة الخارجين كانت غريبة على أرض كنعان، مصرية، لا صلة لها ببني اسرائيل الذين اختلطوا بالهكسوس عند دخولهم مصر، وذابت بذرتهم وضاعت تماماً مع طرد الهكسوس من مصر، فقامت التوراة مع هذا الضياع بتنسيب الجماعة المختلطة الخارجة من مصر، إلى جماعة بني اسرائيل ويعقوب»[3]

---

(١) المرجع السابق ص١٧٤.

(٢) المرجع السابق ص١٧٥ يقول القمني «كذلك استند سوسه إلى آراء (سيجموند فرويد) بهذا الشأن» بنفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق ص١٧٦

هنا يبدو القمني وكأنه معلق نزيه على نظرية خربة، في حين أن نظريته هو نفسه أكثر ريبا وأشد بؤساً وأشد خراباً، فقد زعم ـ كما قدمنا ـ أن موسى هو إخناتون، إنه الصورة المزيفة لإخناتون الذي زعم أنه هو صاحب القصة الحقيقي، في حين أن سوسه يزعم أيضاً أن موسى هو من اتباع إخناتون وهو كاهن مصري، وأن القصة التي نسبت إليه إنما هي منقولة عن قصة سرجون الملك الأكادي وليس إخناتون الأمير المصري! وفيما يزعم سوسه أن الخارجين من مصر كانوا من المصريين والهكسوس يزعم القمني أنهم مصريون وإسرائيليون وأصحاب عقائد مصرية متفاوتة، حصل بينهم صراع أدى إلى إنشقاق بعد الخروج فافترقت ثلاث مجموعات، صنعت ثلاث روايات عن إخناتون، رواية مصرية حقيقية عنه، ورواية يونانية تحت اسم أوديب، ورواية إسرائيلية تحت اسم موسى! وما أشار إليه القمني في نقده لبعض محاور نظرية سوسه من أنها أخطاء فادحة وقع فيها، أخطاء وليست خطأواحداً(٥) فإن القمني نفسه وقع فيما هو أفدح من ذلك إذ أنه وبحيلة تلفيقية بين أفكار فرويد وفليكوفسكي صارت نظريته السخيفة مختمرة بين يديه ما أدى إلى أن خَرَّج من مصنع أفكاره صورة شائهة مجهل من موسى إخناتوناً معدلاً، ومن أوديب نسخة مزورة كموسى تماماً! فكيف يجرؤ من هذا شأنه أن ينقد الآخرين ؟!

دعاية مزيفة لنظرية أحمد سوسة:

المستشرق الألماني رولف رايخارت. يقول عن كتاب أحمد سوسه إنه عمل ضخم «إذ أنه ليس إلا قلباً، بل تصحيحاً لقضايا تاريخية متوارثة عبر الأجيال أسيء فهمها(!) وهي لم تزل شائعة بين الناس، ومقبولة منهم بفعل التوراة...

---

(٥) نفسه ص١٧٦، ١٧٧.

ومع ذلك لم يجرؤ أحد قط (!) - قبل الدكتور أحد سوسة - أن يكشف النقاب عن ذلك الزيف»[1]!!! وفي رسالته التي بعثها «أكرم زعيتر» لأحمد سوسه يقول له فيها إنه بترجمة كتاب هذا الأخير إلى اللغات الأجنبية لاشك أن ذلك سيحدث «انقلاباً جذرياً في بعض المفاهيم التاريخية ويبدد خيالات وقع فيها، أو تبناها عن سوء نية أو حسن نية الكثيرون من المؤرخين»[2]

وفي رسالة محمد عبدالغني حسن لسوسة يقول له فيها «إن الحقائق في هذا الكتاب العظيم دامغة، والأدلة واضحة والبراهين ناصعة»[3]!!

وفي مجلة (الأديب) البيروتية لألبير أديب في عدد يونيو ١٩٧٢ من كتاب سوسة «كتاب جليل الفائدة ظهر في منشورات وزارة الإعلام العراقية ببغداد ... وحبذا لو تبنت جامعة الدول العربية هذا الكتاب (!)، وترجمته إلى عدة لغات أجنبية ، وتولت توزيعه ونشره في العالم[4]!!!!

وفي الملحق الأسبوعي لجريدة (العلم) المغربية لعبد الكريم غلاب عدد ٢ آب ١٩٧٣ «إن من واجب كل دولة عربية، كبيرة أو صغيرة أن تنظر في نشر هذا الكتاب في شعبها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وقد كتب الكاتبون، وبينت الصحف وقال أهل الفكر، أن نشر هذا الكتاب مهمة فكرية تثقيفية لها من الخطورة ما لإنشاء مصنع من مصانع الأسلحة في أرض العرب(!)»[5]!!!!!

وفي مجلة الأديب البيروتية في يونيو ١٩٧٢ بقلم عجاج نويهض «فالكتاب (ثورة علمية) على تاريخ اليهود المزيف، وصرخة مدوية في أرض العرب أجمعين»[6]

---

(١) الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ ص١٥.

(٢) المرجع السابق ص١٧. (٣) المرجع السابق ص١٤.

(٤) المرجع السابق ص١٢. في نفس العدد يقول وديع فلسطين «وكتابك يادكتور سوسه كتاب معجز، وهو كتاب العصر» ويصفه بالعبقري «وتحت على عبقرية عربية من مستوى عالمي».

(٥) المرجع السابق ص١٣. (٦) المرجع السابق ص١٠.

الفصل السابع

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]

إكذوبة موسى مطلق إبراهيم

الإسلام هو سبب النكسة - يقول موسى مطلق إبراهيم(*) ذلك العلماني الذي يتغنى بأمجاد الحضارة السورية القديمة، حضارة الصنم والوثن وعبادة الأموات وأرواح الأجداد(١)!

إنه يدعونا للتفكر معه في العقلية المتفوقة للسوريين الوثنيين القدماء والذين كانوا «يمتازون بها على من عداهم من شعوب الحضارات القديمة»(٢)!! إنه الشعب القديم الذي صاغ لنفسه رؤيا عن ظواهر الطبيعة والحياة والدين ، صاغ لنفسه رؤياه الدينية ونظرته العملية إليهما - في وحدة ثقافية لا أروع منها ولا أسمى(!).. رؤية دينية يموت فيها الإله فداء عن الحياة، تارة في صراعه ضد آلهة الموت والجحيم والعالم الأسفل ، وتارة في صراعه ضد الخنزير(!) الذي يمثل المفاسد الاجتماعية في الحياة(!) وتصارع فيها الآلهة العشيقة، كما في تموز وعشتار(**)، أو الآلهة الشقيقة، كما في بعل وعناة، لاستعادة الإله الفادي من أشداق الموت(!) لأن بعودته تعود البهجة والخصب والعافية إلى الحياة. إنها رؤية دينية جعلت من الآلهة مثلاً أعلى وقدوة إنسانية»(٣) ماذا ينتظر المرء من باحث علماني هذه هي قدراته العقلية، وحدوده النفسية، ومزاياه الإدراكية وحنينه التاريخي لإله يتصارع مع خنزير!!

---

(١) وعد التوراة ، لموسى مطلق ابراهيم ص٤٠٧، ٣٩٥.

(٢) (٣) السابق ص٤١٠.

(*) يقول بأننا قصدنا ننتظر حصاده فإذا بنا نكتشف أننا أضبح من الأبنام على مذبح اللئام ص٤٠٧، ٣٩٥ المرجع السابق.

(**) عشتار اشهر عاهرة في التاريخ القديم ، تبدأ عشاقها بعد أن تصيب وطرها منهم هي عشتار البابليين والسومريين في ملحمة جلجامش إلهة تنتقم من عشاقها بعد أن تمل منهم. انظر كتاب البغاء عبر العصور ص١٩٣.

هل يُنتظر منه أن يؤمن بموسى رسولاً ونبياً أو أن الأنبياء هم دعاة ومصلحون؟! هل يمكن أن يؤمن بذلك وهو يقلب الأمور رأساً على عقب كما فعل (القمني) الذي فعل مثل فعله ولكنه أعطى المديح للحضارة المصرية وتاريخها العتيد!؟ فيما تعطي (ثريا منقوش) على الضفة الأخرى الفضل للحضارة اليمنية الوثنية الهالكة؟!! لننظر كيف نظر «مطلق إبراهيم» إلى موسى عليه السلام!!

«إن شخصية موسى مقتبسة من تراث العراق القديم وإن صاحب هذه الشخصية هو الملك سرجون الأكادي»[1] فإذن موسى هو سرجون، وهو مقتبس في نظريته الحقيرة، وهو عند القمني على العكس من ذلك، وهو اختاتون هو أوديب اليوناني!! وهكذا فبدل أن يذكروا الحقائق ويؤكدوا الوقائع ويؤمنوا بالحقيقة التاريخية الأصلية عن موسى عليه السلام نجد كل من هؤلاء الخرّاصون ينسبون له عليه السلام وقائع أخرى وأصلاً آخر ونسباً وعالماً آخر (فالأسطورة القمنية) (نسبة إلى الدكتور سيد القمني!) قد جرت وقائعها في عصر آمنحتب الرابع الذي هو عند القمني طبعاً إخناتون/ موسى/ أوديب فإنها في (الأسطورة المطلقية) نسبة إلى (موسى مطلق ابراهيم) كانت في حضارة الأكاديين في العراق القديم وأن بطلها الأصلي هو سرجون الملك الأكادي وليس النبي موسى عليه السلام النبي الكريم الذي هو في الحقيقة نبياً ورسولاً من بني إسرائيل.

فواحد يقول إن شخصية موسى مقتبسة من مصر والآخر يقول إنها مقتبسة من العراق!!، والغرض هو تدمير الشخصية الحقيقية وقتلها معنوياً ونفي وجودها التاريخي كشخصية نبوية أرسلت إلى بني إسرائيل بالتوحيد الصافي والشريعة الإلهية والمنهاج الرباني يقول موسى مطلق إبراهيم «إن وراء حكاية موسى التوراتية حقيقة حاول الكاتب التوراتي أن يخفيها عن العيون فخانه المنطق، وكشفتها

---

(١) وعد التوراة ص١٧٩.

طريقته في الاقتباس الخائب، عن الحكاية الأصلية التي جرت وقائعها على الفرات في جنوب العراق(!)، في تاريخ سابق على التاريخ المصطنع لموسى التوراتي(*) بأكثر من ألف ومائتي عام (!)، وهي حكاية الملك سرجون الأول الأكادي الذي كانت أمه من خادمات المعبد فحبلت به سفاحاً (!) ألقت به إلى النهر في سفط من البوص مطلى بالقار، خوفاً من الفضيحة التي يقودها إلى عقوبة الموت بجرم الزنى»(١)

قدمنا أن العشماوي في أسطورته العشماوية زعم أن أم موسى هي أميرة وهي ابنة فرعون (**) وأن فرعون هو جده وأن موسى هو حفيده!، وهنا يقول «مطلق لا!، إنها خادمة من خادمات معبد في الدولة الأكادية في جنوب العراق وأنها حبلت به سفاحاً، أما القمني فقد زعم أن إخناتون/ موسى/ أوديب(!) يعود من جهة أمه (الملكة تي) إلى المديانيين عبدة القضيب (إله الخصب) التي عاشت في مصر وتزوجت ملكها الذي قتله إخناتون ثم تزوج أمه هذه (المديانية) التي تبدو في رسومات مصر عارية الجسم ، بارزة الأعضاء الجنسية لا يسترها شيء!

حقا، لقد أخبر الله عن هذه الأفك إنها هَزْل قبيح، وحَلَفَ على حقيقة ذلك بالسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع في نفس الوقت الذي حلف فيه على أن قوله سبحانه هو الفصل في قضايا الحياة والتاريخ والدين والشريعة ﴿إنه لقول فصل وما هو بالهزل﴾ فهو حقا ليس بالباطل، وجِدّاً ليس بالهزل، لكننا نرى اليوم «أطفال الفكر العلماني» يقلبون الآية فيجعلون نظرياتهم الحقيرة حق وَجِدّ وحقائق القرآن باطل وهزل!

(*) كل نظرية تخترع تاريخاً ومكاناً وعصراً ودولة وحتى شخصاً مختلقاً!!

(١) وعد التوراة ص٩١.

(**) لم يقل لنا العشماوي بناء على قرينة هذه من هو أبوه؟!

إن الدليل العظيم على هزال أفكارهم وهشاشة نظرياتهم هو أنها مختلفة متعارضة منخرصة كاذبة تحمل في طياتها أسباب انهيارها ومبادىء سقوطها وتدميرها، وقد أقسم الله لأهل الضلال من كل صنف ونوع وباللسموات على بطلان أفكارهم ﴿والسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾[الذاريات: ٧-١١].

وعلى الرغم مما بذله العشماوي والقمني في جعل موسى ابنا حقيقياً لشخص معين من بيت فرعون، فالعشماوي يقول إنه ابن ابنة فرعون، والقمني يقول بل هو ابن زوجة فرعون، وفرعون هذا غير فرعون ذاك(*)، وقد سهروا ليالي وأياما وشهورا وسنوات للتآمر على الأنبياء وقتل صورهم التاريخية كما فعلوا المستحيل لجعل الحبكة فنية وجيدة الإحكام وقوية الصناعة، لكن المختلف المفترى المتخرص الآخر (موسى مطلق) طلع عليهم ليثبت سخافة أفكارهم وهشاشة حبكتهم لكن بسخافة أخرى مناقضة لسخافاتهم ومحطمة لها فبرغم أن موسى لم يولد في مصر لابنة أمير أو زوجة ملك وإنما ولد سفاحاً من خادمة معبد(!) أكادية كاهنة من جنوب العراق أخرجته إلى العالم بطريق الزنا!

يقول «إن اقتباس الكاتب التوراتي لهذه الحكاية ونقلها من النيل إلى الفرات(!) لم يكن ملائماً للملابسات الحكاية (أية ملابسات يامطلق!!) التي عمل على إصطناعها لبطله الذي أطلق عليه(!) اسماً مشتقاً من لغة كان يتكلمها في زمن لاحق لتاريخ السبي، ولم تكن موجودة في التاريخ المفترض للحكاية»(١) فالقصة برمتها «اقتبسها من أصولها السورية في تاريخ متأخر جداً عن التاريخ الذي

(*) فلفرعون القمني هو آمنحتب الثالث، ولفرعون العشماوي هو رمسيس الثاني وهكذا فالفراعين تختلف وموسى يختلف وبالطبع الزمن يختلف والمكان يختلف والقرآن يقول عن هؤلاء المفترين «إنكم لفي قول مختلف، يؤفك عنه من أفك»

(١) وحد التوراة «لموسى مطلق إبراهيم ص٩٢.

اصطنعته لنفسها، فأساءت إلى هذه الرموز إساءة بالغة(*) بأن صوّرتها على صورتها النفسية - الأخلاقية - المثالية(!) فمسختها إنسانياً وأخلاقيا ومثاليا وبالتالي حضارياً وأخرجتها من انتمائها الأصيل إلى جوهر النفسية السورية(!)»(١)!

وفي الحقيقة، فهذا الباحث الحقير يُريد أن يجرّ المجتمع السوري لصور منحرفة في التاريخ لحقت بكل الحضارات والثقافات والمدنيات الوثنية والعودة إليها يعني العودة إلى الإنحطاط والضلال. تجده يفتخر بالعقلية السورية القديمة «التي كان السوريون القدماء يمتازون بها على من عداهم(!) من شعوب الحضارات القديمة. ومن هذه الظواهر الممتازة والمتميزة، ظاهرة الإله الفادي... يموت فيها الإله فداء عن الحياة(!)، تارة في صراعه مع آلهة الموت والجحيم والعالم الأسفل، وتارة في صراعه ضد المخترير(!) الذي يمثل المفاسد الاجتماعية في الحياة. وتصارع فيها الآلهة العشيقة(!) كما في تموز وعشتار، أو الآلهة العشيقة، كما في بعل وعناة، لاستعادة الإله الفادي من أشداق الموت(!)، لأن بعودته تعود البهجة والخصب والعافية إلى الحياة»(٢)

لقد جاء الإسلام لكي يحرر الوثنيين من عبادة صور الطبيعة كالشمس والقمر ودورات الخصوبة الزراعية والمرتبطة أيضاً بالشمس والقمر والتي يعود فيها الزرع إلى الحياة والخصب إلى الوجود. جاء الإسلام ليحرر الناس من الأوهام المرتبطة بهذه الآيات البينات والتي تدل على عظمة الله ورحمته بالإنسان وأنه الذي يمده بالنعم الظاهرة والباطنة. أما موسى مطلق إبراهيم وغيره ممن يشاركونه إفتراءاته ووثنيته فيريد أن يعود بنا، وبالشعب السوري قطعاً، إلى عبادة هذه الظواهر

(*) أي إساءة ، الم يقل الرجل أن أم سرجون الاكادي ولدته سفاحاً.. والم يقل بأن هؤلاء يُنسبون إلى الحضارة السورية القديمة حضارة الضلال والوثنية، والسفاح والزنا في المعابد!.

(١) المرجع السابق ص٩٣. (٢) وعد الفرزدق ، لموسى مطلق إبراهيم ص٤١٠

وتقديس الأساطير التي اختُلقت حولها مثل إله الموت، الذي صارع الخنزير، الذي يعود إلى الحياة، كما تعود الحياة إلى الزروع والأراضي الميتة! فعابد الوثن والآلهة السخيفة المزورة «موسى مطلق ابراهيم» يُسخف التشريعات التي كانت أمة إسرائيل في حاجة إليها لإبعادها عن أوثان الأمم وأصنامهم وهي التشريعات التي تحرّم التماثيل والأصنام في وقت كان العالم يمج بها ويتعبد لها ويعتبرها صوراً فنية لآلهة تجلس على عروش الحضارات من الفراعنة المتألهين وآلهتهم العتيدة، وملوك وأفراد المدنيات المنحطة في تصوراتها عن الحياة والكون والإنسان.

يقول عن هذه التشريعات التي أنزلها الله عز وجل على رسوله موسى ﷺ «وهناك تشريعات مغايرة كل المغايرة للثقافة الفنية المصرية التي يفترض(١) أن يكون نشأ على تذوقها - يقصد موسى - في بلاط فرعون(*) وعلى إدراك معناها السامي وتقديم قيمتها الجمالية، مثل: «لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت الأرض» (خروج ٤:٢٠) متنكراً بذلك(!) ليس إلى ثقافته الفنية وذوقه الفني فحسب، بل إلى كل ما أبدعته الثقافة الفنية المصرية من الرسم والنحت بدءاً من أصغر صورة أو منحوتة في قصر فرعون(!) إلى تمثال أبي الهول»(١)

فما أعجب سخافة هذا المنطق الضعيف ولنضرب مثالاً على سخافته وعلى عدم قوته، فنحن اليوم كجاليات إسلامية نعيش في الغرب، وهناك اللوحات الفنية العجيبة والتماثيل الفنية المنحوتة. والتي وصلت إلى مرحلة يزعمون أنها مرحلة الشفافية والعفوية في الرسم الفني الجمالي الطبيعي والتي يمررون فيها الأعضاء

(*) هو يزعم بأن قصة موسى مقتبسة من قصة الملك الأكادي سرجون ، ولكي يحاول إثبات تعارض قصة موسى مع واقعه، يحاول أن يقوم بهدمه المقارنة السخيفة مع اعتقاده أن قصة موسى «حكاية لا صلة لها بالتاريخ» وعد التوراة ص١٢١.

(١) وعد التوراة ص٨٣

الجنسية والجماع الجنسي بكل صوره الراقية!! ويفتخرون في كل مكان بأنهم تحرروا من قيود الإبداع وحُجُب الابتكار، فتجد آلاف اللوحات والتماثيل عارية، جنسية شائعة، وبعضها تصور العملية الجنسية كما هي، إدخال العضو في العضو وإبراز ذلك في الصورة الفوتوغرافية والنحت الجمالي!، بالأفلام المتحركة وبالرسم. حتى لقد قاموا بصناعة ملايين الأعضاء الذكرية والأنثوية وما زالوا يصنعون! ووضعوا فيها تكنولوجيا حديثة جداً وتباع الآن في هولندا مثلا ولا مانع قانوناً من ذلك، في المجلات الجنسية المتشرة في الأحياء والقرى والمدن الكبرى!! فإذا رفضنا نحن المسلمين هذا النوع من الثقافة الفنية والذوق الفني والشفافية الفنية الجمالية!، نكون عند موسى مطلق إبراهيم قد فقدنا الحصول على معناها السامي ومفاهيمها الشفافة الإنسانية العميقة!!

ما المشكلة أن يرفض موسى عليه السلام هذه الثقافة الفنية الفرعونية، والتي كرّست عبودية الفراعنة وتأليه ظواهر الطبيعة ورموزها المتمثلة في الأصنام والأوثان والأوتاد!؟ ألستم تدعوننا إلى عدم التقليد ورفض الواقع السائد والثورة على التقاليد؟!... ألم يفعل موسى عليه السلام هذا وبصورة إنسانية أصيلة وبوحي إلهي حقيقي يهدف إلى استرجاع حرية الإنسان من عبوديات منحطة تتمثل في عبودية الفرعون والإمبراطور والوثن والوتد والعضو الذكر وعبادة الإنثى كآلهة للخصب وبقية ظواهر الطبيعة التي عُبدت في الأزمنة التي يريد موسى مطلق وغيره من العلمانيين أن نسترجع صورها السامية!!، ورموزها الراقية!!

إنّ هذا إلاّ تحقير للإنسان وغمسه في وحل الوثنيات ومستنقع البهيمية! إن الأنبياء يترفعون عن هذا الواقع الرديء والمخالف للإنسانية الحقة. ولذلك قام العلمانيون بتحويل صورة موسى عليه السلام وحقيقته إلى صور وثنية إباحية شائعة، لتمريغ البشرية كلها في وحل الجاهليات القديمة. وقاموا إضافة إلى ذلك

بتحويل كل الحقائق والوقائع المرتبطة به كنبي ورسول، وولادته من عائلة كريمة، شريفة، مؤمنة بالله، ومتحررة من الكفر والضلال والفساد. ولقد فعل العلمانيون ذلك حتى تتشاوى المختلفات وتتماثل المفترقات ويصير نور الحياة نسخة من ظلمة الوجود، وتمسخ رسالات الخير بمزجها بأساطير الشر، وتبدأ العودة مرة أخرى إلى وثنيات طواها الزمان ووراها التراب.

كذلك قاموا بتحويل صورة أم موسى عليها السلام إلى صورة مُنفِّرة كريهة والغرض نسف الأنساب الشريفة ليخلو لهم الجو الذي يحاولون تهيئته لنسف النبوة التي كانت تُصنع على عين الله وتخرج إلى الوجود من نكاح كريم لا من سفاح مهين!

وإذا تم تحويل صورة أم موسى إلى أم مدينانية وانية عارية تتزوج ابنها علنا وتصور رسومات معابدها هذا الزواج بجرأة متناهية (كما هو الأمر عند نظرية القمني الحقيرة) أو تم تحويل صورتها الكريمة العفيفة إلى أم أكاديه/ عراقية/ سورية في التاريخ الوثني القديم حملته سفاحاً، وهو ما يعني أن أباه انسحب من التاريخ من قبل أن يولد!!، إذا تم تحويل صورة المرأة التي ذكر الله أنه أوحى إليها إلى هذه الصور الشائهة الحقيرة فماذا ننتظر إذا تكلم هؤلاء عن صحابة رسول الله ﷺ أو أنصار عيسى عليه السلام أو أتباع موسى النبي عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام؟!

في كتاب لم أر مثله في الجودة وهو كتاب اسقوط الغلو العلمانيا وفي النقد الممتاز قام به الدكتور محمد عمارة عندما رأى أن العشماوي تجاوز حدوده في تجريح الصحابة بل وتجريح الرسول نفسه والقرآن، هذا الكتاب الممتاز صدر سنة ١٩٩٥م وذلك قبل أن يظهر العشماوي بأكاذيبه الأخرى على العالم والخاصة بموسى والحقائق المرتبطة به. ولذلك قمت بإبراز أكاذيبه وأساطيره حتى يرى المسلم

الواعي-أن العشماوي يتحايل عليه ويخدعه حينما يدخل بعلمانيته المخادعة معترك الاجتهاد الإسلامي ويقدم في ذلك مشروعه الفكري في أكثر من عشرة كتب .. توالى إعادة طبعها دار نشر ماركسية.. وتهتم به - كما يقول الدكتور - محمد عمارة - كل الدوائر المناوئة للصحوة الإسلامية، سياسية وفكرية[1]

إن هؤلاء الباحثين يمشون على خطى الباحثين الغربيين في تشويه الرموز الإيمانية والشخصيات الرسولية الكريمة فهناك «مشترك» على كل محاور الهدم بين هؤلاء الباحثين المبتكرين من الغربيين والمقلدين فهذا كمثال «جارستانج» الباحث الغربي المشهور عضو بعثة مارستن التابعة لجامعة ليفربول للتنقيب في فلسطين، إدعى أن موسى عليه السلام قد أنجبته الفرعونة (حتشبسوت) عام ١٥٢٧ ق.م، عندما كانت أميرة، وقبل أن تتربع على عرش مصر، أي خلال حكم تحتمس الأول أو تحتمس الثاني. لقد اعتمد «جارستانج» في إقامة أكاذيبه على كشف يتيم لايدل على المقصود كما أنه لا يسعف الهدف المرصود!! ويعلق على ذلك القمني (صاحب إفتراء آخر! قدمناه بقوله «وقد ملأ جارستانج» الدنيا صخبا وضجيجا بما زعمه عن كشف أركيولوجي حاسم في الأمر جميعه، حيث عثر على جعران في مقابر أريحا الملكية، على إشارات فسرها كأدلة قاطعة ، تثبت أن (موسى) قد أنجبته الفرعونة (حتشبسوت) عام ١٥٢٧ ق.م بالتحقيق ... وأن موسى قد تربى في بلاطها وبين حاشيتها بعد ذلك، ثم فر من مصر عندما نجح الانقلاب الذي قام به (تحتمس الثالث) ثم عاد ليقود الخروج أثناء حكم (تحتمس الثالث) عام ١٤٤٧ ق.م ... وكما ظهرت ضجة (جارستانج) فجأة، خفتت فجأة، وانتهى (جارستانج) إلى

---

(١) سقوط العلو العلماني للدكتور محمد عمارة وهو الكتاب الذي ذكرنا لميزه وفرادته في العصر الحديث، وهو اصدار دار الشروق، (انظر ص١٣) منه. ولقد ألف خليل عبدالكريم كتاباً ضخماً اسمه فترا التكوين في حياة الصادق الأمين! وقام فيه بهدم النبوة عن طريق الزعم أن خديجة بنتاً هي التي هيمنت محمد بالدراسة الليلية للرسالة!! كما ألف القمني مجموعة من الكتب والمقالات لهدم الجيل الأول الفريد.

الصمت التام، ولم يعد أحد يتحدث عن جمرانه الأعجوبة، ويبدو أن المصرولوجيين لم يقتنعوا تماماً بتأويلاته لنقوش جمران أريحا، وربما لسقوطه في أخطاء هامة تبرر ذلك الخفوت، فالتلاشي لكشف بهذه الخطورة»[1]

يبدو أن الدكتور القمني لم يتعلم من التاريخ الذي يسوق أمثال هذه النظريات ليركمها جميعاً في مزبلته العظيمة التي يجمع فيها نفايات وخزعبلات بعض إنسانه. ذلك إنه بعد أن قرأ هذه الخرافات طلع علينا هو نفسه بزيالاته الفكرية وعصارات عقله المريض الذي لواد به هدم حقائق التاريخ والدين والوحي والشريعة.

إن الرابط السري الذي يربط بين الدكتور سيد القمني و «جاوستانج» وأمثاله من الذين يستكرون الأساطير هو عملية الإسقاط الخبيثة التي تحمل من الأنبياء شخصيات مقتبسة زناة وعاهرين وكذلك أمهاتهم وأيضاً آبائهم!! فحتشبسوت هذه راحت تُثبّت شرعية ملكها باصطناع قصة عهد مقدس! يقول القمني نفسه «حيث اصطنعت قصة تقول: إنها ابنة مباشرة للآلة آمون بالجماع المقدس مع والدتها وهو الأمر الذي تكرر مع أكثر من فرعون، وهو ما يقول بشأنه (عبدالعزيز صالح): «وعادة ما ازداد تمسح هؤلاء بالدين وكرامات آمون) كلما أحس أحدهم بشبهه يمكن أن تمس شرعية ولايته للعرش، حيث يسارع إلى تأكيد بنوته المباشرة» له. نتيجة تقمصه روح أبيه حين أنجبه، وعبرت عن هذه الاهاءات أربع روايات الفراعنة (حتشبسوت)[*] والخمس الثالث، والخمس الرابع، وآمنحتب الثالث» ويشير كل من (دريتون) و (فانديه) إلى «أن فكرة تدخل الإله تدخلا مباشراً في

---

(١) النبي موسى وآخر أيام العمارنة جـا ص١٦٨، ١٦٩.

(*) يقول عالم المصريات «ميز» عنها هي: «مجرد إمرأة لا أهمية لها، طموح، تنظر إلى أبي ضعيف» ويقول عالم المصريات «بيرن» أنها «ليست سوى الدمية بين أيدي الكهنة الذين يمارسون سلطة دينية» ويقول عالم المصريات الفرنسيان «دريوتون وفانديه» «فهي تحاول أن تضفي سمة الشرعية على ما اغتصبت...» من كتاب حتشبسوت الملكة الفرعونية تأليف سوزان راتيه ص١٢، ١٣.

أنسال الملك الجالس على العرش، كانت شائعة في الأسرة الثامنة عشر، إذ تمثل النقوش في معبد الدير البحري عن حتشبسوت، ومعبد الأقصر عن آمنحتب الثالث، مراحل الاقتران الإلهي... أي اجتماع آمون مع الملكة الوالدة، بعد أن يتخذ مظهر الملك الوالد»!![1]

إن آمنحتب الثالث الذي أنجب عن طريق الاقتران الإلهي المزعوم لآمون باسم!! هو والد إخناتون/ موسى/ أوديب عند سيد القمني!!!

وحتى هذا الوالد الذي انجب بطريقة غير شرعية كان عاهراً كاسمه تماماً بحسب نظرية القمني. يقول القمني عن والد إخناتون (آمنحتب الثالث) وزوج (تي) قبل أن يتزوجها إبنه إخناتون «ففي نوبة من نوبات إنغماسه في الملذات تزوج إحدى بناته، كما أفصح عن بعض النزعات الشاذة فهو الفرعون الوحيد الذي سمح لنفسه أن يُرسم وهو يرتدي ملابس إمرأة»[2].

ويقول «والغريب أن إخناتون كان يذكر دوما أنه ابن (تي) لكنه لم يَذْكر أبداً أنه ابن آمنحتب الثالث»[3]

إن هذا الربط الخبيث ليدل على النية المبيتة في تدمير الدين وتدنيس شخصياته التاريخية من أنبياء ورسل وشهداء وصالحين وخلصاء ومخلصين. حتى تضيع المعالم وتختلط الأوراق ويصبح النور والظلمة سواء، والشر والخير وجهان لعملة إنسانية واحدة لا حقيقة مطلقة فيها. وقد عبر عن ذلك كثيرون من دعاة نسبية الحقيقة ونسبية القيم، وأخيراً قام أحدهم وهو يقدم صورة العربي والمسلم عند الغربي والمسيحي الأوربي، قام يقدم صورة 'بعيدة عن الحقيقة «والحقيقة لا وجود

---

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة ص١٧١ جدا والمراجع التي ذكرها أشار إليها في هامش نفس الصفحة.

(٢) النبي موسى ... جـ٣ ص٧٩٠. (٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٩٤.

لها إلا عند من يؤمن بهـا . . . إضافة إلى ذلك، هي دائماً رافضة باعتبار أنها من صنع البشر»[1]

إن (موسى مطلق إبراهيم) يرفض الإعتراف بحقائق القرآن، ومنها حقائق النبوة والقصص التاريخي للأنبياء والرسل، ويزعم أن القرآن قام بعملية «تعويم» مشئوم لقصص التوراة، يضيف «والذي لولاه لكانت التوراة نفسها ليست أكثر من مومياء دينية لا يهتم بها إلا الباحثون في متاحف الفكر الديني عبر التاريخ ولا يستغرب القارىء إذا قلت له أن ما عاناه شعبنا في القرن العشرين من الهجرة اليهودية ووعد بلفور وقيام اسرائيل على أرضنا ... لم يكن كله أو بعضه لولا هذا التعويم المشئوم الذي مهد لولادة هذه الإمبراطورية اليهودية»[2] ويقول «إن هذا التعويم للتوراة، بهذا الشكل، في الإنجيل والقرآن، كان له أثر بالغ السوء على شعبنا السوري من دون سائر الشعوب المؤمنة بالإنجيل والقرآن(!). فقد جعل من المؤمن السوري كائناً دينياً جلوره في التوراة(!)، وجعله ينفصل عن تاريخه القديم ويتنكر له(!) ويحل التاريخ التوراتي محله(!)، وهو المستهدف الأول والأخير في وجوده ووجداته بتاريخ التوراة وشريعتها(!) وفي كل ما تدعو وتوجه إليه»[3]

إن هذه الطريقة في التفكير تستحوذ على تفكير عدد لابأس به من العلمانيين! وهم يظنون أن القرآن والإيمان بالله ورسله وكتبه هو سبب هزيمة ١٩٦٧م ولو أمعنوا النظر قليلا لعرفوا أن أنظمتهم العلمانية الدكتاتورية التي ساعدوها وتبنتها بثقافاتهم المستوردة هي سبب الهزيمة، لقد أبقوا على جهالة الشعوب ولم يُنشّوها تنشأة علمية حضارية مرتبطة بالمنهج الرباني الهادف إلى إقامة عمران بشري قائم على تسخير سنن السموات والأرض وسنن القوة وبناء مجتمع قوي في الفهم

---

(١) قال ذلك «صمر أوكان» في تقديمه لكتاب «هربي، هل قلت عربي؟» ص٦.

(٢) وعد التوراة ص٣٠٢، ٣٠٣ للقمني نصوص مشابهة لمدعاه في كتابنا هذا.

(٣) وعد التوراة ٣٠٢ للقمني نصوص مشابهة لمدعاه في كتابنا هذا.

والعلم والعقيدة والأخذ بالأسباب.

لقد أبقوا على صور دينية شائهة، إما حفاظاً على أماكنهم في مأمن من خطر العلم والإيمان الكريم والمعرفة والتنوير وإما مراعاة لمشاعر دينية لا تمت إلى الإسلام بأي صورة من الصور. كما أبقوا على صور تعليمية هشة لا تتمكن من تأهيل الإنسان إلى نيل أسباب السموات والأرض وهي صور تقليدية لا سبيل لها للتفاعل مع الكون والعالم وتغيير المجتمعات. كما أبقوا على البيروقراطية المتمكنة بشراسة من جميع الإدارات الحكومة والتعليمية حتى طوقت حركة الإنسان وحركة التجارة الإيجابية.

كما أبقوا على قوانين وضعها الاستعمار في بلادنا وتجاوزها في بلاده، وأبعد القانون الرباني عن وضع القواعد وإرساء المعالم الرئيسية التي لا تطيق البيروقراطية العفنة ولا الجهل المتمكن من النفوس ولا التعليم المكبل لانطلاقة الانسان واطلاق عقله حراً في التعامل مع الكون بلا قيود إدارية أو تعسفية أو علمانية ديكتاتورية أو حتى دينية مخالفة للإسلام العظيم الذي فتح للعقل حدوداً عظيمة ومجيدة حققت مكاسب في القديم ويمكن أن تحقق مكاسبها الضخمة اليوم أيضا!

إن النظرة المنحرفة للدين من طرف العلمانيين العرب يجب أن تزول فهي أيضاً من عوائق النصر وإنطلاقة الحضارة الإسلامية الجديدة.

وأقرب مثال هو ما نحن بصدده في هذه الجزئية من هذا الفصل، فكثير من العلمانيين كموسى مطلق وسيد القمني وغيرهما يزعمون أن تواجد النصوص القرآنية التي تذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب وتذكر المؤمنين من بني إسرائيل بأنهم إخواننا سبقونا بالإيمان بالله الواحد الأحد، وتذكر التوراة وتؤكد أنها كتاب الله أنزله على موسى عليه السلام، يزعمون أن تواجد نصوص قرآنية تكرس هذا الإيمان إنما

هو سبب الأزمة التي نعانيها أما الحل فهو نفي هذه النصوص بإعلان الانفصال عنها وعن مصدرها الرباني!، بل واعتبار الاسلام تراثاً يجب تجاوزه!

ويشير القمني أن سبب هذا البلاء هو النبي محمد ﷺ نفسه وذلك أنه في «المرحلة التكتيكية» يزعم القمني في التعامل مع يهود المدينة تبنى محمد عقائد اليهود وأعاد التاريخ دورة كاملة إلى عهده وجعل الإسلام «مستبطناً» - بحسب لفظه - باليهودية يقول «كما تحول جميع أنبياء وملوك دولة إسرائيل القديمة إلى أنبياء مسلمين (!) كانوا يدعون بدعوة الإسلام... وظلت التوراة بصفتها الحاملة للهدى والنور، وظلت الآيات التي تذكر بهم كشعب مختار(!) متميز فضلهم الله على العالمين، وغير ذلك لاتجد سوى تنويعات عربية نادرة وبئيسة(!) عن القرى العربية البائدة، وأنبياء مثل هود وصالح، أما النسب الإسلامي والعربي، فقد ظل بدوره إسرائيلياً، بإعلان نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام(!)، أنه الحفيد النبوي الأخير لسلة إسرائيلية(!) استعربت بعد إبراهيم باستعراب ولده إسماعيل واكتسابه الجنسية العربية بسكناه بلاد الحجاز، عبوراً على عمومه مؤكدة لإسحق(!)... هذا ناهيك عن تطابق المنمنمات الدقيقة حول الإله وقدراته وقصص الأولين بدءاً من قصة الخليقة وآدم مروراً بنوح والطوفان ... ومن ثم تنافس العربان، عتاه العقيدة العاصفون بالنواجز على الإيمان مسيحية وإسلام، في تشريف تاريخ إسرائيل وتكريمه ... والأمر بهذا الشكل مشكلة إيمانية، وأزمة فكرية طاحنة»[1]

يقول ذلك القمني في بداية كتابه إسرائيل.. التوراة.. التاريخ.. التضليل، مدعياً انه يتعامل مع التراث «لتحديد الهوية»! وهو الكتاب الذي يرد فيه على اليهودي فيلكوفسكي !!!

---

(١) إسرائيل .. التوراة ص٧-١٠.

وفي الكتاب نفسه زعم أن التوحيد ما هو إلا تطور تاريخي وثقافي وإفراز لتطورات سياسية وإقتصادية وتحولات في المجتمعات كما رفض قبول قصة موسى بمعجزاته وخصوصاً هلاك فرعون في البحر هو وجنوده كآية من آيات القدرة الإلهية كما أنه في كتبه الأخرى، ولنأخذ كتاب «الأسطورة والتراث» جعل الدين تطوراً لأساطير الخرافة واللامعقول وأن القصص القرآني من إهلاك قوم نوح وعاد وثمود قصص «لامعقول» يجب أن يشطب من تاريخنا ولكن بالدرس الكافي له يكون درسه من أمضى الأسلحة في الصراع الفكري الدائر الآن (٥).

أما موسى مطلق إبراهيم فقد زعم أن محمداً ﷺ بتبنيه(٥٥) لتاريخ التوراة انهزم أمام اليهود فكرياً مع أنه انتصر عليهم عسكرياً!! يقول «ومع أن النبي محمد أعطاهم كل شيء»(!) فإنهم لم يعطوه شيئاً ومع أنه انتصر عليهم عسكرياً وطردهم من الحجاز فإنهم انتصروا عليه ثقافياً(!) ورسخت توراتهم، بكل ما فيها من الأخبار والقصص الهشة(!) والتعليم غير الإنساني، في قرآنه(!). وستبقى تأثير مرعب في عقول وقلوب المسلمين الذين يأخذونها مأخذ الحقائق التاريخية والتعليم المناقبي المثالي، ما بقي القرآن كتاباً دينياً تأثم به مئات الملايين من أبناء البشرية في جهات الأرض الأربع»(١) لقد قرأت الكتابات الإستشراقية الحديثة عن الإسلام ومنها مثلا كتاب مكسيم رودنسون «جاذبية الإسلام» ولقد سفّه الرجل الكتابات الحاقدة (القديمة) على الإسلام، ورغم أن الرجل له توجه خاص تجاه المعرفة الإسلامية إلا أنه لم يصل أبداً إلى الحقد الذي يحمله اليوم العلمانيون العرب تجاه الإسلام.

---

(٥) انظر مقدمة الأسطورة والتراث وهي مقدمة خطيرة جداً يهدم فيها الدين هدماً عنيفاً كما بقية الكتاب انظر ص٢٣، ٢٧، ٢٤.

(٥٥) هذا هو زعمه أما الحقيقة فهي أن محمداً لم يتبنى لا توراة ولا إنجيلا وإنما أوحى إليه من الله عز وجل بالإيمان بالكتب السماوية الصحيحة والرسل والأنبياء.

(١) وعد التوراة ص٣٠١.

إن هؤلاء العلمانيين يحاولون إثبات جدارتهم أمام الغرب بزيادة جرعة الحقد على الإسلام وبالكيد لهذا الدين والجرأة الوقحة عليه وهو دين الله بديع السموات والأرض. لقد تأثر هؤلاء الحاقدين (المرضى) بأكثر الكتابات الاستشراقية ضلالاً وسخافة، وهي الكتاباتُ المعهودة التي زعمت اقتباس الإسلام تعاليمه من الفكر الديني اليهودي، والتي صورت الإسلام كخطر (مرعب) على الغرب، وكما تقدم من كلام موسى مطلق فإنه يتجاوز ذلك ليقول بأن الخطر المرعب من الإسلام إنما هو على البشرية كلها.

وفيما يشيد أمير إنجلترا «ويتشارد» بالحضارة الإسلامية وفضلها على الإنسانية، يقوم هؤلاء الحاقدون ليعكسوا الآية، فيزعمون أن الإسلام وحضارته خطراً على الإنسانية!! فهل هنا هو الإبداع الذي يريدونا أن نفتح له ذراعينا كطريق لانطلاق الإنسان في اكتشاف الكون وكأسلوب لفاعلية الحياة!!؟

فأي إبداع هنا الذي يقوم بالكذب والاحتيال والاستخدام المغرض لفرض أساطيره على البشر؟! إن موسى مطلق إبراهيم استخدم جملة من كلام الأستاذ سيد قطب في (التصوير الفني في القرآن) للتدليل على عدم تاريخية القصص القرآني، ومن هنا يؤكد أن قصة موسى إنما هي قصة مقتبسة عن قصة الملك الاكادي سرجون الذي حملت به أمه الكاهنة سفاحاً!

إنه ككل العلمانيين الحاقدين ينظرون إلى القصص القرآني على أنه إسرائيليات يجب أن لا نأخذها مأخذ الجد، لأنها مقتبسة عن حضارات قديمة!

ويورد كلام محمد وحيد خياطة الذي فيه «إن تحرر العقلية الإسلامية من المذاهب التاريخية في فهم القصص القرآني له فوائد كثيرة منها التحرر من الإسرائيليات» «وقد آن الوقت للعقل العربي ليتحرر من الإسرائيليات ويكشف

تاريخه بنفسه(!) بما تقدمه أعمال التنقيب الأثرية(!) وإن تعارضت المعارف الجديدة مع الكتب المقدسة»[1]

إن سيد قطب لم يذهب أبداً إلى عدم تاريخية القصص القرآني، بل على العكس من ذلك ذهب إلى أنها حقائق تاريخية عرضها القرآن لغرض ديني وهو تثبيت المؤمنين وأخذ العبرة من التاريخ والتمعن في دلالاته واستقراء وقائعه لإقامة عمران إنساني كريم مرتبط بالمنهج الإلهي الأصيل، والنص الذي حرَّف «مطلق» و«خياطة» دلالته - أقصد نص سيد قطب - هو «وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها ، وفي طريقة عرضها، أو إدارة حوادثها لمقتضى «الأغراض الدينية» وهو كما ترى يتكلم عن تركيز القصص القرآني في عرضه على الوقائع الهامة في التاريخ والتي يمكن للمسلم أن يستفيد منها في حياته الدنيا، وليس في كلام سيد قطب القول بعدم صحة وقائع هذا القصص تاريخيا!

لكن «مطلق» بعد أن يعرض هذا النص يقول بأنه لم يورد هذه الشهادة إلا ليخفف «وقع الصدمة على الذين يؤمنون من شعبنا ، بصحة وقدسية مرويات التوراة التاريخية، حينما وردت في القرآن، فهذه المرويات معادية كل العداء لحقنا في الأرض والحياة والحرية... وما علينا إلا أن نمعن النظر إليها بعين العقل الفاحص والضمير العلمي الحالص، حتى نكتشف زيفها التاريخي الفاضح الذي لا يثبت أمام نظر العقل الثاقب، ولا أمام الضمير العالمي لأبحاث التاريخ»[2]!!

أي عقل ثابت هذا الذي ينقب التاريخ بنظرياته المتقوية المهشمة والمتناقضة في آن واحد؟ وأي أبحاث للتاريخ يقدمها هؤلاء المزورون للضمير العالمي، وكل منهم يقدم خزعبلاته ويعرضها عليه بجرأة مدهشة وبمزاعم لا أساس لها من الصحة كالقول بأنهم يعتمدون في نظرياتهم على الإكتشافات الأثرية والتنقيبات

(١) وعد التوراة ص٩٦..
(٢) وعد التوراة ص٩٧..

وإذا كانوا قد حرفوا كلام سيد قطب وغيره من العلماء والمفكرين المسلمين، فكيف بالقرآن وحقائقه وبالدلالات التاريخية لهذا القصص؟!

ومن قال إن القرآن عندما ذكر تفضيل الله لبني اسرائيل على العالمين أنه كان يقصد العالمين في كل زمان ومكان وأنهم مفضلون في حال الصحة والفساد، والاستقامة والإنحطاط!!، إن القرآن كان واضحاً في عرضه لهذا القصص التاريخي، فقد فضل الله بني إسرائيل على الأمم التي كانت تعيش على وجه الأرض وقت أن قال الله لهم ذلك، فمجموع بني إسرائيل وقتها، وقت أن كانوا مؤمنين فعلاً وموحدين حقاً، مجموعهم كان أفضل من مجموع الأمم الأخرى التي كانت تعيش في عالم الوثنيات الحقيرة والمدنيات المستبدة والعبادات الحقيرة. أما عندما إنحط بنو إسرائيل فكان خطاب القرآن معهم مختلف ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم...﴾ والقرآن نفسه ذكر بني إسرائيل بانحطاطهم الناتج عن تخلفهم عن عهود الله ومواثيقه التي أخذها عليهم، فكانت صورتهم في حالة الانحطاط كصور الأمم الوثنية سواء، فقد عبدوا الأوثان وتركوا التوحيد الخالص، واقترفوا الجرائم الأخلاقية مثلما كانت تفعل الحضارات الوثنية ما أدى إلى أن فقدوا التفضيل المشروط بالحفاظ على مواثيق الله وعهوده. ولن أحاول هنا أن أستدل بآيات من القرآن للتدليل على ذلك، والسبب هو أن سوراً كاملة - بل أكبر سور القرآن ! - قد أفردت مساحات واسعة لعرض تاريخ الاستقامة عند بني إسرائيل وتاريخ الانحطاط ونقض المواثيق، والقارىء المسلم يقرأ هذه السور يومياً ويعرف ذلك جيداً ويكفي لقارىء القرآن أن يقرأ السور الستة

الأول من القرآن حتى يضع يده على هذه الحقائق البديهية التي لا يمارى فيها إلا سفهاء العلمانية وتلاميذ الاستشراق الحاقد والمغرضين من المستربين بالإسلام!(٥)

أما عن الزعم بتأثير العقيدة اليهودية في العقيدة الإسلامية فهو إدعاء قبيح جداً، ذلك أن عقيدة الأنبياء على مدى التاريخ البشري كله، هي عقيدة واحدة، وهي موحى بها من الله لكل الأنبياء والرسل، فالقول بالتأثير هنا إنما هو للقدح في الإسلام وترويج للشبه الصليبية/ اليهودية في أن محمداً ﷺ اقتبس من اليهودية ولا وحي ولا خلافه!! في حين أننا لو ذهبنا لهذه الأسفار اليهودية التي زعموا أن محمداً ﷺ اقتبس منها لوجدناها مناقضة في كثير من معالمها للعقيدة الإسلامية التي علمها محمد ﷺ للمسلمين، وقد ردَّ القرآن على تصورات يهود للألوهية وللنبوة وللتاريخ وهو ما يعني أن العقيدة اليهودية المرسومة صورتها في التوراة المحرفة التي أثبت القرآن نفسه تحريفها للحقائق، إنما هي مخالفة لعقيدة الإسلام في كثير من تفاصيلها!! اللهم إلا في أصل عقيدة الإله الواحد، فهناك لا شك إتفاق بين بعض نصوص الأسفار الحالية التي تؤكد أن الإله واحد مع القرآن الكريم ومع عقيدة أنبياء بني اسرائيل لكن تصور هذا الإله في هذه الأسفار المحرَّفة التي زعم المستشرقون وأتباعهم العلمانيون أن محمداً إقتبس منها!، هذا التصور إنما هو تصور قاصر وشائه ومنحرف في كثير من تفاصيله، وقد إمتلأت كتب المسلمين في بيان إنحرافه وضلاله، والعلمانيون يعرفون ذلك جيداً لكنهم يمارون ويخادعون. لغرض تلويث العقائد الإسلامية بصور الانحرافات التاريخية لليهود. حتى زعموا أن العقائد الإسلامية والأنبياء الحقيقيين لبني إسرائيل كيعقوب

---

(٥) يعتمد موسى مطلق إبراهيم في ذلك هو وغيره على قول «بيوري» «لقد مارست العقيدة اليهودية تأثيرا ملحوظاً في العقيدة الإسلامية» يعلق مطلق على ذلك «فقد لاحظ هذا المؤرخ»، وهو يتناش تحول الجزء إلى العقيدة اليهودية الخالصة تأثير العقيدة اليهودية في العقيدة الإسلامية، وهذا دليل سعة اطلاعه في هذا المجال، وأن سعى «تأثيراً» ما نسميه «تنويعاً» وحد التوراة ص ٣٠٦ .

وإسحاق إنما ذلك كله لا أصل له في العالم ولا حقيقة له في الوجود، فحقيقة الألوهية إفراز تاريخي ونتاج سياسي واقتصادي ، والأنبياء هم خيال مقتبس! وهي كلها إسرائيليات يجب التخلص منها للتحرر من الصهيونية!!! ويدخلون ذلك بخبث في الإنحرافات التاريخية لبني إسرائيل والتي فضحها القرآن! وبذلك يضربون عصفورين بحجر واحد، ويتخلصون من الدين كما فعلت الفلسفة في التاريخ الأوربي!

أما النتيجة التي يقدمونها للبشرية، فهي أفكار عقيمة، ونظريات متناقضة، وأيديولوجيات منحرفة قاصرة. وهي نفس الأفكار والنظريات التي عزلت الإنسان عن إنسانيته، ووصلت بالحيوان الداروين ، الفرويدي المتحرر جنسيا وأخلاقيا ، الحيوان الاجتماعي الدوركايمي المتجاوز للأسرة إلى أسر شائهة منحرفة جداً! وقد واجههم القرآن جميعاً قبل ظهورهم في التاريخ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (الذاريات:٧-١٤).

إن هذا الدين مهيمن حقاً!، وله سلطان على الأفكار والثقافات لا ينكره إلا معاند جاحد، ولما عزل الباحثون والمثقفون والفلاسفة الغربيون وتلاميذهم من العرب آذانهم وأسماعهم وعقولهم وقلوبهم عنه خرجت نظرياتهم وفلسفاتهم شائهه متناقضة متعارضة متضاربة.

لقد كنت أسمع شاباً كريماً يهتف: صُمّت أذن الدنيا إن لم تسمع لنا!، والآن أفهم مدلول هذه العبارة بأبعادها المختلفة!

الفصل الثامن

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

[المجادلة : ٥]

شفيق مقار، ومكر علماني

يزعم شفيق مقار أن موسى عليه السلام مصري .. لكن الأنبياء إبراهيم ويعقوب وإسحاق هم آباء آراميين (الجباع الآراميين!) [٥] جعلتهم الثوراة أنبياء عبرانيين، «فبُركوا!» فيما بعد ليصيروا أنبياء كما ليكونوا عبرانيين!، صوروا على أساس أنهم يأتيهم دعم وتأييد غيبي مما وراء الطبيعة[١]

وعن إبراهيم عليه السلام يقول «مقار - وفي الحقيقة مكّار!» مفترياً على التاريخ «التاريخ يحكي أن إبراهيم وقومه تسببوا لمصر - عندما استضافتهم وأشبعت جوعهم في مناعب خطيرة»[٢] وزعم أن الميثاق بين الله عز وجل وبين إبراهيم ويعقوب وإسحاق إنما هو ادعاءات «اعتبرها الكهنة الذين اخترعوها أساساً لديانة»[٣] ديانة إله مكتشف بزعمه، ديانة «الله، الإله السماوي المحتجب الذي اكتشفوه في السبي وما بعده»[٤] فالذين خرجوا مع موسى واحتفل بخروجهم من مصر بزعم مقار «قد أخذوا الكثير من عبادة أوزوريس وأدمجوه في أسطورة حداد - تموز - الذي عبدوه باسم بعل صفون. وفي أخذهم من تلك العبادة المصرية، وحّدوا - على المستوى الإلهي - بين «موت» عدو بعل صفون، و «ست» عدو أوزوريس، وأخذوا الكثير من صفات أوزوريس وطقوس عبادته»[٥] يقول «فالبدايات (التكوين) والنمو الفكري لمفهوم الألوهية الذي طوّر تعدد الآلهة في عصر الآباء والانتقال من عبادة إلى عبادة مستعارة من ثقافات الأقوام المتحضرة(!)، وطوّر أيضاً الإله البركاني الوحشي بهدا! فأوصل كل ذلك إلى مفهوم التوحيد (!) والإله السماوي المحتجب في الصياغة الأخيرة للتوراة(!)، لم تنبع في أي مرحلة من فكر أصيل (!) ، أو إبداع حضاري يهودي ، بل استعيرت

---

(١) قراءة سياسية للتوارة ص٢٣٤.
(٢) المرجع السابق... ص٦٨.
(٣) نفسه... ص١٣٣.
(٤) نفسه ... ص١٠٩.
(٥) نفسه.. ص١١٩ .

كلها من ديانات وثقافات لم يسهم الكهنة أو قومهم في إبداعها ولُفقت منها وحُوّرت وحُرّفت ونُهبت مكونات ديانة توحيدية ادعى أصحابها أنها فريدة بين ديانات البشر»[1]

كل العلمانيين الذين دمروا تاريخ الأنبياء الحقيقي ينطلقون من نفس قاعدة (شفيق مقار) المادية، التي تفسر التاريخ من زاوية مادية صرفة ، وبطبيعة الأحوال فإنه بهذه الطريقة سيُصيِّر الأنبياء لا أنبياء، وسيُرجع الدين إلى ثقافات أرضية وظروف تاريخية. فإذا إضاف إلى ذلك كذب العلماني الملازم لكفره دائماً، وإذا إتضاف إليه أيضاً الخداع واللؤم والقدرة على التلاعب بالحقائق وفبركة الأمور فبطبيعة الأحوال سنتهي الأمور إلى ما ترى أخي القارىء وفي رأيي ، فالأمر لا يختلف إذا ما قارناه بافتراء أهل الجاهليات على الرسل، فقد تصوروهم مجانين - كما ذكر القرآن الكريم ذلك عنهم ومفترين وكذابين وخيالين وسحرة وكهنة، وأصحاب أغراض خاصة، سياسية واقتصادية واجتماعية!! وأنهم يسعون للحصول على قيادة في المجتمع أو مكانة في العالم أو شهرة في التاريخ ! نفس هذه الآراء والإتهامات نسمعها اليوم من أنطاب العلمانية المنحرفين وهم يقومون بدراسة التاريخ النبوي والتاريخ البشري والتاريخ الإسلامي.

عقم المقارنات مازل مستمراً

لقد قام شفيق مقار بعقد مقارنة بين قصة يعقوب وقصة موسى عليهما السلام وانتهى بخلاصة مفادها أن الأولى كانت بروفة للثانية في صنع البطل القومي المعروف في الأسطورة! «حكاية يعقوب في التوراة كانت شبه بروفه لحكاية موسى من أكثر من وجه، فكلاهما كان بداية لحلقة مهمة من حلقات السيناريو الذي تضمنه العهد القديم»[2]!

---

(١) فرقد ... ص١٣٢. (٢) نفسه ... ص٢٨٩.

" فيعقوب المحب بني إسرائيل وكذلك موسى المحب شعباً وأمة! (يالها من مقارنة!) وشعب موسى إنما هو في الحقيقة (من العشائر الأرمية والشرائم اللائذه بمصر، بعد اختلاق أصول وآباء لتلك الشرائم ووصلها - رجوعاً إلى الوراء في الزمان - بالرعاة الذين تقول التوراة أنهم هاجروا من أور الكلدانيين»[1] يقصد إبراهيم عليه السلام ثم كلاهما يعقوب وموسى بعد أن نهب ! - هكذا !! - ... خرج هارباً وكلاهما كان يعبد إلهاً ثم التقى وهو هارب بإله جديد![2]

وهو كذب كبير على يعقوب وموسى عليهما السلام، ومصدر هذا الكذب الذي أخذ عنه «مقار» هو أهل الافتراء من الأوربيين الذين يدعون الموضوعية والبحث العلمي الرصين! «إلا أن التشابه الأقوى والأهم ماثل في إضفاء مؤلفي حكاية الشعراة لمفهوم البطولة على كل من يعقوب وموسى .. فكما هي الحال في كل أساطير الإنسان القديم، كان من المحتم - بعد إعلاء الإله القبلي على كل من عداه من آلهة - إعطاء الشعب أبطاله القوميين»[3]

وكما أخبرتك أخي القارىء، فعادام «مقار» قد فسر الالوهية بالطريقة المادية القاصرة والمنحرفة فلا شك أنه سيفسر نبوة الأنبياء وبروزهم في التاريخ على أنهم أبطال قوميون كما الأبطال في الأساطير المعروفة!

فإذا كان الباحث أعمى، ويفتقد لأسس الفكر وآليات الفحص وكليات النظر فلا شك أنه سيخبط خبط عشواء في تفسير حقائق الوجود والحياة والتاريخ والإنسان والدين والنبوة، فيماثل بين الدين والأسطورة والبطل والنبي!!! إن شفيق مقار في كل خطوة يخطوها في كتابه «قراءة سياسية» كان يستدل بمرجع غربي، من مراجع التحريف والتزييف، وكمثال في المقارنة بين يعقوب وموسى عليهما

(١) قراءة ... ص٢٨٩.
(٢) قراءة ... ص٢٩٠.
(٣) قراءة ... ص٢٩١

السلام اعتمد على فرويد (*) و «أوتورانك» الذي تأثر بدوره بفرويد كما ذكر فرويد نفسه كما إعتمد على «مالينوفسكي» وكأن كهؤلاء مراجع لا تُنقض وحقائق لا تنقد! لقد اعتمد شفيق مقار بشكل شبه كلي على فرويد في إعادة بناء أسطورة مصرية جديدة عن موسى عليه السلام وفي موقفه من الأنبياء! فيزعم أنه تم تحويل موسى من نبيل مصري وكاهن إلى بطل عبري ورسول[1] كما زعم أن ولادة موسى العبرية وإلقاءه في اليم أو البحر حبكة ساذجة[2] وأنه لم يهرب لقتله المصري وإنما هرب لأسباب سياسية! (كل علماني يخترع أسباباً نقيضه!!) وقال «ان موسى قبل الهرب من مصر إلى المديانيين، كاهناً من كهنة آتون رع في هليوبولس.. تعلّم ديانته على يد يثرون حميه كاهن مديان»[3] فهو قبل هروبه كان على دين المصريين وبعد هروبه تعلم ديناً وثنياً آخر! وإنه «كان هارباً في واقع الأمر من إنتقام كهنة آمون بعد موت إخناتون واندحار معبد هليوبولس أمام هجمة كهنة آمون الضارية، وكان موسى - قبل ذلك اللقاء - يعبد الإله الذي كان كاهناً من كبار كهنته «آتون»[4]

وهل يعقل أن ينتقل كاهن من كبار كهنة: آتون ، وهو الذي هرب بديانته - بحسب سرده للأسطورة! - هل يعقل أن ينتقل إلى ديانة جديدة بمستوى الحقارة التي يذكرها شفيق مقار نفسه؟!

(*) إستخدم فرويد في الصفحات ٦٧، ١٠٠، ١٠٣، ١١٨، ١٤١، ٢١٤، ٢٨٠، ٢٩١ وغيرها من الصفحات.

(١) قراءة ... ص٣١٨ يقول «طمس الكهنة، كما كان شعباً أن يفعلوا ، مصرية موسى، وجعلوه بطلاً قومياً ونبياً للعبور الذين لم يكونوا قد وُجدوا بعد» ص٣٢٥.

(٢) قراءة ... ص٣١٥ يذهب أيضاً إلى أن الخروج وقع بطريقة سليمة تماماً وبلا مطاردة ولا معجزات كما ذهب فرويد وغيره . انظر ص٣٢٧.

(٤) قراءة ... ص٢٩٠.

فقد زعم أن موسى تعلم في مديان عبادة إله قضيبي من آلهة الخصب الصحراوية! «فيهوه ... كان أصلاً إلهاً قضيباً من آلهة الخصب الصحراوية عبده المديانيون الذين علموا موسى عبادته(!) أثناء إقامته في مضاربهم على حدود سيناء... «فتلك العبادة كانت في جوهرها عبادة خصب صريحة ظلت الاصلاحات التي استمات أنبياء العهد القديم في إدخالها جاهدة باستمرار في محو ما تجسدت فيه قديما من شعائر وممارسات جنسية»(١)!!! يعتمد شفيق مقار في ذلك على كثير من الباحثين الغربيين مثل (Allegro,John) وبذلك كما ذكرنا من قبل - استطاع العلمانيون العرب من أصحاب هذه المناهج الحقيرة ، أن يُحقِّروا الأنبياء ويغمسوا صورهم في أوحال الممارسات الجنسية والعبادات القضيبية والشعائر الإباحية - وقد قام القمني، كما قدمنا ، بهذه الحيلة، وذلك بربطه بين اخناتون/ موسى/ أوديب في شخص واحد!

إن «العهد القديم» لليهود والذي يؤمن به مسيحيو العالم كان قد وضع قصصاً محرفة عن الأنبياء(٥) لا يقل عنها في التحريف الصور المشوهة الحديثة. لقد وضعت قصة الممارسة الجنسية بين لوط وابنتيه، وبين يهوذا إبن يعقوب وزوجة ابنه المتوفي وبين داود وزوجة قائد جيشه وغير ذلك من الصور التي رفضها الإسلام باعتبارها من تحريفات يهود التاريخية وبالفعل لأغراض سياسية ودينية حقيرة.

كذلك فقد أدخل على قصة موسى من قبل «العهد القديم» أمره بقتل النساء والأطفال والأجنة في بطون أمهاتها، بل كل نسمة حية، كما أدخل على قصته أن

---

(١) قراءة سياسية ص٢٦٨.

(٥) كقصة عاموسة لوط الجنس مع ابنتيه الوراثة في سفر التكوين ١٩/ ٣٠-٣٧ وقصة صنع هارون لعجل الذهب الذي عبده يهود في خروج ٣٢/ ١-٦ وكقصص حروب موسى التي أمر فيها بقتل الأطفال والنساء كما في سفر العدد وغيرها من الإضافات على القصص الحقيقي ليعقوب وداود وشاول ونوح وغيرهم.

الله عاقبه هو وهارون عليهما السلام - كما جعلت هارون هو صانع العجل الذهبي!، وأن «يهوه» هو إلهه وإله الأنبياء.

كل ذلك جعل نقاد التوراة يعيدون بناء قصة موسى في عمليات تلفيقية لاتقل عن بناء يهود القديم لشخصية الأنبياء وقصصهم.

إن ذلك لا يعني أن كل ما قاله العهد القديم عن الأنبياء أساطير وخرافات وتعديلات وإدخالات، بل الأمر غير ذلك، فهناك نواح عديدة في هذه القصص تؤكد حقائق عن الأنبياء وعن الدين وعن التاريخ، لكن اختلطت بها صور محرفة استطاع نقاد التوراة أن يستخدموها لهدم الدين كله.

إن القرآن الكريم، قبل أن يَظْهَر نُقَّاد التوراة من أمثال إسبينوزا اليهودي وغيره بمئات السنين، كان قد أعلن الحقائق كلها عن الأنبياء وحقيقة دعوتهم والتحريف الذي لحق بصورهم وصور الحقائق الكلية الدينية والتاريخية.

ولاشك أن هؤلاء النقاد قد استفادوا من ذلك استفادة كبيرة.. كما استفادوا من نقد علماء المسلمين للأناجيل المعروفة والمتداولة لكنهم ولسبب الظروف الخاصة والمناهج القاصرة إنحرفوا انحرافاً خطيراً لا يساويه في الانحراف إلا انحراف آبائهم من صناع التوراة المزيفة والأناجيل المحرّفة!

يبقى شيء نذكره قبل أن نختم عرض إفتراءات شفيق مقار، وهو زعم مقتل موسى. فمع ذهاب شفيق مقار لذلك أيضاً تبعاً لفرويد إلا أنه يعلق على ذلك بما يؤكد أن كل أفكارهم عن الأنبياء إنما هي تكهنات ليست لها سند علمي حقيقي! يقول «وبطبيعة الحال، سيظل كل ذلك الإتهام من قبيل التكهنات. وهي تكهنات سيجعل من الصعب إقامة البرهان على صحتها نشاط الكهنة المحررين والرقباء الذين حرفوا واستبعدوا وأضافوا وأدمجوا وتلاعبوا تلاعباً لا سبيل إلى الوقوف على مداه»[1]!!

---

(١) قراءة سياسية ص٣٦٧.

فهنا يُعبّر عن عجزهم عن إقامة دلائل قوية على بعض ما ذهبوا إليه - وإن كان لم يأتوا بدليل قوي واحد على نظرياتهم المتعارضة! - لكن المدهش في الأمر أنه يعزو هذا العجز إلى تلاعب الكهنة القدماء الذين دمروا الوثائق... ولا أعرف أين هي وثائق هؤلاء الباحثين في الاستدلال على نظرياتهم المتناقضة من كشوفات أثرية وحفريات أركيولوجية؟ إن ذلك كله يدل على ثغرات ضخمة في جميع هذه (النظريات الطفولية) التي لا تستطيع شق طريق لها في أجواء نقية!!!

الفصل التاسع

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الانعام : ٩٤]

سخافة الدكتور الطبيب سعيد ثابت

في كتابه «فرعون موسى» للدكتور سعيد ثابت ما كان عليه إلا أن يضع أوساخ ذهنه المتلبد بالغث من الخيالات والعطب من زبالة عقله المهلهل والمخلخل فقال بأن «ست» أو «موست (!)» الذي ورد بالآثار على أنه الابن أو الأخ الشرير لملك مصر مدّعي الألوهية إنما هو موسى عليه السلام أما «هامان» الذي ورد اسمه في القرآن العظيم فهو عند الدكتور (آمن) أو (آمون) الذي ألّه في عصور تالية!

وزعم أن فرعون موسى هو أوزير - كل علماني ينبش في التاريخ يخترع لموسى فرعوناً مختلفاً عن فرعون الآخر !! - أو عُزير..

يقول الدكتور ثابت: إن عُزير هو الاسم الذي ابتدعه فرعون لنفسه ليكون اسماً إلهياً له، بعد أن ادعى الألوهية، وبعد أن جاء موسى عليه السلام باسم (يهوه)!

وفي تعليق الدكتور عبدالصبور شاهين(*) والدكتورة إصلاح الرفاعي (في كتابهما المشترك) على هذه الخرافات يقول «ويلدو أن الدكتور فيما ذهب إليه من آراء كمن يقلب الهرم رأساً على عقب، ونحن نستشعر فيما كتب ميولاً عبرانية إسرائيلية، تريد أن تحمل بني إسرائيل أصل التاريخ وبناة مصر وأصحاب الحضارة... ولذلك فنحن نعتبر ما جاء في الكتاب المذكور نوعاً من الإختلال والخبال يرفضه التاريخ ولاسيما تاريخ النبوات الكبرى»(١)

(*) الدكتور شاهين خبط كثيراً في كتابه أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة واختلطت عليه الأمور بصورة مثيرة للدهشة عندما جعل آدم أحد مراحل تاريخ الإنسان الذي زعم أنه كان يتنقل - أي الإنسان - من مرحلة إلى مرحلة تغيرت فيها بعض أوصافه فقد كان البشر قبل آدم ويلدو أن الله خلق كل البشر من غير ولد آدم وذلك بعد جزء السلالة الجديدة(!) المنتقاة، حتى تتم إبادة جماعات الهومو البشرية، ابتداءً بعد ذلك اللمحة الإنسانية، بطليعتها المصطفاة آدم وحواء (ص١٠٥) «وآدم على هذا هو أبو الانسان وليس أبو البشر ولا علاقة بين آدم والبشر الذين بادوا قبله» (١٠٤) إن هذا أيضاً يدكتور شاهين نوعاً من الإختلال والخبال يرفضه التاريخ وتلفظه الحقيقة وينسفه القرآن. ولا يسعى اجتهاداً أكثر ذلك وأنا أكن لهذا الرجل الاحترام لفضله وعلمه ووقوفه على ثغرات خطيرة أفاد منها الإسلام والمسلمون كثيراً غفر الله لنا وله .

(١) قصة الدين والنبوة في مصر قبل الاسلام ص ٢٠٠

ولقد ادعى الدكتور مراد الدش أستاذ مساعد الهندسة الإنشائية بجامعة عين شمس أن فرعون موسى الأول هو تحتمس الثاني «وانه نشأ تنافس بين موسى والملك تحتمس الثاني على الزواج من حتشبسوت!؟ فغار بها تحتمس الثاني فلكزه موسى فقتله فخاف فهرب ...!!!»(١)

وهكذا أخي القارىء، تسير الأمور إذا إختل الميزان بين يدي المتفلتين من هذا الدين العظيم القيم، الذين يقلدون الفكر الغربي الذي يعيد كتابة التاريخ بصورة جديدة تتقابل مع صور الفكر الإغريقي القديم الذي كان يصنع الأساطير عن الطبيعة وعن الإنسان بصورة ساذجة عابثة فَقَدَ عندها وقبلها المنهج الصحيح في النظر إلى كليات الأمور فكانت أساطير الوثنية السخيفة أعمدة للفكر النظري الإغريقي واليوناني ولطريقة التفكير التي تطيش بالحقائق وتكون بديلا لحقائق الحياة والعالم والتاريخ.

ادعى (جارستانج) أيضاً عضو بعثة مارستن Marsten التابعة لجامعة ليفربول للتنقيب في فلسطين أن موسى قد أنجبته الفرعونة (حتشبسوت) عام ١٢٥٧ ق.م بالتحقيق عندما كانت أميرة، وقبل أن تتربع على عرش مصر، أي خلال حكم تحتمس الأول أو تحتمس الثاني ثم فر من مصر عندما نجح الانقلاب الذي قام به تحتمس الثالث ثم عاد ليقود الخروج أثناء حكم تحتمس الثالث عام ١٤٤٧ ق.م(*)

اعتمد جارستانج في إقامة خرافته الهزيلة على جعران عثر عليه في مقابر أريحا

---

(١) نشرت الأهرام المصرية ذلك في عددها الصادر يوم الخميس ١٣/١١/١٩٩٧ في الصحيفة الخاصة بالتحقيقات (ص٣) في مقالها بعنوان «عبور النبي موسى من بحيرة قارون» من تحقيق الأستاذ عبدالمحسن سلامة المحرر بالجريدة عرض فيه آراء الدكتور مراد محمد الدش ... انظر كتاب المغالطات والإفتراءات الصهيونية على تاريخ وحضارة مصر الفرعونية للدكتور عبدالمنعم عبدالحليم سيد ص١٣٠.

(*) أما فليكوفسكي فيقول في كتابه عصور لم نوضح ص١٦٧ أن حتشبسوت هي ملكة سبأ !! «ولإثبات أن ملكة سبأ والملكة حتشبسوت لم يكونا إلا شخصية واحدة فإنني يجب أن أثبت أن ملكة سبأ قد جاءت من مصر (!) وأن الملكة حتشبسوت قد زارت فلسطين» وهكذا يدمرون التاريخ!!!

الملكية فـقام برسم نظريته الهزيلة التي كـما قال سيـد القمني ملأت الدنيا صـخباً وضجيجـاً ويقول تعليقاً على ذلك وكما ظهـرت ضجة جارستاتج فـجأة، خفتت فجـأة، وإنتهى جارسـتاتج إلى الصمت التام ولم يعـد أحد يتحدث عن جـعرافة الأعجوبة!(١)

المشكلة الأخطر،من ذلك كله كما ذكرنا ذلك أكثر من مرة ، أن هؤلاء جميعاً ينسـبون موسى عليه السلام إلى أسر وثنية غارقة في الإباحية والجنس المقدس!

فالقـمني مثلا الذي يحلـو له أن يعلق على أمثال هذه النظـريات، القمني هذا نسب موسى الذي هو اخناتون بزعمه إلى الملكة العارية تي التي تبدو رسوماتها في الآثار المصـرية مع إخناتون نفسـه - كـما أشار القـمني نفسـه - مفـعمة بالـعرى والتحلل وكـذلك زوجها آمنحتب الثـالث الذي تزوج ابته كمـا تزوجت تي إبنها إخناتون.

وهنا ينـسب جـارستاتج مـوسى إلى حتشـبـسوت الفـرعونية التـي تمثل النقوش ممارستها للإقتران مع الإله المصري آمون التي ادعت حـتشـبـسوت أنها ابنة مباشرة له بالجـماع الجـسدي مع والدتها!! ويقـول إريك هورنونج في كـتـابه «ديانة مصـر الفرعونية(٢) «وعندما دنا الإله آمون من الملكة أحمس وهي نائمة لكي ينجب منها الملكة حتشـبـسوت «فاض القصر بعبير إلهي» وأيقظها هذا العبير، وأوحى لها بأن الإله قد حضر(!) حتى قبل أن يدعـها ترى «هيئته» الحقيـقية كإله ... وقـد اتخذ شكل زوجها لمخمس الأول(!)»!!!

يقـول القمني «ويشـير كلمن (دريـتون) و (فانديـه) إلى أن فكرة تدخل الإله تدخلاً مـباشراً في إنـسال الجالس على العرش، كـانت شائعة في الأسـرة الثامنة

---

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة جـ١ ص١٦٨.

(٢) ص١٣٤.

عشر، إذ تمثل النقوش في معبد الدير البحري عن حتشبسوت، ومعبد الأقصر عن آمنحتب الثالث، مراحل الاقتران الإلهي. أي اجتماع آمون مع الملكة الوالدة، بعد أن يتخذ مظهر الملك الوالد»[1]

وهكذا يتم تلويث شرف الأنبياء في النظريات الهجينة والخرافات العصرية التي تنسج على منوال النسيج القديم للفكر الوثني الإغريقي الذي كان يتصور الأشياء على غير حقائقها الأصلية لفقدانه للأصول الصحيحة التي فقدها مع فقدانه للدين الحق.

أما الدكتور سعيد ثابت فإنه جعل موسى إلهاً شريراً هو الإله (ست) إله الشر عند المصريين القدماء!

وقد جعل كمال صليبي من موسى إلهاً أيضاً، وصليبي لا يؤمن بالله كأغلب الماديين العلمانيين الذين يحاولون بكل الطرق السخيفة سحق معالم الدين وقواعد الإيمان.

﴿... كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً﴾[الكهف: ٥]

إن هذه الأفكار والمذاهب والنظريات والفلسفات العلمانية نتاج إختلال الموازين في الصراع الشديد الذي تم في الغرب بين الكنيسة المنحرفة والفلسفة القاصرة، ولقد قدم الإسلام - بعد العقيدة والشريعة - أثناء هذا الصراع هديتين عظيمتين الهدية الأولى هي تحرير العقل وتفعيله كونياً وجدلياً وإجتماعياً والهدية الثانية هي المنهج التجريبي الذي نقل العالم كله نقلات هائلة. لكن يبدو أن آلية الأسطورة تحكمت في طبيعة (النظرة الغربية) ومثيلاتها (العلمانية) إلى العالم ما أدى إلى المشكلات الخطرة التي يعيشها الإنسان اليوم، بعيداً عن حلول الإسلام التي أخذ بعضها وطُرح بعضها الآخر في غير مبالاة وفي علو وشطط وضياع تغلغل في الحضارة الآيلة للسقوط!

طارق عبد الباقي - مدينة لاهاي / هولندا

١٢ من ربيع الاول ١٤٢٣

٢٤ مايو ٢٠٠٢

---

(١) النبي موسى وآخر ايام تل العمارنة جـ١ ص١٧١ .

المراجـــع

١- الفلسفة، أنواعها ومشكلاتها، تأليف هنترميد ترجمة فؤاد زكريا - الناشر مكتبة مصر ، يناير ١٩٦٩.

٢- مقدمة في علم الاستغراب للدكتور حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ٢٠٠٠م

٣- نقد فلسفة هيجل للدكتورة فريال حسن خليفة ، دار قباء - القاهرة ١٩٩٨.

٤- نظرية المعرفة ، فؤاد زكريا - مكتبة مصر - بدون تاريخ - رقم الايداع ١٩٩١م

٥- وعود الاسلام روجية جارودي - مكتبة مدبولي ١٩٩٣.

٦- الإنسان والحضارة - فؤاد زكريا.

٧- شمس العرب تسطع على الغرب - زيغريد هونكه نقله عن الألمانية فاروق بيضون كمال دسوقي دار الجيل بيروت - الطبعة الثامنة ١٩٩٣.

٨- الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، دار المعارف بدون تاريخ دكتور يحيى هاشم حسن ،رقم الإيداع ١٩٨٤.

٩- ملقى السبيل، لإسماعيل مظهر ، المطبعة العصرية القاهرة.

١٠- الإسلام في الفكر العربي، اللواء أحمد عبدالوهاب - مكتبة التراث الإسلامي/ ١٩٩٣.

١١- خطاب إلى العقل العربي فؤاد زكريا - مكتبة مصر.

١٢- قصف العقول - تأليف فيليب تايلور / عالم المعرفة / ابريل ٢٠٠٠م.

١٣- جريدة القاهرة المصرية ٨ مايو ٢٠٠١ العدد السادس والخمسون.

١٤- ديوان الأساطير، الكتاب الأول ، دار السامي، الطبعة الأولى ١٩٩٦.

١٥- إعلام الوقعين لابن القيم، دار الجيل / بيروت.

١٦- كيف نفهم الإسلام محمد الغزالي ـ دار الدعوة.

١٧- الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر- محمد الغزالي -.

١٨- نقض المنطق، ابن تيمية، مكتبة السنة المحمدية/ القاهرة.

١٩- النبوات لابن تيمية.

٢٠- ركائز الإيمان ـ محمد الغزالي.

٢١- مجموعة فتاوى ابن تيمية.

٢٢- النبي موسى ورسالة التوحيد - دار الرشاد - الطبعة الأولى ١٩٩١.

٢٣- ثلاث مقالات في النظرية الجنسية لفرويد ترجمة سامي محمود علي راجعها مصطفى زيور - دار المعارف ، الطبعة الثالثة.

٢٤- هربرت ماركيوز للدكتور فؤاد زكريا ، دار مصر للطباعة - الطبعة الأولى - مايو ١٩٨٠.

٢٥- حياتي والتحليل النفسي لفرويد، ترجمة مصطفى زيور، عبدالمنعم المليجي - دار المعارف.

٢٦- داروين ونظرية التطور تأليف شمس الدين آق بلوت - ترجمه عن التركية أورخان محمد علي - سلسلة العلم والتقنية - دار بني آسيا للنشر - استانبول ١٩٨٧م.

٢٧- جاذبية الإسلام - دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٩٨.

٢٨- دفاع عن محمد ضد المتنقصين من قدره - دكتور عبدالرحمن بدوي - دار العالمية للكتب والنشر.

٢٩- مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب ـ دار الشروق - الطبعة

السابعة ١٩٩٣م.

٣٠- وعد التوراة لموسى مطلق إبراهيم - منريح للطباعة والنشر - بيروت طبعة أولى ١٩٩٤.

٣١- قصة الدين والنبوة في مصر قبل الإسلام - تأليف الدكتور/ عبدالصبور شاهين - الأستاذة/ إصلاح عبدالسلام الرفاي - الزهراء للاعلام العربي/ الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٣٢- إسرائيل .. التوراة .. التاريخ .. التضليل سيد القمني - دار فباء القاهرة - ١٩٩٨م.

٣٣- الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ لجعفر الحليلي، الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والفنون، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان - دار الرشيد للنشر.

٣٤- النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة - ٤ أجزاء- لسيد القمني المركز المصري لبحوث الحضارة/ مدينة بيتكو/ مصر - الطبعة الأولى ١٩٩٩.

٣٥- تاريخ اليهود لأحمد عثمان - الجزء الأول - دار الشروق.

٣٦- قراءة سياسية للتوراة - شفيق مقار - الناشر رياض الريس للكتب والنشر - لندن - قبرص.

٣٧- البغاء عبر العصور ، لسلام خيّاط ، نشر رياض الريس للكتب والنشر - الطبعة الأولى ١٩٩٢.

٣٨- جريدة الأهرام المصرية .

٣٩- الدين في عصر العلم ، الدكتور يوسف القرضاوي - المكتب الإسلامي - الطبعة الثالثة ١٩٩٨م.

٤٠- سقوط الغلو العلماني ـ دكتور محمد عمارة، دار الشروق - الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٤١- التطور في حياة البشرية للأستاذ محمد قطب، دار الشروق - طبعة ١٩٩٥.
٤٢- الأسطورة والتراث - دكتور سيد القمني - الطبعة الثالثة ١٩٩٩ - المركز المصري لبحوث الحضارة - القاهرة.
٤٣- أساسيات العلوم الذرية الحديثة في التراث الإسلامي للمهندس أحمد عبدالوهاب - مكتبة وهبة - الطبعة الثانية ١٩٨٤م
٤٤- الإسلام والأمن الاجتماعي - دكتور محمد عمارة - دار الشروق - الطبعة الأولى ١٩٩٨م
٤٥- الأصول المصرية في اليهودية والمسيحية لأحمد عثمان - الطبعة الأولى ١٩٩٩م - دار الشروق.
٤٦- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم - للإمام محمد الغزالي - دار الشروق - الطبعة الثانية ١٩٩٢م
٤٧- فضل الإسلام على الحضارة الغربية لمونتجومري وات - مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
٤٨- قصة الخلق - دكتور سيد القمني المركز المصري لبحوث الحضارة - الطبعة الثانية ١٩٩٩م.
٤٩- قذائف الحق للشيخ محمد الغزالي - منشورات دار ذات السلاسل - الطبعة الرابعة ١٩٨٠م.
٥٠- مقارنة الأديان (اليهودية) للدكتور أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثامنة ١٩٨٦م.
٥١- المغالطات والافتراءات الصهيونية على تاريخ وحضارة مصر الفرعونية وحضارة مصر الفرعونية والرد عليها ... للدكتور عبدالمنعم عبدالحليم سيد دار غريب للنشر - طبعة ٢٠٠٠م.
٥٢- نحو بعث جديد - الأستاذة زينب الغزالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٥٣- أبي آدم - قصة الخليفة بين الأسطورة والحقيقة للدكتور عبدالصبور شاهين -

نشر دار أخبار اليوم قطاع الثقافة/ مصر - رقم الايداع ١٨٣٣٣/ ٢٢٠١.

٥٤- خواء الذات والأدمغة المستعمرة للدكتور مراد هوفمان تعريب عادل المعلم ونشأت جعفر، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م

٥٥- عصور في فوضى (١) من الخروج إلى الملك إخناتون تأليف إيمانويل فلايكوفسكي - ترجمة د. رفعت السيد - الطبعة العربية الأولى يناير ٢٠٠٠ - طبع «جماعة حور الثقافية»

٥٦- الأعمال (١) الإسرائيليات لسيد القمني - الناشر: المؤلف «سيد القمني» - تاريخ النشر: يناير ٢٠٠٢.

٥٧- مجلة الكتب ووجهات نظر، مجلة شهرية، العدد الثامن والثلاثون - السنة الرابعة مارس ٢٠٠٢، تصدر عن الشركة المصرية للنشر العربي والدولي.

٥٨- حتشبسوت الملكة الفرعونية، تأليف سوزان راتيه - ترجمة فاطمة عبدالله محمود - مراجعة د. محمود ماهر طه. الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثاني ٣٠١ - طبعة ١٩٩٨.

٥٩- عربي، هل قلت عربي؟ أحكام الغرب حول المسلمين والعرب تأليف شانتال داغرون ومحمد قاسمي ترجمة فهيمي الصحراوي، دار أفريقيا للشرق ١٩٩٨.

٦٠- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة - لموريس بوكاي - طبعة جمعية الدعوة الاسلامية - طرابلس - ليبيا.

٦١-دراسة في السيرة النبوية - دكتور عماد الدين خليل - مؤسسة الرسالة - دار النفائس.

فهرس الكتاب

المقدمة ٥

الباب الأول ٩

- الفصل الأول ٩

١- التكريم الإلهي وتفرّد الإنسان .....

٢- أزمة الصراع الفكري في الغرب وظروف التدمير الذاتي ....

٣- أمثلة هامة جداً على الصراع المشأوم في الغرب.....

- الفصل الثاني ٨٣

٤- نظريات الطمس ومحاولات تغيير معالم التاريخ البشري ... ٨٥

٥- فرويد ، «الطاغوت الذي يعبده باحثون عرب في التاريخ... ٩٦

الباب الثاني ١٠٧

- الفصل الثالث ١٠٩

٦- الدكتور سيد القمني، وعلمانية تقلب الحقائق ببشاعة وحقد أعمى..... ١١١

- الفصل الرابع ١٥٧

٧- المستشار محمد سعيد العشماوي وتدمير حقائق الدين واختراع نظرية سخيفة وماسونية كونية! ١٥٩

- الفصل الخامس ١٩٥

٨- إفتراءات الدكتور أحمد عثمان وإيقاف التاريخ على رأسه!... ١٩٧

- الفصل السادس ٢١٩

٩- نظرية - أو بالاحرى - فرية الدكتور أحمد سوسه ٢٢١

- الفصل السابع ٢٢٧

١٠- أكذوبة موسى مطلق ابراهيم ٢٢٩

- الفصل الثامن..... ٢٤٩

١١- شفيق مقار، ومكر علماني..... ٢٥١

- الفصل التاسع ٢٥٧
١٢- سخافة الدكتور الطيب سعيد ثابت ٢٥٩
المراجع ٢٦٥
الفهرس ٢٧١

شباب
النادي الشبابي